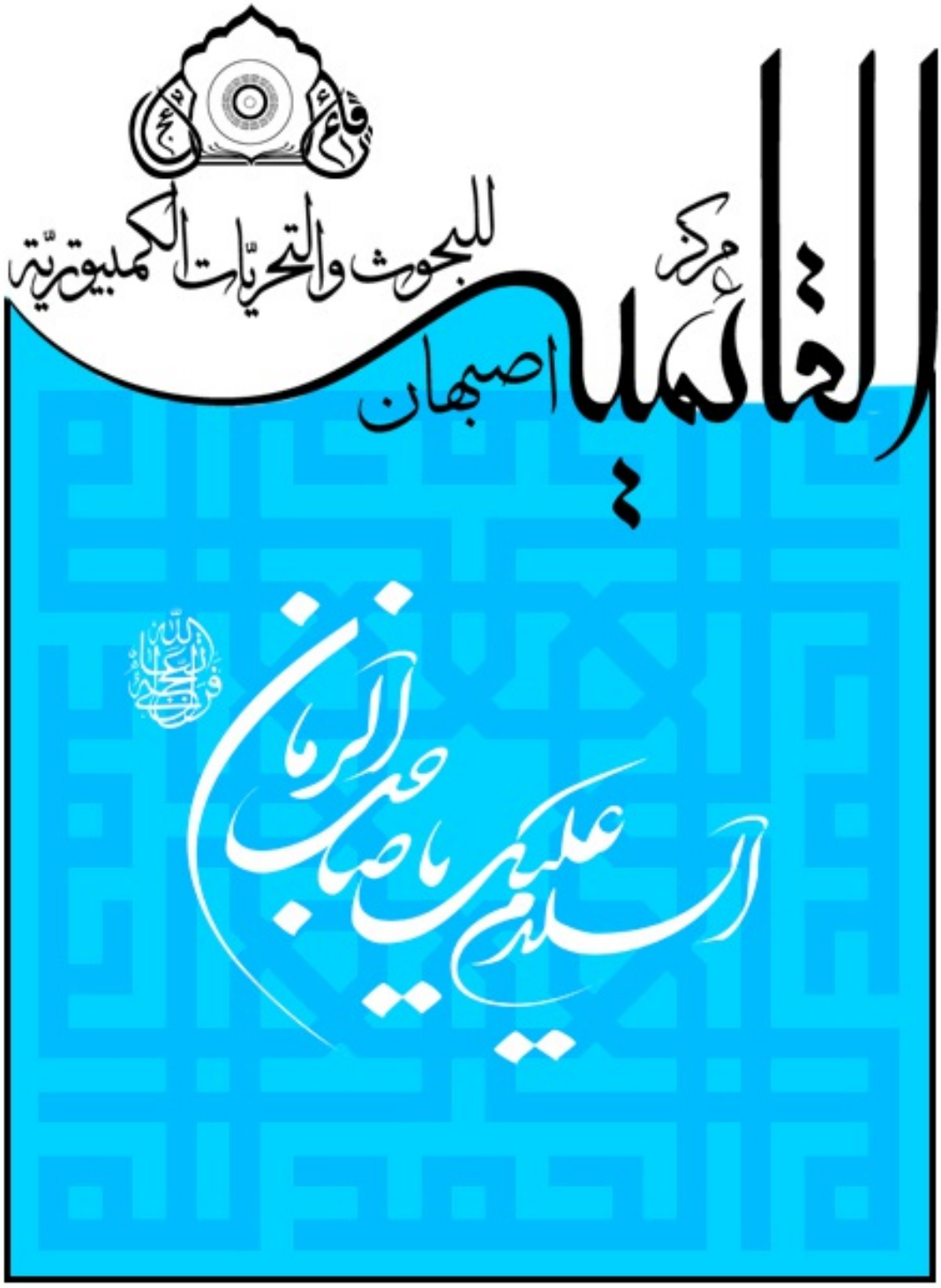

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

رحلة ديلا فاليه
إلى العراق
(مطلع القرن السابع عشر)

ترجمها من الإيطالية وعلق عليها
الأب د. بطرس حدّاد

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق

كاتب:

پيترو دلاواله

نشرت فى الطباعهٔ:

الدار العربيهٔ للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائميهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوتريهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
رحلة ديلاوالية الى العراق ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
الاهداء ----- ۱۰
مقدمة المعرب ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
صاحب الرحلة ----- ۱۱
مؤلفات ديللافاليه ----- ۱۴
أما بعد الرحلة فله: ----- ۱۴
كتاب الرحلة ----- ۱۴
القسم الأول: فى البلاد التركية ----- ۱۵
الرسالة السابعة عشرة بغداد ۱۰- ۲۳ كانون اللأول ۱۶۱۶. ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
الرحيل ----- ۱۷
بلدة عنة ----- ۲۱
الأمير فياض أبو ريشة ----- ۲۱
طبيب الأمير ----- ۲۲
التقسيم الاجتماعى للعرب ----- ۲۲
الكاظمية ----- ۲۴
بغداد سنة ۱۶۱۶ م ----- ۲۵
رحلة إلى بابل ----- ۲۸
وصف آثار بابل ----- ۳۰
كيف كان هذا البناء الجميل فى وقته؟ ----- ۳۰

الحلة ----- ۳۱
سلوقیة و طیسفون ----- ۳۳
وصف الإیوان ----- ۳۴
حیاة البدو ----- ۳۵
مغامرة عاطفیة فی بغداد ----- ۳۶
وصف لأزیاء بغداد ----- ۳۸
التوابل و العقاقیر ----- ۴۱
ملحق الرسالة ----- ۴۲
ملاحظة أخیرة ----- ۴۲
الرسالة الثامنة عشرة بغداد فی ۲ کانون الثانی ۱۶۱۷ ----- ۴۳
القسم الثانی: فی بلاد فارس ----- ۴۵
الرسالة الأولی أصفهان ۱۷ آذار ۱۶۱۷ ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
مغادرة بغداد ----- ۴۶
الأکراد ----- ۴۷
أخبار عن الحویزة العربیة ----- ۴۹
الرسالة الرابعة أیار- تموز ۱۶۱۸ ----- ۵۰
الرسالة الخامسة أصفهان فی ۲۲ نیسان- ۸ أیار ۱۶۱۹ ----- ۵۰
الرسالة السادسة أصفهان فی ۲۳ آب ۱۶۱۹ ----- ۵۱
الرسالة السابعة أصفهان فی ۲۱ تشرین الأول ۱۶۱۹ ----- ۵۱
الرسالة الثامنة ۴ نیسان ۱۶۲۰ ----- ۵۲
الرسالة التاسعة أصفهان فی ۲۰ حزیران ۱۶۲۰ ----- ۵۲
الرسالة الحادیة عشرة ۸ آب ۱۶۲۰ ----- ۵۲
الرسالة الثانیة عشرة أصفهان فی ۲۳ شباط ۱۶۲۱ ----- ۵۲

الرسالة الثالثة عشرة أصفهان فی ۲۵ شباط ۱۶۲۱ ---- ۵۲
الرسالة الرابعة عشرة ۲۳ أیلول ۱۶۲۱ ---- ۵۳
الرسالة الخامسة عشرة شیراز فی ۲۱ تشرین الأول ۱۶۲۱ ---- ۵۳
الرسالة السادسة عشرة حدائق شیراز فی ۲۷ تموز ۱۶۲۲ ---- ۵۳
اشارة ---- ۵۳
وفاة زوجة السائح ---- ۵۳
القسم الثالث: الهند و العودة إلی الوطن ---- ۵۴
الرسالة الثامنة غوا فی تشرین الثانی ۱۶۲۴ ---- ۵۴
الرسالة التاسعة من مسقط ۱۹ کانون الثانی ۱۶۲۵ ---- ۵۵
الرسالة العاشرة البصرة فی ۲۰ أیار ۱۶۲۵ ---- ۵۵
اشارة ---- ۵۵
البصرة ---- ۵۶
علاقات الحویزة بالبصرة ---- ۵۸
البصرة و الفرس ---- ۵۹
افتتاح کنیسة الکرملیین فی البصرة ---- ۶۱
*** أخبار متفرقة ---- ۶۲
الرسالة الحادیة عشرة من حلب فی ۵ آب ۱۶۲۵ ---- ۶۴
اشارة ---- ۶۴
العرجة ---- ۶۶
آثار المقیر (أور) ---- ۶۷
الأخیضر ---- ۶۸
الرسالة الثانیة عشرة من قبرص فی ۶ أیلول ۱۶۲۵ ---- ۷۲
الرسالة الثامنة عشرة روما فی ۱ آب ۱۶۲۶ ---- ۷۳
ملاحق الکتاب ---- ۷۳

الملحق رقم (۱) للحاشیة رقم (۷) ---- ۷۳
أبو الریش ---- ۷۳
*** الملحق رقم (۲) للحاشیة رقم (۳۸) ---- ۷۴
موالی الحویزة العرب ---- ۷۴
*** الملحق رقم (۳) للحاشیة رقم (۴۰) ---- ۷۵
جغالة زادة ---- ۷۵
*** الملحق رقم (۴) للحاشیة (رقم ۶۰) ---- ۷۵
ناصر بن مهنا ---- ۷۵
*** الملحق رقم (۵) للحاشیة (رقم ۸۴) ---- ۷۶
أسرة جویریدة ---- ۷۶
*** الملحق رقم (۶) للحاشیة (رقم ۹۰) ---- ۷۷
الأحجار الکریمة ---- ۷۷
*** الملحق رقم (۷) للحاشیة رقم (۹۸ و ۱۰۳) ---- ۷۷
العطاریات و العقاقیر ---- ۷۷
*** الملحق رقم (۸) للحاشیة (رقم ۱۰۰) ---- ۷۸
حجر الفتیلة و غیرها ---- ۷۸
الملحق رقم (۹) للحاشیة (رقم ۱۱۰) ---- ۷۸
التقویم القدیم ---- ۷۸
*** الملحق رقم (۱۰) لحاشیة (رقم ۱۸۱) ---- ۷۹
الأب تومازو أوبیجینیTomaso da Novara Obicini ---- ۷۹
فهرس المحتویات ---- ۷۹
اشارة ---- ۷۹
فهرس المراجع ---- ۸۰
اشارة ---- ۸۰

مراجع خاصة عن الرحالة ----- ۸۰
فهرس الأعلام ----- ۸۱
فهرس الأمكنة و البقاع ----- ۸۸
فهرس الأمم و الشعوب و القبائل و الجماعات و الأديان و الملل و المذاهب ----- ۹۵
فهرس عام ----- ۹۷
فهرس المحتويات ----- ۱۰۱
رحلات عنى الأب د. بطرس حداد بنقلها إلى العربية ----- ۱۰۱
تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۱۰۲

رحلة ديلاواليۀ الى العراق

اشارة

نام كتاب: رحلة ديلاواليۀ الى العراق / تعريب

نويسنده: دلاواله، پيترو

تاريخ وفات مؤلف: ۱۶۵۲ م

موضوع: سفرنامه

زبان: عربى

تعداد جلد: ۱

ناشر: الدار العربيۀ للموسوعات

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۷ ه. ق

نوبت چاپ: اول

الاهداء

إلى والدىّ الفاضلين:

ميخائيل الشماس يوسف حداد

و نجيبۀ حنا قطلو،

فمنهما تعلمت: مخافۀ الرب

و محبۀ كل الناس

و التمسك بالجذور

د. بطرس حداد

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۷

مقدمۀ المعرب

اشارة

اجتاح أقطار أوربا فى القرن الخامس عشر تيار «الإنسانيات» فانكبّ أدباء ذلك العصر بحثا و تنقيبا فى مخلفات الأقدمين، بدءا بالأدب اليونانى ثم الأدب اللاتينى القديم، و ظهرت للنور تحقيقات مهمۀ و دراسات شائقۀ أغنت التراث البشرى فى هذا الميدان.

و فى نهايۀ القرن السادس عشر انتعش تيار جديد، خاصۀ فى إيطاليا، هو رغبۀ الاطلاع على الشرق الغنىّ بتراثه الفكرى و حضاراته العريقۀ، فانتشرت الدراسات العربيۀ و السريانيۀ و التركيۀ.

إن أسماء المدن الشرقيۀ مثل بابل و نينوى و القدس و بغداد و اسطنبول- وريثۀ القسطنطينيۀ- كان لها وقعها السحرى فى مخيلۀ الأوروبيين بأخبارها و أساطيرها و تراثها؛ فقصص ألف ليلۀ و ليلۀ، و ذكريات هارون الرشيد، و حروب سلاطين بنى عثمان، و أسواق

الشرق الغنیهٔ بکل شیء، کانت تجذبهم إلی مزید من الاطلاع و البحث.

لقد شرع الباحثون بالتعمق فی تراث الحضارهٔ العربیهٔ العریقهٔ بمختلف میادینها: فی الطب و الریاضیات و الفلک و الفلسفهٔ، فکانوا ینهلون من ینابیعها الغزیرهٔ، بینما عکف غیرهم علی دراسهٔ التراث الإسلامی، بینهم من ساقه إلی ذلک حب الاطلاع، و بینهم نفر آخر کانت رغبته الجدل الدینی.

لعل الدافع الأصلی لهذه الدراسات کان أدبیّا و ثقافیّا محضا، لکن سرعان ما سخرتها الدول و الحکومات لخدمهٔ أغراضها التجاریهٔ و الاستعماریهٔ، و انطلاقا من هذه البحوث حاولت دول أوروبا و إماراتها بکل

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۸

جهودها أن تکسب لها موضع قدم فی الباب العالی و المدن المهمهٔ التابعهٔ لها بواسطهٔ الاتفاقیات و التسهیلات الخاصهٔ و غیر ذلک.

صاحب الرحلهٔ

فی هذه الحقبهٔ ولد بیترو دیللافالیه Pietro della valle فی ۱۱ نیسان سنهٔ ۱۵۷۶ م من أبوین شریفین هما بومبیو دیللافالیه و جیوفانا البیرینی، من أسرهٔ رومانیهٔ عریقهٔ، لا- تزال تحتفظ إلی الیوم فی قلب روما بشارع یحمل اسمها و کنیسهٔ فخمهٔ شیدها أحد أفرادها.

و قد شغف منذ نعومهٔ أظفاره علی اکتساب العلوم المختلفهٔ، و استهوته الموسیقی، و مارس التمثیل المسرحی، و أتقن فنون الفروسیهٔ کما تتطلبها حالته الأرستقراطیهٔ.

و عند ما شب عن الطوق أحب فتاهٔ من طبقته، لکنها لم تبادله الحب، فأصیب بخیبهٔ أمل هزت کیانه و جرحت کرامته، فقرر الهرب من المجتمع المخملی الزائف، و الابتعاد عن وطنه و التنقل فی بلاد اللّه الواسعهٔ، لیعبر عن سخطه علی الحیاهٔ و تبرمه بمحیطه الزائف، مقتدیا بمغامرات الأقدمین الذین طعنوا فی عواطفهم؛ فارتحل أولا- إلی نابولی، و اجتمع هناک بصدیقه الأدیب و الشاعر ماریو سکیبانو Mario Schipano أستاذ الطب فی جامعهٔ نابولی، و عرض علیه حالته النفسیهٔ و رغبته بالسفر، فشجعه فی الحال، و اقترح علیه أن یجعل لسفره غایهٔ أدبیهٔ و هدفا علمیا، فیکتب مشاهداته و یسجل انطباعاته عن الأماکن التی یمر بها و الشعوب التی یختلط بها، و طلب منه أن یرسل إلیه ما یکتبه بصورهٔ «رسائل» و وعده بأنه سیجمع المعلومات الواردهٔ فی تلک الرسائل و ینقحها و یصوغها فی کتاب یخلد اسمه.

أمضی دیللافالیه خمسهٔ أعوام فی نابولی و هو یستعد للرحیل و قد أغنته الأعوام بالمعارف الإنسانیهٔ، و فتحت له آفاقا جدیدهٔ باتجاه الشرق؛ و خلال تلک الفترهٔ تجول فی جنوب إیطالیا و رحل إلی جزیرهٔ صقلیهٔ، و اشترک بحملات قصیرهٔ ضد قراصنهٔ البحر لیمارس الفنون العسکریهٔ التی اکتسبها سابقا.

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۹

ثم عاد إلی روما و انتقل شمالا إلی البندقیهٔ لیبحر منها إلی الشرق فرکب البحر فی ۸ حزیران ۱۶۱۴ و وجهته اسطنبول. و أمضی فی عاصمهٔ الخلافهٔ فترهٔ انهمک فیها بدراسهٔ اللغهٔ الترکیهٔ لأنه کان معجبا بها رغم کونه یبغض الأتراک بغضا شدیدا نابعا من ترسبات اجتماعیهٔ و دینیهٔ عمیقهٔ. و وضع فی تلک الفترهٔ کتابا فی نحو اللغهٔ الترکیهٔ و کتب و صفا جذابا عن البلاط العثمانی و الشخصیات الحاکمهٔ، کالسلطان أحمد الثانی (۱۵۸۹- ۱۶۱۷ م) و الصدر الأعظم نصوح باشا و أسهب فی وصف مصرعه المأسوی.

کان بودّ دیللافالیه التوغل شرقا انطلاقا من اسطنبول، و إذ رأی فی ذلک بعض المحاذیر فقد قرر تغییر وجهته، و تأجیل زیارته لبلاد فارس إلی فرصهٔ أخری، لذلک سافر فی ۱۵ أیلول ۱۶۱۵ إلی مصر حیث زار آثار الفراعنهٔ و دخل إلی الأهرامات و صعد إلی جبل سیناء، ثم حج إلی بیت المقدس فحقق أمنیهٔ عزیزهٔ علی نفسه بأن یصبح حاجا «مقدسیا» و منذ ذلک الحین اتخذ لقب المقدسی بیترو

ديللافاليه. Il Pellegrino

انتقل إلى حلب للتوغل شرقا، و هناك حدث ما غير خططه و قلب مجرى حياته، فقد التقى فى الشهباء برجل إيطالى عائد من بغداد حدثه- بعد اطلاعه على حياۀ ديللافاليه السابقۀ- عن فتاۀ بغداديۀ رائعۀ الجمال، عاليۀ الشمائل لائقۀ بالنبيل الرومانى، فكتب: «كنت أنصت إليه فى أول الأمر لتمضيۀ الوقت لا غير ... حتى تولد فى نفسى شوق كبير للتعرف على هذه الفتاۀ ... و تحول الشوق إلى حب». و هكذا قرر السفر إلى بغداد ليلتقى بتلك التى ملكت عليه مذاهبه.

و فى بغداد تتحقق أمنيته، فينسى ألمه القديم، و تلتئم جراح قلبه، فيتقدم طالبا يد الفتاۀ العراقيۀ «معانى بنت حبيب جان جويريدۀ». فيتم الزواج، و لعل أجمل صفحات الرحلۀ من الناحيۀ الأدبيۀ هى تلك التى يصف فيها حبه لمعانى و فرحه بالزواج منها.

لكن الحظ العاثر أبى أن يفارقه، فقد توفيت معانى ضحيۀ الملاريا فى ۳۰ كانون الأول ۱۶۲۱ بعد خمسۀ سنوات من زواجهما بينما كانت تنتظر ثمرۀ

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۰

حبهما. فأوحى إليه حبه الجارف أن يحمل رفات الحبيبۀ إلى روما ليواريها الثرى فى ضريح أجداده، فقد كانت أمنيته أن تدخل زوجته معه إلى روما و ترى المدينۀ العظيمۀ التى طالما حدثها عنها و اشتاقت لرؤيتها، فلا بأس أن تدخلها ميتۀ، فقرر تحنيطها بطريقۀ بدائيۀ بوضع كميۀ كبيرۀ من الكافور الهندى فى داخل جثمانها، و أوصى على صندوق من خشب الصندل أحكم سده بمسامير حديديۀ كبيرۀ من صنع محلىّ.

أربعۀ أعوام و الجثۀ المحنطۀ ترافقه من مكان ألى آخر، فى بلاد فارس و الهند و البحر العربى و العراق و سوريا، و لم يهدأ باله إلا بعد أن أوصلها إلى روما و أنزلها بيديه فى ضريح الأسرۀ بين والديه، فى واحدۀ من أجمل كنائس روما و أقدمها، كنيسۀ مريم العذراء، على مرتفع أراجيلى فى قلب المدينۀ.

ألا توحى هذه الرحلۀ و أحداثها قصۀ ميلودراميۀ تروى تاريخ العراق فى الربع الأول من القرن السابع عشر و الصراع بين العراق و فارس و محاولۀ هؤلاء السيطرۀ على العراق و موقف العراقيين ضد الأطماع الفارسيۀ.

لم يكن ديللافاليه يسعى إلى الصفقات و الربح المادى، و لا- رجل دولۀ، بل كان حاجّا و باحثا بكل ما فى الكلمۀ من معنى و هو يحاول النسيان و يطلب العلم، و لم يأبه للمال فقد كان غنيّا، لهذا لم يتسرع فى ترحاله لأنه يريد الاطلاع على الآثار و الاختلاط بالناس و التعرف على كبار القوم و علمائهم و الشخصيات الحاكمۀ. بحث عن الكتب القديمۀ النادرۀ، و تعمق فى التركيۀ و الفارسيۀ، و ألمّ بالعربيۀ و الكلدانيۀ و القبطيۀ إلى جانب معرفته السابقۀ باليونانيۀ و اللاتينيۀ.

و كما وعد صديقه الطبيب ماريو، أخذ يكتب من كل مدينۀ يحل بها رسالۀ مطولۀ فيها وصف مسهب للمناطق التى زارها و الناس الذين التقى بهم؛ و يدل و صفه على سعۀ اطلاعه و تمكنه من المصادر القديمۀ فهو يذكر المؤرخين السالفين مثل هيرودوتس و زينوفون و يورد أبياتا من الشعر الكلاسيكى اللاتينى و يأتى على ذكر آيات الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد.

كانت الرسائل الأولى غزيرۀ المادۀ و افيۀ الشرح ثم قصرت بعد وفاۀ

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۱

زوجته لتصبح جافۀ شحيحۀ، ثم عادت إلى ما كانت عليه؛ لكنه أكثر من الوصف الخارجى هذه المرۀ دون التعليق العلمى على مشاهداته.

يبلغ عدد الرسائل التى كتبها أربعا و خمسين رسالۀ كتب الأولى فى ۲۳ آب ۱۶۱۴ من اسطنبول، و الأخيرۀ من روما بتاريخ ۱ آب ۱۶۲۶.

إضافۀ إلى هذه الرسائل المحفوظۀ ضمن كتاب الرحلۀ فإن ديللافاليه كان يراسل أشخاصا آخرين يناقشهم فيها فى مختلف الأمور

حسب اختصاصهم. فیکتب إلی أحدهم یسأله عن التوابل و العقاقیر و أنواعها و فوائدها، و إلی آخر یناقشه فی معانی بعض الکلمات و التعابیر العربیۀ. و له إلی جانب رسائله دفتر یومیات ذکره أکثر من مرۀ و قال عنه إنه أغزر مادۀ من رسائله لأنه أودع فیه معلومات کان یخشی أن یذکرها فی الرسائل خوفا من و قوعها بید الأتراک لکن هذا الدفتر فقد مع الأسف.

و کان قد اصطحب معه رساما فلمنکیا رسم لوحات عدیدۀ نوه ببعضها فی رسائله، منها: صورۀ الرحالۀ و صورۀ الست معانی بزیها البغدادی و لوحۀ لطاق کسری، و أخری لآثار بابل. و قد ضاعت معظم هذه اللوحات.

و کما کان دیللافالیه من أوائل الذین دخلوا إلی الأهرام و حمل معه إلی روما أثارا مصریۀ و مومیاء فرعونیۀ، فهو کذلک من أوائل الرحالۀ الأوروبیین الذین زاروا بابل و الآثار العراقیۀ و ذکروا الکتابات المسماریۀ و حملوا أجرا و رقما من بلاد ما بین النهرین إلی أوروبا.

اقتنی صاحبنا خلال رحلاته مخطوطات عدیدۀ عربیۀ و سریانیۀ و قبطیۀ و ترکیۀ و فارسیۀ ذکر بعضها فی سیاق کلامه. و قد آلت هذه المخطوطات بعد وفاته إلی خزانۀ الفاتیکان.

و فی طریق عودته من الهند إلی بلاده مر بالبصرۀ و منها رحل إلی حلب عبر البادیۀ، و کانت سفرۀ شاقۀ فی فصل الصیف اللاهب استغرقت سبعین یوما. و من حلب إلی الاسکندریۀ، ثم أبحر إلی نابولی لینطلق إلی روما فوصلها فی ۲۸ آذار ۱۶۲۶ بعد غیاب طویل و اهتم أولا بإیداع رفات زوجته فی لحد الأسرۀ، ثم أقام نصبا تذکاریّا خاصّا بها، و لا أثر لهذا النصب حالیّا. و بعد

رحلۀ دیلاواليۀ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۲

انقضاء سنۀ أقام احتفالا تأبینیا إکراما لها اشترک فیه أصدقاؤه و ألقیت فیه القصائد و الکلمات المناسبۀ فجمع ما قیل فی هذه الذکری فی کتاب و نشره بالطبع.

ثم تزوج بفتاۀ شرقیۀ کانت فی خدمته منذ حیاۀ زوجته معانی و قد أوصت به خیرا ورزق منها بأولاد عدیدین.

اشتهرت رحلات دیللافالیه فی أوروبا وزاد من شهرتها حبه للفتاۀ البغدادیۀ و موتها الألیم و هما فی قمۀ السعادۀ و حمله لجثمانها طیلۀ أعوام عدیدۀ؛ فأعادت إلی الأذهان قصۀ ملکۀ کاستیلیا «جیوفانا» jeanne la Folle الملقبۀ بالمعتوهۀ التی کانت تحمل معها دائما جثۀ زوجها الحبیب «فیلیب الجمیل» Philippe le Beau و لهذا ترجمت رحلته إلی لغات عدیدۀ و زینت بعضها بالصور و طبعت أکثر من مرۀ.

و قد قال الشاعر الألمانی الشهیر «غوته»: «إن قراءۀ رحلۀ دیللافالیه کشفت له عن الشرق».

أصبح قصر دیللافالیه فی روما بعد عودته متحفا یقصده الکثیرون للنظر إلی المؤمیاء الفرعونیۀ و الآثار التی جلبها معه و الأزیاء المتعددۀ التی حملها من البلاد التی کان بها و المخطوطات الشرقیۀ.

توفی السائح فی روما فی ۲۱ نیسان ۱۶۵۲ فدفن إلی جانب الست معانی جویریدۀ البغدادیۀ، و کان قبره لفترۀ طویلۀ بعد موته قبلۀ الزوار و المعجبین، کما ورد فی حولیات الکنیسۀ و ما لم یرد فی الدفتر أنه أصبح قبلۀ العشاق! و قد تحرینا عن قبره عند زیارتنا روما قبل سنوات فلم نجد له أثرا لکن الجناح الخاص بالضریح لا یزال یعرف باسم أسرته کما وجدنا فی العاصمۀ الإیطالیۀ شارعا یحمل اسمه ...

إننا نقرأ فی سطور الرحلۀ إعجابا و حبّا للعرب عامۀ و للبدو منهم بنوع خاص، فقد لا حظ الرحالۀ حبهم للحریۀ و عدم استکانتهم لسیادۀ الغرباء فکرر ذلک أکثر من مرۀ خلال رحلته خاصۀ فی ذکره لعرب الأحواز و أمرائهم المستقلین الذین کثیرا ما حاولت السلطات الفارسیۀ منذ ذلک العهد السیطرۀ

رحلۀ دیلاواليۀ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۳

علیهم و التدخل فی شؤونهم و قال ذلک أیضا فی مجری کلامه عن البصرۀ.

فی رأینا أن أهمیهٔ الرحلهٔ تأتی بالدرجهٔ الأولی من کونها سجلّا تاریخیا لفترهٔ من أشد الفترات حرجا فی تاریخ العراق فقد کانت تتنافس للسیطرهٔ علیه و إخضاعه قوتان کبریان هما الدولهٔ الفارسیهٔ و الدولهٔ العثمانیهٔ و قد أدت لعبهٔ «تبادل المواقع» هذه إلی إنهاک المجتمع العراقی و تفتیت روح المقاومهٔ و التصدی لدیه حیث انتقل الصراع بین القوتین المذکورتین إلی أرضه ورزیء هو وحده بالمصائب و الویلات من جراء الصراع المذکور.

فلو نظرنا إلی الرحلهٔ من هذه الزاویهٔ لاستطعنا أن نجد للکاتب العذر عما ورد فی رسائله من ملاحظات و آراء تبدو متجنیهٔ و ظالمهٔ فی بعض الأحیان فهو حینما یتحدث عن أهل المدن و المزارعین یصفهم بالکسل و الجهل و التخلف، و رغم مدحه للبدو فإنه یعود أحیانا و یصفهم بقطّاع الطرق. و قد تکون هذه الصفات هی السائدهٔ فی مجتمع یمزقه الاحتلال الأجنبی و تنهکه أوضاع اجتماعیهٔ خاصهٔ. لکنه فی کل ذلک لم یتعمد النیل من العرب و الإساءهٔ إلیهم. فلا یترتب علی ملاحظاته العابرهٔ ما یترتب علی آراء بعض المؤرخین الذین یکتبون و غایتهم الإساءهٔ إلی العرب و تشویه تاریخهم.

مؤلفات دیللافالیه

اهتم دیللافالیه فی مطلع شبابه بالتمثیل و الموسیقی، فوضع سنهٔ ۱۶۱۱ تمثیلیهٔ عن الأمانهٔ فی الحب، لحنها أحد الموسیقیین المعاصرین بأربعهٔ أصوات.

أما بعد الرحلهٔ فله:

- الحفلهٔ التأبینیهٔ للست معانی، روما ۱۶۲۷.
- معلومات عن بلاد جورجیا، روما ۱۶۲۷.
- أحوال الشاه عباس الفارسی، البندقیهٔ ۱۶۲۸.
- بحث فی الشعر، روما ۱۶۳۴.

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۴

- بحث فی الموسیقی المعاصرهٔ، روما ۱۶۴۰.
- کتاب الرحلهٔ إلی الشرق، روما ۱۶۵۰.

و له أیضا قصیدهٔ مطولهٔ عنوانها «إکلیل جویریدهٔ» نوه بها فی رحلته و نظن انها لم تطبع، و مختصر التعلیم المسیحی، و رسالهٔ فی الدین المسیحی (بالفارسیهٔ) و له قصائد بالترکیهٔ و قد آلت مؤلفاته المخطوطهٔ إلی مکتبهٔ الفاتیکان .

کتاب الرحلهٔ

ظهرت الطبعهٔ الأولی من رحلهٔ دیللافالیه سنهٔ ۱۶۰۵ و طبعت فی روما تحت عنوان طویل مفصل، ثم طبعت بأربعهٔ أجزاء سنهٔ ۱۶۶۰ فی البندقیهٔ، و أضیفت إلی هذه الطبعهٔ نبذهٔ عن حیاهٔ صاحبها ثم طبعت فی بولونیا (بإیطالیا) و تلتها طبعات أخری و قد ترجمت إلی مختلف اللغات الغربیهٔ من أول ظهورها و لا نری من الضرورهٔ هنا بذکر مختلف الترجمات.

و لقد اعتمدنا فی ترجمهٔ الرحلهٔ إلی العربیهٔ الطبعهٔ التی ظهرت سنهٔ ۱۸۴۳، و تقع فی مجلدین، و تقسم إلی ثلاثهٔ أقسام: ترکیا، بلاد فارس، الهند، و هذا عنوانها بالإیطالیهٔ :

cia, ۳۴۸۱ .

و قد طبعت هذه طبقا للطبعهٔ الرومانیهٔ الأولی سنهٔ ۱۶۵۰ مع اختلافات بسیطهٔ.

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵

إن لغۀ ديللافاليه جميلۀ و أسلوبه رفيع و وصفه أخاذ، فهو متضلع بلغته يجيد النثر و يبدع فى النظم.

جـدير بالـذكر ان مجلۀ «نشـرۀ الأحد» التى كانت تصدر فى بغداد بإدارۀ الخورى عبد الأحد جرجى (۱۸۷۰- ۱۹۵۰) نشرت فى سنتها الأولى (۱۹۶۲) موجزا لهذه الرحلۀ بعنوان: «قصۀ بطرس السائح» ۱ (۱۹۲۲) ص ۹۲، ۳۰۲، ۳۵۱، ۳۷۰، ۳۸۳، ۶۲۶، ۶۴۰.

و لم يـذكر اسم المعرب، كما أنها خاليـۀ من التعليق و التحقيق و قـد ذكر الأسـتاذ كوركيس عواد بخصوص هذه الترجمۀ: «إن السـيد جرجس دلال، مطران الموصل الأسـبق على السـريان الكاثوليك المتوفى سنۀ ۱۹۵۱ نقـل إلى العربيـۀ بعض ما يخص بلاد العراق [من الرحلـۀ] .. كما ان الخورى عبـد الأحـد جرجى السـريانى .. نشـر فى تلك المجلۀ نفسـها، نبذۀ من رحلۀ هذا الرحالۀ بعنوان: السـفر من حلب إلى بغداد» .

أيّا كان الأمر فإن تلك الترجمـۀ ناقصـۀ و المجلـۀ المذكورۀ بحدّ ذاتها نادرۀ الوجود حاليا، و قد أشـرنا إليها فى الهوامش عند ترجمتنا النص الكامل.

كذلك نقل الأستاذ سعاد هادى العمرى وصف بغداد حسبما جاء فى هذه الرحلۀ و نقله مختصر جدا.

نظرا للأخبـار المهمـۀ التى نجـدها فى هـذه الرحلـۀ عن العراق فى الربع الأـول من القرن السابع عشـر كثورۀ بكر صوباشـى و خيانته، و تحرشات الفرس بالبصـرۀ، و سـيادۀ الأحواز العربيـۀ، و غير ذلك. فقد قررنا نقلها إلى العربيۀ كاملۀ، و هى ترجمۀ أمينۀ للنص الإيطالى الأصلى لم نهمل منه شيئا له علاقۀ بالعراق أو بالعرب بصورۀ عامۀ المجاورين للعراق.

أن العناوين هى من وضعنا و كذلك التعليقات و الهوامش و لقد توسعنا فى

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶

بعض التعليقات فصلناها و جعلناها فى «ملاحق» أدرجناها فى آخر الكتاب.

و تمسـكا بالأصل فقـد حافظنا على تسـلسل الرسائل فكان أول ما ترجمناه «الرسالۀ السابعۀ عشـرۀ» من القسم الأول من الرحلۀ الموجهۀ من بغداد.

و أخيرا وضعنا فهارس الكتاب المفصلۀ ليتسنى على الباحث مراجعۀ الرحلۀ و معرفۀ موادها.

أما الصور التى أدخلناها فى هـذا الكتاب فلا وجود لها فى الأصل الإيطالى الـذى اعتمـدناه بل أخـذناها من طبعۀ الرحلۀ الألمانيۀ و قد نقلنا صورۀ الست معانى و ختمها من مجلۀ الدراسات الشرقيۀ الإيطاليۀ .

و أملنا وطيد أننا بترجمتنا هذه الرحلۀ قد أفدنا الباحثين الكرام

الأب بطرس حداد

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷

صاحب الرحلۀ ديللافاليه

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۹

القسم الأول: فى البلاد التركيۀ

الرسالۀ السابعۀ عشرۀ بغداد ۱۰- ۲۳ كانون اللأول ۱۶۱۶.

اشارۀ

«غادرنا حلب فى نفس اليوم الذى كتبت فيه إلى سيادتكم، و أخبرتكم بقرب سـفرى إلى بابل و بعد أربعۀ أيام أو خمسۀ و إذ كنا فى

البادية العربية، تسلمت مجموعة رسائل، و من ضمنها رسالتكم، فأجبت عليها فى الحال.

و أعتقد أن رسالتى هذه ستصل إليكم مع تلك الرسالة لأنى بعثتها مع شخص جدير بالثقة، و إذ إننا لم نزل فى السفر، و ليس هناك ما يلفت النظر و يستحق الذكر فلن تجد فى رسائلى مادة دسمة.

و الآن بعد أن استقر بى المقام، أعود لأتابع روايتى، فأخبرك بكل ما حدث لى خلال رحلتى من ذلك الوقت إلى اليوم.

كان يدفعنى شوق شديد منذ زمن طويل للتوغل فى الشرق خاصة بعد أن وصلت إلى حلب فأزور تلك الأقطار التى طالما سمعنا عنها، و أطلع على أمور كثيرة جديرة بالاهتمام و أتمحصها بنفسى لإشباع رغبة كانت كامنة فى نفسى منذ كنت فى إيطاليا ..

كان محظورا على الإفرنج الذهاب إلى تلك النواحى و قد يدفعون حياتهم ثمنا لمخالفتهم، و ذلك بسبب نشوب الحرب ضد العاهل الفارسى إذ كان الترك يعتبرون الإفرنج على اتصال به و متفقين معه. و لكى أحقق رغبتى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۰

بالسفر إلى هناك فكرت فى أول الأمر أن أسافر متسترا ضمن قافلة تركب الفرات فى قوارب فى موضع يبعد عن حلب مقدار أربعة أيام، عند بلدة تدعى «البيرة» التى تعنى بالعربية «البئر» و هى المذكورة فى كتب الجغرافية باسم «بيرته السورية». ففاتحت بهذا الموضوع تاجرا نصرانيا اسمه على ما أتذكر يعقوب الطويل و لا يخطر ببالى أكان سوريا أم أرمنيا و وعدته بهدية مقابل ذلك. و ليكن عمله هذا ردّا للجميل للقنصل البندقى الذى كثيرا ما ساعده فى أموره الخاصة. فوعدنا الرجل خيرا، قائلا إنه سيجازف فى هذا العمل فيأخذنى مع رفاقى الثلاثة معتبرا إيانا ضمن أتباعه و رجال قافلته، لأن من عادته أن يصطحب رجالا كثيرين نظرا لتجارته الواسعة، و ما أكثر ما اصطحب فى السابق من الإفرنج. و عند ما كنا على وشك الرحيل فكر بالأمر مليا فأخلف وعده زاعما أنه لا يليق به كرجل شريف أن يقوم بعمل كهذا ضد النظام ...

و هكذا تركنا و رحل؛ و كان علينا ان نتذرع بالصبر.

بعد مرور شهر و اتتنا فرصة أخرى بوجود قافلة متجهة إلى بلاد العرب فى الطريق البرى الذى يقطع البادية مباشرة و لا يكاد يمر بمكان مأهول.

فلما تناهى إلىّ هذا الخبر و حاولت التحقق منه فسألت هنا و هناك خاصة لدى السيد قنصل البندقية و اتفقت مع أحد رجال الكمرك بعد أن نفحته بهدية جيدة، و أنت تعلم يا سيدى: «أن الهبات تطيب للبشر و للألهة على السواء» حسب تعبير «أوفيد» فوعدنى الرجل مقابل ذلك أن يخرجنى من حلب دون أن يثير الشبهة بل ذهب أبعد من ذلك إذ زودنى بكتاب من عنده يمكن أن نطلق عليه اسم جواز سفر، اعتبرنى بموجبه أحد رجاله فجنبنى بذلك مختلف المضايقات التى كان من المحتمل أن تصيبنى فى الطريق. و بعد هذه البداية

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۱

الناجحة شرعت أستعد للسفر بشراء الأمتعة الضرورية من طعام و أوان للطبخ و اشتريت صندوقين مربعى الشكل، لا يزيد طولهما عن عرضهما مع شىء من الارتفاع يسعان كمية كبيرة من الأمتعة، و يحملان على الجمال بسهولة إذ يتدليان على طرفى البعير، و كانا من خشب خفيف متين داخل أكياس من القماش القوى تلتف حولهما حبال متينة و بهذه الطريقة يسهل حملهما و شدّهما على الحدوج. كما اشتريت أنواعا مختلفة الأحجام من الزقاق الجلدية، فهى جيدة للأسفار، لا تتأثر بالسقوط أثناء التحميل و هى خفيفة الوزن أيضا تستعمل للماء ... و منها أشكال مختلفة فبعضها مزينة بنقوش ملونة جميلة المنظر، تعطى الماء طعما حسنا و رائحة مقبولة و تحافظ عليه. و هناك أنواع أخرى أبسط شكلا و أكبر حجما تستعمل لحمل السمن و السوائل الأخرى، و هى بسيطة لا خياطة فيها. و قد ذكرتنى بزمارات القرب المصنوعة من جلود الثيران التى نوّه بها زينوفون .

بعد هذه الاستعدادات ذهبت لأستأذن بالرحيل من السيدين القنصل الفرنسى و زميله البندقى و أودع بعض الأصدقاء المقربين و رغبة

بالمزيد من السرية لم أذهب لزيارة القناصل الآخرين .. الإنكليزى و الهولندى مثلا بالرغم من إجلالى لهما؛ كما لم أخبر الأصدقاء لئلا يتجشموا عناء الخروج لتوديعى عند مغادرتى حلب فيثيرون الشبهات و يلفتون الأنظار إلىّ ...

و أخيرا حلقت شعر رأسى يوم الجمعة ۱۶ أيلول [۱۶۱۶] و تعممت بعمامة، و تسربلت بالزىّ السورى، و فعل أتباعى مثلى كى لا يتعرف أحد علينا و ركبت جوادا فى منزل القنصل البندقى فى وقت صلاة العشاء و سرت لألتحق بالقافلة التى كانت مستعدة للرحيل بعد ان تجمع أفرادها منذ أيام فى قرية تبعد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۲

عن المدينة ستة أميال تسمى «جبرين» و لقد رافقنى إلى هناك السيد جيوفانى باتيستا كاتى و أصدقاء آخرون واحد بندقى و الآخر فلمنكى و الثالث صقلى و قد تزيوا كلهم بالزىّ المحلى ليبعدوا الأنظار عنى و أمضينا تلك الليلة بمرح فى خيمتى، و عند الصباح قفلوا راجعين إلى حلب بعد أن ودعونى بالدموع.

لم ترحل القافلة فى ذلك اليوم إذ كانت تنتظر انضمام بعض التجار و ريثما ينتهى موظفو الكمرك من تفتيش البضائع و التحقق من عدم وجود مواد مهربة بينها. فمكثت فى جبرين مع رجالى الخمسة و هم: أندريا السندرى البندقى و هو رجل مهذب جدا التقيت به فى حلب فأخذته لأنه خبير بتلك الأصقاع و عارف بلغاتها و معروف لدى القوم و قد كسب ثقتهم، فاتخذته دليلا لرحلتى و أمينا على أمورى. ثم توماز و الرسام و لورنسو و إبراهيم شاهيتا من نصارى حلب الذى أقمته على خدمتنا.

الرحيل

غادرت القافلة «جبرين» فى ۱۸ أيلول فوصلت إلى «ملوحة» و هى على بعد ستة أميال أو سبعة عنها و مكثنا هناك حتى ظهر العشرين منه ننتظر بعض رجال «الأمير فياض» و هو من أعراب البادية الذين يعيشون فى خيام سوداء و يتنقلون فى أرجاء الصحراء؛ فهم تارة هنا و تارة هناك. و هذا الأمير لا يخضع فى الواقع لسلطات الأتراك لكن له بعض العلاقات مع الحكومة فهو كالسيد الإقطاعى، تشمل سلطته كل مفاوز البادية بين حلب و بابل، و تمتد إلى معظم بلاد بين النهرين و عبر الفرات. أما الرجال الذين كنا ننتظرهم فهم من بطانته يستلمون الإتاوة من كل قافلة تمر عبر أراضيه فيرسل رجلا من أمنائه إلى «ملوحة» ليتقاضى الجباية و بعد ذلك لا تتعرض القوافل إلى أذى من أحد من أتباعه لكن هؤلاء لا يكتفون عادة بالإتاوة المتفق عليها، بل يحاولون استنزاف

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۳

ما يستطيعون من المال كغنيمة خاصة بهم .

رحلنا من «ملوحة» مساء اليوم نفسه فنزلنا فى قرية خربة تدعى «حقلاء» هناك تلقيت رسائلك فأجبت عليها أثناء الليل و لم نرحل فى اليوم التالى إذ لم تنته أمور الجباية التى استغرقت يوما كاملا.

و فى هذه الأيام لم أطلع على شىء جديد لكنى أمعنت النظر فى جماعة من التركمان الذين مروا بنا فلاحظت أنهم لا يختلفون عن الأتراك الأصليين الذين وصفهم «بيلونيو» إذ التقى بهم فى الأناضول، فلغتهم هى التركية، فهم أتراك حقا يعيشون فى الأرياف، متنقلين هنا و هناك و معهم خيام من مادة غليظة تختلف عن خيام الأعراب السوداء. يملكون ماشية كالغنم و ما شاكل ذلك، إلى جانب الجمال و الجياد الأصيلة. و لهم ألبسة و أشياء أخرى، و لعلهم أغنياء بالنسبة إلى الأعراب. و هم يتنقلون من مكان إلى آخر حيث يجدون أماكن الرعى.

أما الذين رآهم بيلونيو فى الأناضول لا يأتون إلى بلاد العرب، فلا علاقة لهم بهؤلاء التركمان الذين رأيتهم فهؤلاء يمضون أيام الشتاء فى البادية فى أماكن دافئة قليلة الأمطار حيث يجدون الكلأ على ضفاف الفرات و فى الصيف يرحلون إلى الجبال القريبة من منطقة «كرمانيا» و لا يتعدونها. و هم يخضعون للأمير فياض، و لهم فى البادية مدينة تدعى «الكعر» معروفة لدى الحكومة التركية بمستوى

«سنجق» أما تركمان الأناضول فهم و إن كانوا مثلهم فى طريقة العيش و العادات لكن لا علاقة لهم بالأمير المذكور لأنهم يخضعون لسلطة مختلفة. لقد جمعت هذه المعلومات من امرأة تركمانية أتت

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۴

إلى خيمتى فى أحد الأيام تطلب ماء باردا فاعتقدت فى أول الأمر أنها عربية لأنها كانت حاسرة الوجه لكن زيها كان تركيا رثّا فخاطبتها بالعربية فلم تفهمنى و أجابتنى بالتركية بلسان طليق لا يختلف كثيرا عن لهجة أهل المدن فقدمت لها و لا بنتها الصغيرة التى كانت معها طعاما و انتهزت الفرصة لأحدثها طويلا فأدهشتنى كثيرا بأجوبتها الفصيحة، و بأدب ينذر وجوده لدى امرأة تعيش فى البادية، و أخبرتنى أنها تملك خمسمائة رأس غنم و أشياء أخرى كثيرة لا يدل عليها لباسها المزرى.

و لنعد الآن إلى رحلتنا ففى يوم الخميس ۲۲ أيلول تركنا خرائب «حقلاء» و توغلنا فى البادية حيث لا مدن و لا قرى آهلة بسكان و لا أراضى مزروعة، بل سهول قاحلة قد ينبت فيها هنا و هناك نوع من الشوك البرى تلتهمه البعران لا أكثر.

فلما حل المساء أمضينا ليلتنا حيث وصلنا و لم نجد هناك ماء فشربنا مما ادخرناه فى القرب. و لما كانت هذه ليلتنا الأولى فى العراق و فى مكان غير مأهول فقد أقمنا حراسا للقافلة خوفا من هجوم قطاع الطرق الذين يأتون من أماكن بعيدة لسرقة المسافرين و بعضهم من أتباع الأمير فياض نفسه، لكنهم من الخارجين عن طاعته.

كان عدد أفراد قافلتنا زهاء ألف و خمسمائة شخص و فيها ما ينيف على الأربعين خيمة. و كان حراس الليل يطوفون حول الخيام و يضجون بالصياح كما هى عادتهم فيحذرون المسافرين تارة و يخيفون اللصوص من الاقتراب تارة أخرى.

و لما كان قطاع الطرق يهاجمون القوافل بمجموعات كبيرة عادة فيركب كل اثنين منهم على مطية واحدة و مطاياهم هى جمال من فصيلة خفيفة الجسم و سريعة الجرى. و يتسلحون عادة برماح طويلة و أقواس و أسلحة متنوعة إذ يحمل بعضهم بنادق. لهذا السبب جرى قبل النوم إحصاء عدد حملة البنادق فى القافلة فكان ما يربو على الثمانين: تسعة من الإفرنجة أى خمسة من حاشيتى و الباقون تجار من أهل البندقية قدموا إلى هذه الأطراف فى أمورهم الخاصة.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۵

فأوكل إلى هؤلاء التسعة بتأليف مقدمة دفاعنا و لا أعلم سبب هذا الاختيار أكان إكراما لنا أم أنهم اعتبرونا أكثر مهارة من غيرنا، أم لعلهم أرادوا أن نجابه الأخطار قبل غيرنا. و كان معنا جنود إنكشاريون و عدد ملحوظ من الجنود الأتراك فانتظمنا جميعا نحن فى المقدمة و يتبعنا رماة الرماح و هم كثيرون ثم المسلحون بالسيوف. و على هذا الترتيب تجولنا حول القافلة على عادة أهل البلاد ثم توجهنا إلى الجانب الآخر حيث كان يخشى هجوم العدو منه، فاتخذنا موقف الدفاع و كأننا فى حالة معركة- و لعل ذلك لأجل تمرين المدافعين على مواقعهم- و أخذنا نطلق العيارات بجلبة عظيمة، و كان لهذه المظاهر وقع حسن فى نفسى بالرغم من أنى لم أفهم كل ما كانوا يتبادلون من أقوال.

فى الأيام التالية، بل و فى كل أيام الرحلة لم نهتم بقطع المسافات المحددة إذ لم يكن باستطاعتنا فعل ذلك بل كان جل اهتمامنا الوصول إلى أماكن نجد فيها ماء لأنها كانت نادرة جدا فى البادية. و قد نجد آبارا بين مرحلة و أخرى حفرت فى الأزمنة الغابرة ثم طمرت، و قد يعمد الأعراب أنفسهم إلى طمرها من باب الدفاع عن النفس كى يبعدوا الأغراب عنهم و يمنعوا بذلك مهاجمتهم و إخضاعهم بالقوة. لقد لاحظ ذلك «ديودوروس سيكولوس» (أى الصقلى) فقال ان موطن العرب صحراوى، و هو بطبيعته يفتقر إلى الماء، و لهذا السبب لم يتسلط على العرب سادة غرباء، فلا الفرس و لا المقدونيون و لا الأتراك حديثا و لا الروم قديما، و لا أية أمة أخرى مهما قويت شوكتها لم يتمكنوا من إخضاع العرب. بل كانوا ينقادون إلى أمراء من جنسهم كما ذكر ذلك «سترابون» و هؤلاء الأمراء بدورهم كانوا ينتمون قديما

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۶

إلى إحدى الدول الشديدة البأس المجاورة لهم. فبعضهم انتموا إلى الرومان و البعض الآخر إلى الفرس و هذا ما نراه إلى اليوم. فهناك أمراء يدينون بالولاء للفرس لقربهم منهم و البعض الآخر للأتراك و من بين هؤلاء الأمير فياض.

و كما ذكرت آنفا فإن الأعراب يحاولون حماية موطنهم بسد عدد من الآبار القريبة فلا يعرف أحد محلها سواهم، فإذا حاول غيرهم ممن لا خبرة له بالصحراء الواسعة زج نفسه هناك فإنه سيتيه لا محالة و يضل، و يكون الموت مصيره. و ذلك ما حدث للكثير من الغرباء.

فى كل يوم نذهب فى طلب الماء، يدلنا إليه رجال من أهل المنطقة ذوو خبرة فى الطرق و موارد الماء و كانوا يعرفون تلك الأماكن من مراقبتهم النجوم فى الليل و من نظرهم إلى البطاح و التلال فى النهار. فهم يعرفون الطرق على اختلافها: البعيدة منها و القريبة و يستدلون فى سيرهم بأمور كثيرة، فالأرض عاليها و واطئها، و لون الأديم و أنواع الأعشاب النابتة. كل هذه الأمور يعتمدون عليها فى سيرهم؛ إنهم يعملون كعمل ربان السفينة فى عرض البحر. و ما أدهشنى منهم بشكل خاص دقتهم فى الوصول إلى الآبار لأنها تقع عادة فى أرض منخفضة لا ترى إلا عند الوصول إليها؛ و فوهاتها كحفر عادية لا سور يحيط بها و لا علامة خاصة تدل عليها.

كنا نسير يوميا مسافة طويلة، و قد نقطع المسافة المقررة على مرحلة أو على مرحلتين، و قد نسير فى اليوم الواحد ۱۳- ۱۴ ساعة و أحيانا ست عشرة ساعة. و أتعس ما فى الأمر أننا نسير ليلا فى ضوء القمر فكانت تتغير من جراء ذلك أوقات أكلنا و نومنا بانزعاج شديد. لكن لا بد من التحلى بقليل من الصبر.

رأيت يوم الجمعة التالية عند ينبوع لا يصلح ماؤه للشرب ينابيع أخرى تتدفق من الأرض مياهها حارة يطلق عليها العرب اسم «الحمام».

شاهدت نهار السبت عند جملة آبار أخرى مياهها جيدة آثار مدينة كبيرة لا يرى منها إلا الأسس و بعض الأعمدة، و تيجان الأعمدة من الرخام كانت مبعثرة، و بقايا أسوار كثيرة من الحجر الأسود الضخم ذات أسس عريضة جدا. و يحكم الناظر من محيط المدينة أنها كانت ذات شأن و قد أهملت

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۷

لانتشار الجفاف هناك فآلت إلى الخراب. و يسميها العرب «سيريا أو سريا» و يقولون إن سكانها القدماء كانوا نصارى. و هناك طلل كبير يزعمون أنه بقايا كنيسة و لكنى لم أعرف عنها شيئا لأن ما بيدى من كتب لا تذكر شيئا عنها و لم تسعفنى الذاكرة لأتحقق من قدمها.

أما يوم الأحد فلم نشاهد سوى الصحراء القاحلة، و كلما كنا نتوغل فيها كانت تقل الأعشاب.

وصلنا يوم الإثنين عند الظهر إلى موضع مأهول بالسكان و مسوّر يطلقون عليه اسم «مدينة طيبة» و الحقيقة ان الاسم يطابق المسمى ففى صحراء قاحلة يفتقر إلى أى نوع من المؤن يجد المسافر فيها كل ما يحتاجه من مؤن:

كالدجاج و البيض و الرقى و القثاء و غير ذلك من خيرات كنا حرمنا منها منذ أن بارحنا حلب. فأقمنا ذلك اليوم فى «طيبة» و انتهزت فرصة وجودنا هناك فدخلت إلى البلدة لألقى نظرة عليها، فرأيت آثارا قديمة فى المسجد، و الأثر هو برج ناقوس مشيد بالطابوق من حجم متوسط كان لكنيسة، و بعض الأعمدة التى أدخلها المسلمون فى البناء و هو من اللبن، و رأيت فى داخل المسجد حجرا قديما مربع الشكل بنى فى الجدار و هو محط تكريم الأهالى و عليه كتابة يونانية و تحتها سطران محفوران بأحرف غريبة على، شبيهة بالحرف العبرى أو السومرى، فنقلت الكتابة و احتفظت بها. و لما علقت عليها بعض الشروح أمام الحاضرين البسطاء اعتبرونى رجل علم و قالوا إنه لم يستطع أحد من الذين نظروا إلى اللوحة من قبلى قراءة سطورها و شرح فحواها.

رحلنا يوم الثلاثاء ليلا و بعد أن قطعنا أميالا عديدة وجدنا فى مكان آخر مدينة لها قلعة و أسوار مشيدة بحجارة ضخمة حسنة الصنعة لكنها متهدمة، و يسميها العرب «الحير» و يزعمون أنها كانت مدينة سكنها اليهود على عهد الملك سليمان، و اللّه أعلم. لأنه من يبنى رأيا على أقوال و تقاليد بدو أميين؟

و أى استنتاج يمكن أن يستخرج من اختلاف الأسماء القديمة عن الحديثة خاصة

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۸

بالنسبة إلىّ و أنا هنا أملك بيدى مرجعا جغرافيا أستعين به.

يوم الأربعاء شاهدنا قبورا حديثة العهد فى أماكن مرتفعة و هى لبعض التركمان المار ذكرهم و لعرب البادية. ان هؤلاء الناس يدفنون حيثما يلاقون حتفهم و يكتفى القوم بوضع حجر على القبر كعلامة على وجوده لا غير.

يوم الخميس لم نشاهد شيئا يستحق الذكر.

يوم الجمعة مساء رأينا عن بعد على الفرات قلعة تدعى «الرحبة» و قيل أنه يوجد ثمة آثار قديمة، و لا عجب فى ذلك لأن مدنا كثيرة مهمة قامت قديما على ضفاف هذا النهر. و لم نذهب لمشاهدتها عن قرب لئلا يطول بنا الطريق.

يوم السبت و كان الأول من تشرين الأول [۱۶۱۶] وصلنا عند الضحى إلى بعض التلال التى يجرى من تحتها نهر الفرات، و هو النهر الذائع الصيت فى العالم؛ فشربت براحتى من مياهه العذبة، و نصبنا هناك خيامنا و أمضينا النهار كله بالاستراحة من تعب سفر الليلة السابقة.

و بعد أن أخذت نصيبا من النوم، لم أشأ إضاعة الوقت، فبدأت أتجول فى تلك المنطقة. فرأيت بعض الآكام، أما سائر الأرض فكانت منبسطة كالصحراء التى قطعناها. و نظرا لرطوبة البقعة القريبة من النهر فقد نجمت أنواع عديدة من النباتات، و من جملتها الخرنوب البرى و نبات لا أعلم كيف أصفه أهو السرو البرى أم العرعر، فهو أشبه ما يكون بأرز لبنان لكنه أصغر حجما منه. كما وجدت النبات الذى يستخرج منه الرماد الضرورى لصنع البلور النقى فى البندقية و غير ذلك من أجناس النباتات التى لم أشاهدها من قبل، فجمعت منها شيئا قليلا و حفظتها باعتناء ضمن أغلفة مختلفة لأحملها إلى سيادتكم عملا بتوصياتكم.

لقد لاـ حظت أن كل الروابى التى على كتف النهر و الأرض المستوية كانت مغطاة بمعادن بيضاء اللون ترسل لمعانا، و لم أعرف ماهيتها أهى النطرون أم الطلق أو ما أشبه ذلك فأتيت بنماذج منها أيضا و شرحت فى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۲۹

«كتاب يومياتى» تفاصيل مشاهداتى بكل دقة.

استأنفنا سفرنا فى الليلة التالية بعد بزوغ القمر سائرين مع مجرى النهر عادة إلا عند ما كان النهر يبتعد بتعرجاته فكنا نقطع الطريق مباشرة.

يوم الأحد لم نشاهد شيئا يستحق الذكر، اللهم امرأة سوداء اللون قالت إنها من أسرة ابن الأمير و تدعى صبحة ... و قد أتت من جهة النهر الثانية.

و جدير بالذكر هنا أن كل مرة كنا نحط راحلتنا عند الماء كانت تتقاطر علينا جماعات من البدو رجالا و نساء يعبرون النهر من الجهة الثانية أو من الجزر العديدة المأهولة المنتشرة فى النهر، و يأتون سباحة على زقاق (الجراب) ينفخونها و لا يربطونها بل يلقونها تحت صدورهم و يعبرون النهر على هذه الطريقة بكل مهارة حتى ضد مجرى الماء. فمنهم من يأتى لإلقاء نظرة فقط، و منهم من يأتى ليبيع السلع على المسافرين. إنه و الحق يقال منظر جميل للغاية، و قد أعجبت بمهاراتهم فى السباحة و مجابهتهم تيار الماء.

يلبس الأـعراب عادة قميصا بسيطا ملونا .. و يرتدون أحيانا فوق قمصانهم هذه رداء فوقانيا من صوف خشن مفتوحا من الأمام و لا أكمام له و يسميه الأـعراب عباءة، و هم يلبسون هذه العباءة و خاصة أولئك الذين يريدون أن يظهروا بمظهر الأناقة بإلقائها على الأكتاف على هيئة الفيرايولو و منهم من يخلع ألبسته عند عبوره النهر و يجعلها كصرة يلقيها فوق رأسه كى لا تبتل فيعبر النهر عاريا ثم يلبسها ناشفة، و منهم من لا يهتم كثيرا فيعبر النهر دون خلعها.

يوم الإثنين رأينا عند ضفة النهر مساحات من الأرض مزروعة بالدخن فى الأكثر لأن الأعراب يفضلونه على الشعير و الحنطة. و فى

المساء شاع فى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۰

منظر القافلة القافلة خبر مفاده أن البدو يزمعون الهجوم علينا و لا أعلم مصدر هذه الإشاعة أكانت من الحراس أم أنهم اكتشفوا حقيقة وجود جماعة عن بعد و قد علمنا بعد ذلك أن لا صحة للخبر.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۱

فى اليوم التالى لم نلاحظ شيئا جديرا بالذكر. و لكن فى اليوم الخامس من تشرين الأول نزلنا عند بلدة تسمى «مسجد على» و جدير بالذكر أن أماكن عديدة فى تلك المنطقة تحمل هذا الاسم لأن القوم يعتزون بإطلاق هذا الاسم تيمنا بأمير المؤمنين الخليفة على و يروى- نقلا عن الفرس- إن الخليفة على مر فى هذه النواحى عند ما خرج للقتال فترك قسما من جماعته فى بعض تلك الأماكن و لذا فقد أطلقوا اسمه على أكثر من مكان فى تلك المناطق تخليدا لذكرى مروره بها و إقامته الصلاة فيها .

بلدة عنة

فى السادس منه وصلنا إلى «عنة» و هى مدينة رئيسة فى البادية و لم أتذكر اسمها القديم تقع على الفرات فيشقها إلى شطرين الشطر الواحد فى جهة البادية و الشطر الآخر جهة ما بين النهرين و ليس فيها جسر، بل يعبرون من جانب إلى جانب بالزوارق الموجودة بكثرة. و لها شارع واحد فى كل جانب و هى ليست بلدة صغيرة و تميل إلى الطول فيبلغ طولها خمسة أميال و بيوتها من اللبن كسائر مدن تلك الأطراف، و هى حسنة البناء لطيفة المنظر، و للبيوت بساتين عامرة بالأشجار المثمرة من مختلف الأنواع. فهناك النخيل و البرتقال و الليمون و التين و الزيتون و الرمان و بكلمة واحدة جميع أنواع الأشجار و لقد رأيت أيضا أشجار الرند البرى ذات الأوراق الكبيرة. إن وجود كل ذلك فى وسط الصحراء لهو منظر رائع حقا.

و فى النهر جزر كثيرة غرست فيها الأشجار و لو أحسن الأهلون الاعتناء بها و تنظيمها لكانت أجمل شىء على وجه البسيطة. و قد حولوا إحدى تلك

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۲

الجزر إلى قلعة لتوسطها الجزر الأخرى و لموقعها الوعر لكن لا قيمة دفاعية لها أمام هجوم قوى. و ليس للمدينة- أى عنة- سور فالنهر يقوم مقامه من الجهة الواحدة و سلسلة تلال صخرية تنتهى فى البساتين من الجهة الأخرى.

و ليس للمدينة مجال للتوسع عرضا و لا يمكن الدخول إليها إلا من مداخل ضيقة من طرفيها. إن الطبيعة أحكمت تحصينها!

الأمير فياض أبو ريشة

إن الأمير فياض هو سيد هذه المدينة، و له فيها بيت لعله أجمل بيوت المنطقة و قلما يسكن هناك لأنه يتنقل على مدار السنة فى البادية متفقدا شؤونها ليحميها من كل طارىء من الخارج، و يتقاضى الضرائب فى كل المناطق الخاضعة له و التى تقع فى أطراف البادية لأن البلدان فى قلب البادية نادرة جدا. و هو لا يكتفى باستيفاء الضرائب من العشائر الخاضعة له بل يجمعها من أماكن أخرى تخضع للسلطان و لأمراء آخرين، فيؤدونها له تخلصا من شره و شر غزوات أتباعه. و كثيرا ما يطلقون عليه اسم «الملك» تعظيما فهو سيد مطلق يحكم فى بلاده و يأخذ الضرائب من المناطق المجاورة حتى تلك الخاضعة للسلطان مباشرة، و قد يستعمل القسوة أحيانا، و مع تمتعه بالحرية المطلقة فى البادية إلا أنه يبدى بعض الطاعة للحكومة التركية فإذا دعى إلى حرب لبى الدعوة و ذهب على رأس جيشه أو فى الأقل أرسل رجاله للاشتراك فى الحرب. إنه يعمل بما يأمره السلطان أو الولاة و هو مخير فى طاعته بحسب ميوله فهو الذى يقرر متى و كيف يطيع، كما يفعل بعض الأسياد الإقطاعيين فى بلادنا ... لأنه فى الواقع فى موضع حصين لا تطاله الأيدى .

الأمير فياض رجل مستقيم، و قد حظى بخضوع الآخرين بأدبه، و طهر بلاده من رجال السوء، فهو لا يتوانى عند الحاجة عن إنزال العقاب الصارم حتى بذوى قرباه و لهذا السبب تسير القوافل فى أراضيه بأمان، و تعيش المدن

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۳

و القرى المتاخمة بهدوء فلا يسمع عنها أخبار أو حوادث النهب و الغزو كما كانت على عهد الأمراء السابقين الذين عاثوا فى الأرض فسادا، و لم تسلم الحواضر المهمة مثل دمشق و حلب من أذاهم، و كذلك المدن الأخرى الخاضعة للسلطان.

لقد أسهبت فى الكلام عن هذا الأمير و لا بد أن أضيف بأنه يلقب باسم «أبو ريش» و هذا هو لقب أسرته القديم ... و يدعى أن نسبه يتصل بسيدنا نوح و لو صح هذا الادعاء الذى لم أقتنع به شخصيا فلا ريب أن عشائر البادية رغم خشونة حياتها هى أشرف شعوب الأرض قاطبة.

من المؤكد- حسب رأيى- أنه: إذا كانت هناك أمة لها حق الادعاء بالقدم و بشرف الأصل عبر الأجيال فهى الأمة العربية، فالعرب يعشقون الحياة الحرة فى الصحارى رغم خشونتها، و لا تطيب لهم حياة المدن، إذ يرفضون الخضوع للغريب و هم منذ أقدم العصور لم يختلطوا و لم يتصاهروا مع الغرباء أبدا بل يتزوجون من بعضهم فحافظوا بذلك على نقاء دمائهم.

طبيب الأمير

يعيش عند الأمير فياض رجل مسيحى اسكتلندى الأصل يدعى «جورج ستراكان» و هو رجل علم و أدب كان سابقا فى حلب فانتقل منها و قصد الأمير فياض رغبة منه فى إتقان اللغة العربية، و أخذ يمارس عنده مهنة الطب مع أنه لم يكن طبيبا بل أخذ شيئا من هذا العلم عن طبيب فلمنكى فى حلب كانت تربط بينهما صداقة فتعلم بعض الوصفات الطبية و لأنه رجل علم و محب للمطالعة كان يمارس هذه المهنة بشكل مرض بين ذلك الشعب البسيط. و قد ساعده حسن الطالع حين وصوله إلى خدمة الأمير إذ شفاه من انحراف طرأ على صحته فاكتسب بذلك ثقته التامة و أصبح صاحب نفوذ لديه و حصل على ثروة طائلة. ثم اكتسب ثقة زوجة الأمير لأنه كان يمنع الأمير من الاقتران بنساء أخريات بحجة أنه سيضر بصحته. و لقد طبقت شهرته البادية كلها و نال احترام القوم و إعجابهم، و قد تحققت بنفسى من احترام الأمير له فقبل مدة

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۴

كان الأمير فى نواحى حلب ففارقه الطبيب ستراكان لأمر له فى المدينة و بالرغم من أن الأمير كان مقررا الرحيل لكنه لبث ينتظره خمسة عشر يوما ثم اضطر إلى السفر فترك أحد أمنائه على رأس مئة فارس ليرافقوا ستراكان عند عودته لئلا يسافر وحده فى الفلاة أو يهرب منهم و لو أنه لم يفكر فى ذلك.

و خلاصة القول أن الأمير يحترمه جدا و يغدق عليه الهبات و هو ما يريده الطبيب، لكنى لا أعتقد أنه سيبقى معه، لأنه لا بد أن يغادر بعد أن يجمع مبالغ طائلة، فحياة البادية صعبة.

لقد أتقن ستراكان اللغة العربية حتى لا يمكن تمييزه عن العرب لهجة و نطقا و لباسا و أصبح بدويا بكل ما فى الكلمة من معنى. هذا ما قيل لى عنه لأنى لم ألتق به قط .

التقسيم الاجتماعى للعرب

إن لفظة بدوى مشتقة من البادية و هى الصحراء، و العرب أربعة أقسام أو فئات أشرفها البدو ثم المعدان أى المتشردون الذين ليس لهم مقر ثابت و هم معنيون بتربية الجاموس و بيع الحليب و يقيمون تارة فى البادية و أخرى فى المدن؛ و أقلهم شأنا فى نظرهم الحضر الذين يعيشون فى المدن بصورة دائمة ثم الفلاحون الذين يزرعون الأرض، فالعرب ينتمون فى آخر الأمر إلى إحدى هذه الطبقات.

لنأخذ على سبيل المثال أهل بلدة «عنه» لا شك فى ان رجالها هم من جماعة الفلاحين لكن لهجتهم و زيهم و عادات نسائهم و موقع بلدتهم فى وسط البادية تجعلهم بدوا حقيقيين لا بل أكثر البدو تمدنا فى العالم لأن لباسهم و منظرهم علاوة على أنه محترم جدّا فهو أيضا فريد للغاية. إذ أن عددا كبيرا منهم يلبسون الحرير الرائع و عباءاتهم نادرة الألوان و هى عادة مخططة بلونين

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۵

متوازيين هما الأبيض و الأسود أو الأبيض و البنى، و أشكال أخرى مختلفة لا تخطر على بال كما يقول الأتراك، إضافة إلى العقال و الشرابات المتهدلة و الأحزمة و الأسلحة و أغطية الرأس أى الكوافى و أشياء أخرى ظريفة جدا راقت لى كثيرا منذ أن وقع نظرى عليها حتى عزمت أن ألبس مثلهم و أظن أن زيهم هو أجمل و أثمن لباس عرفته، و سترى يا سيدى صدق قولى عند ما أعود بإذن اللّه إلى إيطاليا فهناك سألبس هذا الزىّ فى حفلة تنكرية أو فى أية حفلة ظريفة أخرى و سأكون دون شك موضع إعجاب الحاضرين.

أقمنا فى عنة خمسة أيام مخيمين خارج البلدة غير بعيدين عنها لأن أكثر الجمالة هم من أبنائها. و قد قرب عيدهم و هو عيد الفطر، فأرادوا أن يقضوه وسط عيالهم لأنهم يمضون أكثر أيامهم بعيدين عنهم.

خلال هذه الفترة التقطت من أهالى البلدة بعض الأخبار التى أكدها أحد الجمالين و كان برفقتى، إذ قال إن فى البلدة طائفة تعيش فى ظهرانيهم تعتقد سرا خلاف معتقد المسلمين، و هى جماعة غريبة فى بابها، إذ لا يؤمن أتباعها بالآخرة و لعلهم لا يؤمنون بوجود اللّه إذ لا صيام عندهم و لا صلاة و لا يقيمون شعائر العبادة للّه و لا يأخذون القرابة الدموية بعين الاعتبار عند تزوجهم بل يجوز عندهم الزواج بالأقربين كالأمهات بأولادهن و الإخوة بأخواتهم دون خجل من الحرام، أو تبكيت ضمير لا بهذا الأمر و لا بسواه. و يعتقد- محدثى- أنهم يعبدون الشمس لأنهم ينحنون لها صباحا عند شروقها و يحيونها بالتمتمات و الرموز الخاصة و يفعلون ذلك سرا لأنهم إذا أظهروا جهارا يعرضون أنفسهم إلى أشد العقوبات. لأن المسلمين يرذلون هذه الفرقة و هى أثيمة فى نظرهم، و قد وجدوا مرة كتابا خاصّا بهذا المعتقد فأحرقوه علنا بأمر من الأمير مع النخلة التى علق عليها. فعبادة الشمس و الاقتران المشين بالأقارب الأقربين و قرب المكان من بلاد فارس جعلنى أعتبر هذه الطائفة من بقايا المجوس القدماء، و دين المجوس يرجع بالأصل إلى زرادشت و قد دخله على مر

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۶

الأيام تأثير المانويين كما نوه بذلك أكاثياس و كما نقرأ فى كتب الأقدمين عن قوم كانوا يتزوجون بغباء على هذه الصورة كالأمهات بالأبناء و أمور أخرى شبيهة بالتى حدثنى عنها أهل عنة عن هؤلاء الساكنين بين ظهرانيهم .

كان شباب عنة و صبيانها يتقاطرون إلى خيامنا فى تلك الفترة و هم ينشدون الأغانى العربية و يعزفون على آلات الطرب و يرقصون و قد ارتدوا مختلف الأزياء- و كأنهم فى حفلة تنكرية- و يمثلون أمامنا بعض الحوادث و ذلك بمناسبة قرب حلول عيدهم فكنت أتحفهم بالهدايا و كانوا بدورهم يكررون ألعابهم و يرددون أغانيهم الجميلة. و نظرا لغرابة هذه الأمور عنى فقد أكثرت من كتابة الملاحظات الدقيقة فى دفتر يومياتى.

يوم الأحد ۹ تشرين الأول: عبرت القافلة النهر بالقوارب إذ لا بد من عبوره من أجل الوصول إلى بغداد أو أى بلد آخر؛ و قد لا حظت أمرا غريبا فى تلك القوارب إذ إن دفتها غير ملتصقة بها كما فى سائر البلاد بل بعيدة عن القارب نحو قصبتين ، و تدار بواسطة خشبة طويلة تمتد إلى داخل القارب بقدر بعد الدفة و لم أفهم غاية هذا الترتيب و لكن لا بد أن القوم رأوه صالحا نتيجة الخبرة الطويلة.

بعد عبورنا النهر نصبنا خيامنا على جانب «بين النهرين» و لا حظت الأرض هنا صحراوية لا تختلف عن بادية العرب فهى قاحلة مستوية تنبت فيها نفس الأعشاب.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۷

توقفنا هناك ذلك اليوم و كان الجمالون يرغبون بالاحتفال فى بيوتهم بالعيد لكن بعض الأتراك ألحوا عليهم بمتابعة السفر فرحلنا

فى اليوم الحادى عشر من الشهر و كنا نسير بمحاذاة النهر كما كنا نفعل و نحن فى الجانب الآخر، و مساء ذلك اليوم أمطرت السماء للمرة الأولى رذاذا خفيفا صحبته عاصفة شديدة قلبت خيامنا لكنها لم تدم إلا سويعة من الزمن.

احتفل المسلمون بعيدهم فى الثالث عشر من الشهر و بعد تناول الفطور تابعنا سيرنا تاركين النهر وراءنا متجهين شرقا فتوغلنا فى الصحراء قاطعين أرض بين النهرين بخط مستقيم. و لم نفعل ذلك رغبة باختصار الطريق بل إرضاء للتجار ليتسنى لهم تهريب الأموال الكثيرة التى كانت بحوزتهم و التخلص من دفع رسوم المكوس فى بغداد. لقد فعلوا ذلك رغم صعوبة الطريق و فقدان وسائل التموين و احتمال وجود قطاع الطرق هناك بينما يمر الطريق المحاذى للنهر بأماكن مأهولة يجد فيها المسافر مؤونة. لقد سلكوا ذلك الطريق ليدخلوا إلى المدينة من الجهة الثانية لأنها مفتوحة و لا يوجد هناك سور، فمتى دخلوا المدينة لا يستطيع رجال المكوس تفتيشهم و وضع اليد على المهربات.

من عادة رجال الحكومة الخروج إلى ضواحى المدينة للتفتيش و حين يبلغهم خبر قدوم القوافل يذهبون أمامهم مسيرة أيام ليباغتوا التجار و يضبطوا رسم أموالهم و نقودهم.

لقد أرغمنا التجار على السير فى هذه الطريق الصحراوية الشاقة حيث لا وجود للزاد و الماء و إذا عثرنا على ماء فإنه لا يصلح للشرب أو الطبخ لملوحته العالية و مرارته ... لعن اللّه الطمع و الطامعين! و لم يكتف أولئك الخبثاء بهذا كله بل جعلونا نمضى أياما جهنمية بسبب الخوف الشديد من قطاع الطرق.

و لذا كانوا يحثوننا على الإسراع و لم يمنحونا فرصة لالتقاط أنفاسنا. لقد تمنيت الموت شنقا ألف مرة و فضلته على عذاب تلك الأيام!

أما الجمالون فقد ركبهم شيطان الغضب لأن مطاياهم كانت تتعذب جدا و قد نفق بعضها من الإرهاق الشديد و بالرغم من هذا كله حاولت التحلى بالهدوء و الصبر و سليت نفسى بمراقبة النباتات الغريبة و الأرض.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۳۸

لقد كنا فى حالة استنفار دائم، فعندما تسرح الجمال لترعى- إذ ليس من عاداتهم علف حيواناتهم- يذهب رجال مسلحون لحمايتهم لأنه فى أحد الأيام كادت تسرق جميع حيوانات القافلة و لم يجسر أحد على الابتعاد لحظة واحدة عن القافلة بدون سلاح .. حتى عند الذهاب لقضاء الحاجة الطبيعية! ..

ينتابنى الضحك و أنا أتصور نفسى قاعدا و بيدى البندقية و هى معدة للإطلاق! و بعد مسيرة سبعة أيام على هذا الحال من المشقة و الأخطار وصلنا يوم الأربعاء ۱۹ تشرين الأول إلى ساحل نهر دجلة الشهير و هو بلا ريب أكبر من الفرات لكنه لم يكن فى ذلك المكان سريع الجريان كما هو مشهور عنه، لا بل كان الفرات أسرع جريانا فى تلك المنطقة؛ و لإعطاء فكرة عن النهرين أقول؛ إن الفرات أعرض من نهر «التيبر» ، و دجلة أعرض من الفرات و يلتقى النهران بقرب البصرة فيدعى النهر المتكون من التقائهما باسم «شط العرب».

سرنا بمحاذاة جانب دجلة الغربى كما كنا نصنع و نحن عند الفرات و شاهدنا فى هذا المكان آثار خطوات الأسود إذ هى كثيرة فى تلك البقاع، و لا تختلف الأرض هناك عما رأينا فى القسم الذى قطعناه سابقا.

الكاظمية

وصلنا بعد الظهر إلى مكان يدعى «الإمام موسى» [الكاظم] و هو مزار يكرمه المسلمون و تكثر النساء خاصة من زيارته يوم الجمعة، و يأتيه المؤمنون من بغداد، و هو يبعد عن المدينة المذكورة مسيرة ساعة، كما يقصده الزوار من بلاد بعيدة خاصة من إيران لأنه يضم ضريح الإمام المذكور.

توقفنا عند هذه البلدۀ منتظرين رجال المكوس و أمضينا ليلتنا هناك فأقبل رجال الحكومۀ ليستوفوا الرسوم من القافلۀ لكنهم لم يجدوا فيها ما يجديهم

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۳۹

نفعا، لأن التجار المحتالين كانوا قد هربوا النقود إلى مدينۀ بغداد أثناء الليلۀ السابقۀ و قسما كبيرا من الأموال داخل أحمال من الحشيش و القصب و ما شاكل ذلك فوصل إلى المدينۀ، و لم يتركوا إلا شيئا يسيرا لإبعاد الشبهات عنهم لأنهم كانوا من التجار المعروفين بالغنى.

حدث لنا فى هذا المكان أمر طريف فإننا حين ألفينا أنفسنا قريبين من المدينۀ و محاطين بعسكريين كثيرين أتوا مع رجال المكوس لاستيفاء الرسوم ظننا أننا فى أمان فتركنا خيامنا مفتوحۀ الأطراف و استسلمنا لنعاس لذيذ، فانتهز الفرصۀ بعض اللصوص و دخلوا خيام المسافرين، و راق لهم زيارۀ خيمتى أيضا فأخذوا كيس ثيابى و لم أشعر بهم إلا فى الصباح. و علمت حينئذ أن مسافرا إيطاليّا آخر سرقت بندقيته من تحت رأسه و فرحت لأنهم أبقوا لى صندوق كتبى و أوراقى و هو كنزى الصغير العزيز، فحمدت اللّه على هذه المنۀ و إلا- لكنت وقعت فى حيرۀ و فقدت صبرى. لقد كان الصندوق إلى جانب الألبسۀ و لحسن حظى لم يأخذوه رغم شكله و طريقۀ ربطه إذ يدلان على أنه كنز ثمين.

فى اليوم التالى المصادف ۲۰ تشرين الأول عند الظهر تركنا منطقۀ «الإمام موسى» و سرنا باتجاه بغداد و نزلت فى دار أعدت لى، و لم تكن الدار فى جانب بين النهرين (يريد الكرخ) بل فى الجانب الآخر و هو القسم الأكبر من بغداد و الأكثر أهميۀ فأخذنا نصيبنا من الراحۀ بعد ذلك السفر الشاق للغايۀ .

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۴۱

بغداد سنۀ ۱۶۱۶ م

لا بأس أن أبدأ الآن بالتحدث عن هذه المدينۀ التى مكثت فيها فترۀ طويلۀ و اطلعت عليها جيدا فزرت معالمها و طفت بضواحيها.

ملاحظتى الأولى أوجهها إلى الذين يخلطون بين بابل القديمۀ و بغداد و يظنون أنهما شىء واحد كما يعتقد العوام. إن بابل القديمۀ كما ذكر الأقدمون تقع على الفرات و ليست على دجلۀ حيث تقوم بغداد.

الملاحظۀ الثانيۀ ان بناء بغداد و طراز عمارتها و الكتابات العربيۀ التى تقرأ فى مواضع عديدۀ منها محفورۀ و منها بارزۀ تدل على أنها مدينۀ حديثۀ و هى من بناء العرب المسلمين دون أدنى شك يؤكد ذلك ما جاء من أخبار عنها فى كتب تاريخهم.

و لعل سبب اعتقاد البعض أن بغداد هى بابل هو وجود كميات كبيرۀ من الآجر بحالۀ جيدۀ يعود بالأصل إلى بابل القديمۀ و من بنايات كثيرۀ كانت قائمۀ و قد زالت معظم معالمها و لم يبق إلا بعض الآثار و الجدران و الحقيقۀ أنه لو حفر فى أى موضع فيها و لمساحات كبيرۀ لعثر على كميات وافرۀ من الآجر الجيد و الأسوار القديمۀ. من هنا تولدت القصۀ التى يرددها المسلمون إلى اليوم فيقولون إن البلاد كانت عامرۀ من بغداد إلى البصرۀ دون انقطاع، فحدث ان ديكا فرّ من بغداد فعثر عليه فى البصرۀ التى تبعد عن الأولى مسيرۀ ۱۲ يوما و كان يقفز فوق السطوح من بيت إلى آخر حتى وصل إلى البصرۀ التى تقع على الخليج!!

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۴۲

من جهۀ أخرى ظن البعض أن بغداد هى سلوقيۀ أو طيسفون نظرا لوجود الآثار الكثيرۀ فى البلاد، و القناۀ التى تبدأ من الفرات لتصب فى دجلۀ عند بغداد و قد توهم هؤلاء أيضا لأن سلوقيۀ و طيسفون حسب رأيى الذى يستند على معلومات أكيدۀ كانتا فى موضع آخر كما سأوضح ذلك عن قريب فى وصف آثارهما الباقيۀ.

يطلق الجميع- من عرب و أتراك و فرس- على المدينۀ اسم بغداد، إلا الجهلۀ فقد دعوها بغدات و هذا خطأ واضح؛ أما العوام فى

أوساطنا فقد سموها بابل كما أسلفنا.

كانت بغداد قاعدة الخلفاء. ذكرها ماركو بولو البندقي و هايتون الأرمني لكنهما شوها لفظ اسمها فقالا «بلداك» و حورها شاعرنا بتاراك إلى «بلداكو».

و تقوم المدينة كما أسلفت على نهر دجلة و تقسم إلى قسمين: الأول على ضفة النهر الغربية أى من جهة بين النهرين و هو غير مسور، أما الشطر الأكبر فيقع على ضفة النهر الشرقية و يحيط به سور.

بناء بغداد فى كلا الطرفين من الطابوق القديم الجيد المشيد بدون ملاط و لكن بالطين كعادة الأتراك. لذا فعمارات المدينة ضعيفة لا تقاوم تأثيرات الزمن. و أكثر البيوت واطئة تكاد تكون بمستوى الطرقات أو أوطأ منها، و قد عمد القوم إلى هذه الطريقة فى البناء تفاديا للحر الشديد خلال فصل الصيف، و للسبب عينه جعلوا غرف البيوت مظلمة فلم يضعوا فيها نوافذ بل اكتفوا بكوة صغيرة فى كل غرفة. أما الهواء الطلق فلا يوجد إلا فى الأفنية و فى غرف

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۴۳

الديوان و هى الغرف المفتوحة على شاكلة الغرف الاسطنبولية. تتألف معظم البيوت من طابق واحد هو الطابق الأرضى و قد يكون فى بعضها مرقاة فى الفناء أو غرفة فى طابق علوى لكنها ليست للسكنى. لهم فى بيوتهم غرف تحتانية هى السراديب حيث يمضى أهل الدار فى فصل الصيف معظم ساعات النهار.

فى المدينة جوامع عديدة مشيدة على طراز خاص بها، أما القصور فلا وجود لها.

يسكن الوالى فى القلعة و هى بناء، كبير جدا يقع فى نهاية المدينة عند السور و تطل القلعة على النهر من جهته الشرقية و هى قلعة مكينة بالنسبة لهذه البلاد لكنها- حسب رأيى- لا تصمد للهجمات النارية فى حالة نشوب حرب بمعناها الصحيح.

هناك أسواق تجارية عامرة، و هى مغطاة كعادة معظم المدن التركية بعضها حسنة البناء تجد فيها بضائع كثيرة خاصة الأقمشة الحريرية لأنها تصنع فى البلاد نفسها، و هى للاستعمال المحلى لكنى لم أجد فى هذه الأسواق شيئا غريبا جديرا بالإعجاب.

تجد داخل أسوار المدينة مساحات كبيرة من الأراضى غير المشيدة، و تنتشر البساتين بين البيوت و فيها أشجار مختلفة كالنخيل و الرمان الجيد الكبير الحجم و الليمون. كما يزرعون فى بساتينهم الفجل و بعض الخضروات الأخرى. و يعتنى بعضهم بزراعة نباتات غريبة و يعتزون بأشياء لا نهتم بها نحن كالأفيون و بعض النباتات المخدرة الأخرى (كذا!).

أرض المدينة مستوية فإذا لم تفلح و تسقى و يعتنى بها فهى لا تختلف عن أرض الصحراء، أما إذا أهملت فترة فإنها تنبت فى الحال نباتات برية كالخروب و غيره.

إن الأهالى يتعبون كثيرا بطريقة سحب الماء من النهر لأنهم لم يعرفوا طريقة الدواليب الكبيرة (النواعير) التى يعمل بها الفلاحون المصريون،

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۴۴

فطريقتهم البدائية تتطلب عددا من الحيوانات و جهدا كبيرا .

هواء المدينة نقى لكنه حار، فتصور يا سيدى اننا الآن فى شهر كانون الأول و لا يزال عدد كبير من الأهالى ينام فى غرف الديوان المفتوحة.

فى هذا الموسم نجد هنا البطيخ الفاخر لكنه ليس من إنتاج بغداد بل يجلب من الموصل القريبة من نينوى يحمل فوق نهر دجلة مع بضائع كثيرة على أرماث ليست من الخشب كالقوارب لكنها تصنع من مجموعة من الأحطاب المربوطة إلى بعضها فوق أجربة منفوخة بالهواء يطلق عليها اسم الكلك و مزية الزقاق أى الأجربة أنها تطوف فوق المياه مهما كانت ضحلة و لا تنكسر الأحطاب إذا ارتطمت بمواضع صخرية فى النهر بعكس الأخشاب و استعمال الأكلاك فى دجلة منتشر جدا شمال بغداد، و هى تحمل بضائع مختلفة غالية

القيمة قد يبلغ ثمنها أكثر من مئة ألف سكودو علاوة على المسافرين، لكن الأكلاك لا تسير عكس التيار لذا فبعد ان تصل إلى بغداد تحل الأجربة و تعاد إلى الموصل عن طريق البر أو تباع فى السوق لتستعمل فى أغراض أخرى مختلفة.

لقد ذكر «زينوفون» فى تاريخه أن جنديا من رودس اقترح على قائده استعمال الزقاق أو الأجربة المربوطة ربطا محكما إلى بعضها و شد الأحطاب عليها لعبور جماعته فوق دجلة، فراقت الفكرة فى عينى قائد الحملة لكنه لم يطبقها لأسباب حالت دون ذلك. كما ورد ذكر الأكلاك فى مؤلفات الأقدمين ..

يمر نهر دجلة بالمدينة فيشطرها إلى شطرين كما ألمحت، و يقوم على النهر جسر واحد مكوّن من مجموعة من القوارب العريضة يبلغ عددها ۲۹- ۳۰ قاربا، و عند ما يرتفع مستوى الماء فإنهم يضيفون عددا من القوارب.

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۴۵

و توجد مسافة بقدر عرض القارب الواحد تفصل بين قارب و آخر لكن الجسر مربوط ربطا محكما بسلسلة حديد. فالجسر ثابت و فى موضعين أو ثلاثة منه توجد أقسام متحركة غايتها قطع الجسر فى الليل ليتوقف العبور بين الضفتين كعمل وقائى ضد الشائعات المنتشرة عن قرب هجوم الفرس من جهة، و الأعراب من الجهة الأخرى. فكم من دواه تتمخض عنها الليالى!

أما القسم الآخر من بغداد فلا- سور له (يعنى الكرخ) لذا فإن قطع الجسر فى الليل يؤمن لأهالى ذلك القسم الاطمئنان. و فى وسط الجسر فتحة غايتها تقسيم الجسر إلى قسمين و سحبه عند الحاجة بحيث لا يبقى له أثر؛ و هذا ما يحدث عند هبوب العواصف الهوجاء أو عند ارتفاع منسوب المياه خوفا من انجرافه مع التيار فالفيضانات تتكرر فى هذه البلاد كما تحدث فى مصر. و قد شقوا بعض الترع لنقل المياه إلى الأراضى المجاورة لأن الأمطار قليلة فى تلك النواحى.

يحدث الفيضان مرة واحدة فى السنة فى شهر آب كما فى مصر .

و ذلك لذوبان الثلوج فى الجبال. هذه الفيضانات الجارفة هى فى رأيى السبب المباشر الذى حال دون إقامة جسور حجرية ثابتة على نهرى دجلة و الفرات، لأنها بغزارتها تغمر الجسور، و بقوتها تجرفها أحيانا. و لهذا يكتفى القوم فى بغداد و فى غيرها من المدن بهذا النوع من الجسور المتحركة.

سكان بغداد مسلمون من مختلف الميول لذا يتوجب على واليها أن يحكم باعتدال كبير. و للباشا مجموعة من العساكر من أهل البلاد يسوسها بالعقل أكثر مما بالقوة.

هناك أمور عديدة لن أكتبها الآن و سأحدثك عنها فيما بعد.

لم أجد فى بغداد أبنية جديرة بالاهتمام ..

[يروى السائح فى الصفحات ۳۷۴- ۳۷۶ حادثا مشؤوما و هو الخلاف بين اثنين من رجاله أدى إلى مقتل أحدهما فى ۱۱ تشرين الثانى فاستطاع

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۴۶

صاحبنا ان يتلافى الأمر بالرشوة و بمساعدة جندى تركى أن يهرّب القاتل إلى أوروبا و أن يتخلص من جثة القتيل برميها فى دجلة].

لم يكن فى بغداد كنائس، و حيث وجدت فى البلاد التركية كان محرما دفن الأموات فيها، فدفن الأموات داخل المدن كان ممنوعا إلا لذوى الشأن، و كانت مقابر المسلمين فى ضواحى المدينة كما كان للنصارى مقابرهم الخاصة حسب طوائفهم و طقوسهم. لأن المسيحيين و فدوا إلى بغداد منذ سنوات قليلة هربا من الحروب و القلاقل فى البلاد الأخرى، و لا توجد حتى الآن كنيسة خاصة بهم و لا يسمح لهم بإقامة الشعائر الدينية لذلك فعند ما يريدون إقامة القداس يجتمعون سرا فى بيت خصص لهذه الغاية و يقام القداس حسبما فهمت من دون مذبح خوفا من السلطات التركية أن تعثر عليه فتكون العاقبة و خيمة، و عوضا عنه يبسط أحد الكهنة أو الشمامسة يديه فتغطيان بقماش نظيف يقوم مقام المذبح .

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۴۷

رحلة إلى بابل

منذ أيام و أنا أشتاق للخروج و السفر إلى بابل، الواقعة على الفرات مسيرة يومين عن بغداد حيث كان برج نمرود و الآثار الكثيرة التى قيل لى إنها لا تزال تشاهد هناك. لكنى لم أذهب لأنه كانت قد انتشرت فى تلك النواحى أخبار قطع الطرق و القتل من قبل الأعراب التابعين «لمبارك» .

يحكم مبارك حكما مطلقا فى المناطق الواقعة ما بين بغداد و بادية العرب حتى الخليج و لا يخضع للسلطان العثمانى بل يميل بالأحرى إلى الفرس لأنه أقرب إليهم و يرهب شوكتهم، و لأنه يجرى فى أراضيه نهر ينبع من الأراضى الفارسية يخاف أن يقطعوه عنه و بالرغم من أن اسمه «مبارك» و لقبه سلطان أى الأمير الحر لكنه عند ما يسك نقوده الخاصة فإنه يضع شعار الشاه عليها إلى جانب شعاره و يفعل ذلك- حسب اعتقادى- تقربا لا إكراها.

الحرب بين الفرس و العثمانيين و شيكة الوقوع الآن، و علاقات مبارك مع ولاة بغداد ليس على ما يرام، لذا نراه يحاول نشر الرعب فى البلاد و يعيث فى الأرض فسادا. و يستعد والى بغداد هذه الأيام للخروج على رأس حملة قوامها سبعة آلاف جندى و لا تعرف إلى اليوم غاية الحملة و وجهتها، أهى ضد الفرس المجاورين أم لتأديب مبارك. ففى الأشهر الماضية كان قد أرسل أحد ابنائه ليحكم البصرة فكسر شوكة الأتراك.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۴۸

لهذه الأسباب لم أذهب إلى بابل فى تلك الأيام، إذ كان علىّ أن أجد ما لا يقل عن مئة اعرابى لمرافقتى، و لم يرق لى الخروج بحماية جنود انكشاريين. ثم بلغنى فيما بعد أن شيئا من الهدوء قد عمّ تلك الجهات فقررت السفر.

غادرت بغداد فى التاسع عشر من تشرين الثانى (۱۶۱۶) مصطحبا خمسة من حملة البنادق الماهرين بالرمى و هم: السيد السندرى البندقى و الرسام و ابراهيم الحلبى مع جنديين من أتباع صديقى التركى. و رافقنا ثلاثة من الجمالين الماهرين برمى النبال من الأقواس مع مختلف أنواع الأسلحة الأخرى.

لم أشأ سلوك الطريق القصير المباشر عبر البادية بل حبا بالأمان توجهت إلى أقرب نقطة من الفرات لأسير بمحاذاته و أكون قريبا من الأماكن المأهولة فأنتقل من قرية إلى أخرى و كان معى بالإضافة إلى الجياد ثلاثة جمال لحمل الخيام و الأفرشة و المؤونة و محفة فيها سيدة نبيلة طاب لها المجيء معى و لم تبال بأخطار الطريق و لم أشأ تركها وحيدة فى المدينة و سأتكلم عنها فيما بعد.

رافقنا كذلك ثلاثة من المكارين يحملون الأقواس و مختلف أنواع الأسلحة و أمضينا الليلة الأولى فى قرية صديقى المسلم حيث استقبلنا رجاله.

فى اليوم التالى مررنا بقرية «الرضوانية» ثم قضينا ليلتنا فى قرية أخرى غير مسورة و بيوتها متناثرة لكنا كبيرة تستحق أن تسمى بلدة. جدير بالذكر أنه فى البلاد التركية يطلق اسم قرية على كل المواقع التى ليست مدنا فإذا قرأت- يا سيدى- أسماء كثيرة فى رسالتى فلا تعتقد بأنها كلها قرى صغيرة قليلة السكان لأن بعضها- فى الواقع- واسعة مأهولة بعدد كبير من الناس و عامرة بالبضائع رغم أن بيوتها الحقيرة مشيدة باللبن و أشبه ما تكون بالأكواخ.

تعود هذه القرية الكبيرة إلى «محمود باشا» الذى تسنم ولاية بغداد مرتين فانتهز الفرصة و كون لنفسه أملاكا كثيرة لذا لقبوه باسم «جيكال

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۴۹

أوغلى» أى ابن الصرصور و هو ابن ذلك الصرصور اللعين الذى كان قبطان البحر. و تسمى هذه البلدة «المحمودية» نسبة إلى محمود

باشا؛ و يفضل البعض تسميتها «الجديدة» لحداثة بنائها .

مررنا فى اليوم الثالث بقرية خربة اسمها «زوبية»(Zeobia) و بعد منتصف النهار وصلنا إلى نهر الفرات فأخذنا نسير بمحاذاته هناك ظهرت أمامنا جماعة من المسلمين بالبنادق و الأقواس و غير ذلك كانوا نحو ثمانية أشخاص أو عشرة و كانوا ممتطين صهوات جيادهم و إذا بهم يتجهون صوبنا فتهيأنا للقتال إذ ليس من الفطنة فى هذه النواحى الانتظار للتحقق من غاية القادمين، فأشعلنا فتائل البندقيات و جمعنا العباءات و العمائم الكبيرة و غير ذلك من الألبسة الفضفاضة فوضعناها تحت أنظار السيدة المرافقة لنا التى أظهرت روحا قتالية عالية أعجبتنى كثيرا فهى لم تخف البتة بل وقفت تراقبنا عند المحنة دون رهبة. أما الحيوانات فقد جمعت وراءنا و اصطف حملة البنادق و استعد أصحاب الأقواس أمامهم و هكذا تحركنا لمناجزة القادمين. فلما اقتربنا قليلا جرى حوار بيننا فعلمنا أنهم جنود من بغداد فزال الغضب و التحفز و تبادلنا أطراف الحديث و استمعنا إلى آخر الأنباء ثم قالوا إنهم اعتقدوا أننا من أتباع مبارك حين رؤيتهم ألبسة الرسام و جمال القافلة لأن أولئك يسافرون دائما على الجمال. ثم افترقنا فسارت كل جماعة فى طريقها. و أمضينا تلك الليلة فى خان عند النهر يدعى «خان المسيب» كان بناؤه جيدا و له جدران عالية أشبه بالقلعة و قد شيد فى وسط البادية لراحة المسافرين فهو مكان أمين.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۰

معانى تحرس ألبسة الرجال أثناء المعركة لا يعطى المسافر فى الخان إلا غرفة خالية، و قد لا يعثر على غرفة فتبقى أمام المسافر أروقة الخان لا غير، المهم أنه تحت سقف. و لا يدفع المسافرون

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۱

أجرة لقاء النزول فى الخان لأنه شيد من قبل الحكام لراحة المسافرين، أو حبا للخير و لوجه اللّه من قبل بعض الأفراد. أما خانات المدينة و هى كثيرة فإنها تستوفى أجرا بسيطا و يعطى فى بعضها للبواب شىء يسير عند تسليمه مفتاح الغرفة. و على المسافر النازل فى الخان أن يجهز نفسه للطعام و الأفرشة و غير ذلك إذ لا وجود للمطاعم فى تلك البلاد، و لا أعلم سببا لذلك. لكنى أعتقد أن الناس فى هذه الأطراف يقنعون بالقليل و المسافرون هم عادة فقراء يكتفون بالخبز و التمر و ما شابه ذلك و يفترشون الأرض و يلتحفون بألبستهم نفسها أما المسافرون الأغنياء فإنهم يعدون «البلاو» و هو الرز و يضيفون إليه اللحم إذا أمكنهم الحصول عليه فإن لم يجدوه أضافوا قليلا من السمن إليه و زيادة إلى ذلك يشربون القهوة و يدخنون التبغ و يحملون فراشا بسيطا و بعض الأوانى للطبخ و خيمة و يشدون كل ذلك على حمار صغير يسير أمامهم فهم يختلفون عنا نحن الإفرنج إذ أننا ننشد الراحة فى الأسفار و الفراش الوثير و الألبسة المتنوعة و يطيب لنا أكل الدجاج و البيض و الفواكه لدى توفرها رغم أن هذه الأمتعة الكثيرة تتطلب مزيدا من الدواب لحملها. و عند النزول فى مكان ما أرسل بعض رجالى إلى القرى المجاورة للبحث عن الطعام و ما أشبه و الحياة رخيصة جدا فمبلغ يسير يكفى لحياة رغيدة. لقد استهوتنى هذه الحياة و العيش فى الخيام فهى أفضل بكثير من تناول الطعام فى مطاعمنا حيث يقوم على الخدمة أناس قذرون يقدمون الأكل فى آنية و سخة تتقزز منها النفس، أما طبخهم و فراشهم فاللّه وحده يعرف حالتها، و أما صياح المكارين عندنا و صراخ المسافرين فيجعلون النوم مستحيلا و رهين إرادة الآخرين كما أن التكاليف عندنا أكثر بكثير مما هى عليه فى هذه البلاد.

دعنا من هذا الكلام و لنعد إلى موضوع رحلتنا ففى اليوم التالى غادرنا «خان المسيب» منذ الصباح الباكر و عند منتصف النهار رأينا من بعيد عن يسارنا

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۲

من مناظر الرحلة بلدة فيها مسجد يقال له «أبو القاسم» فهو مدفون هناك و لذا يحظى المكان بإكرام المسلمين و هو من أقارب على و سمى الموضع باسمه.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۳

ثم عرجنا على خان للنزول فيه و يقع قرب قلعة مهملة تسمى «خان البير» فى اليوم التالى و هو ۲۳ تشرين الثانى رحلنا مع الفجر فوصلنا إلى خرائب بابل قبل منتصف النهار بساعة فنصبنا الخيام و جلسنا لتناول الغداء بهدوء قبل زيارة الأطلال.

وصف آثار بابل

تجولت بين الآثار و طفت بها من مختلف أطرافها، و صعدت فوق أعلى موقع، و دخلت فى كل مكان و نظرت كل شىء و أعدت النظر. و هذه هى انطباعاتى عن مشاهداتى:

فى وسط سهل واسع جدا على بعد نصف ميل من الفرات الذى يجرى غربا فى ذلك الموضع نرى إلى اليوم فوق سطح الأرض بقايا بناء عظيم آل إلى الخراب يكوّن مجموعة هائلة، لا- يظهر أكان هكذا منذ الأول كما أظن شخصيا أم أن الخراب جعله هكذا فبان بصورة تل. مهما يكن فهو لا يشير إلى شىء.

إنه مربع الشكل له مظهر البرج أو الهرم، أوجهه تقابل جهات الأرض الأربع.

و يبدو لى أن القسم الممتد من الشمال إلى الجنوب هو أطول قليلا من القسم الآخر الممتد من الشرق إلى الغرب، و لعل الخراب فعل ذلك. يبلغ طول محيطه الكلى نحو ألف و خمسمائة خطوة تقريبا أى ما يقارب النصف ميل.

إن هذا القياس إضافة إلى الموقع و شكل البناء يتفق مع ما كتبه «سترابون» فى وصف الهرم المشيد على ضريح «بيلوس» و مع ما ورد فى الكتاب المقدس باسم «أرض نمرود» فى بلاد بابل كما يطلق عليها إلى الآن.

كيف كان هذا البناء الجميل فى وقته؟

إن هيرودوتس الكاتب و المؤرخ القديم يصفه بدقة فيقول، إن البناء

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۴

كان فيه ثمانية أبراج الواحد فوق الآخر و هو بناء متراص تحيط به مرقاة خارجية للصعود .

أما «سترابون» فإنه لا يذكر المرقاة، و لا يتوقف لوصف جمال البناء لأنه يضيف بأن البناء قد خرب قبل عهد «أحشويرش» و لما قدم «الإسكندر الكبير» قرر إعادة البناء لكن موته المفاجىء حال دون تحقيق رغبته .

يلاحظ أن تلول الخرائب الظاهرة حاليا لا تقدم أية إشارة إلى بناء سابق أو مدينة كبيرة كانت قائمة، كل ما هنا لك بعض الأسس و الجدران المائلة التى تشاهد على بعد خمسين أو ستين خطوة من التل. أما البقية فهى أرض مستوية و لا توجد بقايا أبنية فوق الأرض ما عدا التل الكبير، بالرغم من أننا نعرف كم كانت عظيمة أبنية بابل ... مهما يكن فهذا تأثير الزمن الذى يخرب كل شىء.

فقد مضى على بناء المدينة أربعة آلاف سنة أو أقل من ذلك قليلا. و ما يظهر الآن على قلّته أدهشنى فعلا. ألم يذكر «ديودورس الصقلى» و هو مؤرخ قديم أن الآثار الماثلة على عهده كانت نزرة جدا؟

إن ارتفاع التل الأثرى عن سطح الأرض يختلف هنا و هناك لكنه أعلى من أى قصر من قصور نابولى و ليس له شكل محدد خاص لأنه خراب ففيه قسم مرتفع و آخر بالعكس و فيه قسم منحدر و آخر منبسط و بالإمكان الصعود إليه.

كما تظهر عليه آثار انحدار مياه الأمطار، و لا أثر فيه لمرقاة للصعود أو باب للدخول، و إذا ما تسلقت إليه تجد بعض الكهوف المنهارة التى لا تفصح على أصلها و هى حسب اعتقادى تختلف عما كانت عليه بالأصل و لعل هذه المغارات من عمل أهل البادية حفروها للالتجاء إليها، و بالرغم من أن البدو يهابون المكان و لا يقتربون منه لاعتقادهم بوجود «هاروت و ماروت» فيه ، و هذان- فى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۵

اعتقادهم- ملاكان أرسلهما اللّه لتفقد الأرض و استطلاع أخبار البشر،- كما يتناقلون- وقعا فى حب امرأة التجأت إليهما ليعدلا بينها و بين زوجها، فطلبا منها أمرا فاحشا، فوافقت بشرط أن يلقناها الدعاء الذى بقوته ينتقل الملائكة صعودا و نزولا بين السماء و الأرض حسب رغبتهم، فأفشيا السر؛ و ما ان تعلمت الكلمات الضرورية حتى تلفظت بها فى الحال و حلقت إلى السماء تاركة الملاكين فى قنوط، فعاقبهما الرب على ميولهما نحو الحرام و أبقاهما سجينين فى المغارة ببابل، و هما معلقان بشعرهما حتى يوم الحشر، و لا أعلم أهما معلقان بشعر الحواجب أم بشعر الأهداب ... يا لها من خرافات!

لنعد الآن إلى خرائب البرج. إن المواد المستعملة فى البناء هى أغرب ما فى المكان لقد فحصتها جيدا و ضربت المعول فى أكثر من مكان فكسرت بعض القطع فإذا بكل ما أمامى آجر كبير الحجم و سميك مصنوع من الطين المجفف فى الشمس و مبنى بالطين أيضا إذ لا أثر للملاط فيه. لكنهم رغبة بتقوية البنيان أضافوا بين صفوف اللبن خليطا من القصب المسحوق و التبن بصورة حصران و فى بعض صفوف البناء و خاصة فى الأماكن التى هى ركائز مهمة لتحمل الثقل فقد وضعوا آجرا مفخورا بنفس الحجم السابق، و هنا استعملوا الملاط الجيد و القار، لكن كمية اللبن هى أكثر بكثير من الآجر المفخور. و قد طاب لى أخذ نماذج من مختلف أنواع الآجر و الحصران و القار ليطلع عليها الآثاريون، و سأحملها معى إلى إيطاليا.

و لقد ورد ذكر استعمال القار فى البناء عوضا عن الملاط فى هذه البلاد فى مؤلفات «جيوستينو» فى كتابه المعنون «مختصر تروكو» فى سياق كلامه عن بنايات «سميراميس» لكن الكتاب المقدس نفسه فى أثناء ذكره لهذا البرج و المدينة يعتبرها من عمل «نمرود» . أما المؤرخون المدنيون فإنهم يعزون

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۶

البناء إلى «بيلوس» لذا لخص «بيللارمينو» الفكرة فى كتابه الذى طبع منذ وقت قصير- و قد اطلعت عليه فى اسطنبول- فقال إن نمرود هو بيلوس نفسه.

و هكذا نرى سترابون و هيرودوتس يسميان الموضع «ضريح بيلوس» بينما تدعوه التوراة برج بابل و نمرود.

لقد طلبت من الرسام ان يرسم منظر بابل فانكب على العمل حالا و رسم لوحتين فيهما التل الأثرى من جهتين بحيث يظهر فى آخر الأمر من مختلف جهاته.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۷

الحلة

انتهينا من زيارة بابل، و كان لدينا متسع من الوقت فى ذلك النهار فقررت زيارة مدينة من هناك تسمى «الحلة» لا يذكرها الجغرافيون الغربيون بالرغم من أنها أهم بلدة فى ربوع بابل. فسرنا إليها و قد عزمت المبيت فيها، فالنزول فيها خير من البقاء فى العراء. فوصلنا إليها فى وقت صلاة العشاء و قبل أن نصلها رأينا مسجدا على الطريق يطلقون عليه اسم «مسجد الجمجمة» لأنه أقيم فى موضع عثروا فيه على جمجمة أحد الأولياء.

أمضينا اليوم التالى فى الحلة الواقعة على نهر الفرات و تتكون من قسمين على عدوتى النهر، و فيها جسر من القوارب كجسر بغداد عدد قواربه ۲۴ قاربا.

بيوت الحلة شبيهة ببيوت بغداد، مشيدة باللبن القديم و هى واطئة البناء و ليس فيها إلا الطابق الأرضى و فى البيوت حدائق عامرة بمختلف أنواع الأشجار المثمرة خاصة النخيل، و نظرا لارتفاع هذه الأشجار و كثافتها فقد أرسلت ظلالها على البلدة كلها فالناظر إليها من بعيد لا يرى سوى غابة نخيل واسعة.

الحلة بلدة كبيرة، و فيها قلعة صغيرة لكنها قوية تقع على النهر، كما توجد فيها أسواق عامرة بعضها حسنة البناء و الطراز لكنها مظلمة

جدا. يحكم المدينة «سنجق» يخضع لباشا بغداد.

كانت بعض البساتين جميلة حقا عامرة بالحمضيات و مختلف الأشجار

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۸

الأخرى. و ذكر لى أن أحد البساتين من أملاك بعض النساء و هن بنات أحد الولاة المتوفين.

لم أجد أبنية جديرة بالإعجاب أو آثارا قديمة لكن المنطقة الواقعة على الفرات بأكملها قديمة و قد قامت بعد انقراض بابل.

لقد ذكر الأهالى خبرا لم أفهمه فى بادىء بدء لصعوبة تفاهمى بالعربية فلم أعره انتباهى و قد تأسفت جدّا بعد فوات الأوان. لقد أخبرونى أنه على مسيرة نصف نهار من الحلة فى طريق يختلف عن الطريق الذى سلكته يوجد قبر «حزقيال النبى» و يفد إليه اليهود سنويا للتبرك به و يقع على نهر كوبار أو كابور- كما يلفظه العرب حاليا- المذكور فى الكتاب المقدس فى سفر حزقيال و يتدفق النهر فى أرض بين النهرين من منبع شهير يسمى «رأس العين» ثم يصب فى الفرات. كم كان هذا الموضع جديرا بالزيارة فصاحبه من الأنبياء العظام و لأن مثواه حسب شهادة «سفر الشهداء» هو أيضا قبر سام و ارفكشاد من أجداد سيدنا إبراهيم. أنه سوء حظى الذى حرمنى من هذه الزيارة المهمة.

غادرت الحلة ضحى الخامس و العشرين من تشرين الثانى، و أمضينا الليل فى «خان البئر» المار ذكره حيث نزلنا فى طريق الذهاب، و قد هرع عدد كبير من البدو رجالا و نساء لرؤيتنا عند سماعهم بوجود إفرنج بين ظهرانيهم فأعددنا لهم «البلاو» و هكذا أمضوا مساء مرحا معنا ثم عادوا إلى خيمهم.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۵۹

عدنا إلى بغداد فى الطريق المباشر عبر الصحراء إذ رأيت ليس من الفطنة أن أتنقل من مكان إلى آخر و معى هذا العدد الكبير من الحاشية، فأمضينا الليلة الثانية فى خان يقع قرب قلعة غير مأهولة يدعى «خان النص» لأنه يقع فى منتصف الطريق بين الحلة و بغداد و من عادة العرب أن يسموا المواقع بأسماء الآبار و منابع المياه لأهميتها و هذه عادة قديمة نرى أثرها فى الكتاب المقدس.

بعد يومين من حلولنا فى هذا المكان سمعنا أن شرذمة قوية من الأعراب أغارت على قافلة هناك أو بمقربة من ذلك المكان فنهبتها و من حسن حظى- فضلا عن أنى لم أر أحدا من هؤلاء- أن لقيت أحد كبار قواد بغداد كان قدم إلى هنا قبلنا بأمر من الباشا و معه مائة فارس و نيف ليستميل شيخا و يصحبه إلى بغداد، و هو من رؤساء العرب أو أن شئت فقل هو أمير من أمرائهم كما أظنه شخصيا كان من أصدقاء الأتراك اسمه «ناصر بن مهنا» ليرافقه إلى بغداد فيخرج مع الوالى إلى الحرب و قد أكثر قائد بغداد من فرسانه مبالغة فى تعظيم هذا الشيخ و هكذا سرنا مطمئنين إلى بغداد فوصلناها فى ۲۷ تشرين الثانى بعد زيارة موفقة لبابل لم تدم فرحة هذه الزيارة الناجحة فقد بلغنى خبر من اسطنبول عن طريق حلب مفاده أن السلطة كانت غاضبة على الإفرنج. و لم تكن الأخبار واضحة.

فمن رسالة وردتنى من السفير الفرنسى فى اسطنبول يفهم ان الحكومة صبت جام غضبها على الرهبان فأعدمت راهبا من الفرنسيسكان و زجت فى السجن الرهبان اليسوعيين ثم خرجوا بعد ذلك سالمين بعد أن افتداهم

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۰

السفير الفرنسى حسبما فهمت، فهم تحت حمايته لأن الباليوس أى القنصل البندقى لا يهتم بهم. و يقال إن الأتراك اكتشفوا علاقة هؤلاء ببعض أمراء الغرب و على أثر ذلك أمر السلطان أن يدفع الإفرنجة العائشين فى ولاياته الجزية كما يدفعها النصارى من أهل البلاد و هذا تدبير جديد لم يعمل به أبدا من قبل لأنه يضرب عرض الحائط كل معاهدات السلام مع أصدقائه أمراء الغرب ... و لعل الاستعداد للحرب ضد الفرس و الحاجة الماسة إلى المال كانا من وراء هذا التدبير ... كما يجب أن لا نغفل قلة الفطنة عند بعض الإفرنج فى تصرفاتهم مع الأتراك .. لقد تأسفت جدا لما حدث لأنى تركت عند اليسوعيين صندوقا فيه أوراقى الخاصة و ملاحظاتى التى سجلتها فى اسطنبول و هى ملاحظات ثمينة تعبت جدا فى جمعها و فيها رويت مستهل رحلتى و مشاهداتى فى اسطنبول و مقتل

نصوح باشا و ملابسات مقتله و غير ذلك .

سلوقية و طيسفون

أعود إلى موضع رحلتى لأتحدث عن سفرة أخرى قمت بها فى ضواحى بغداد. فقد أخبرنى بعض اليهود بوجود آثار ترجع إلى عهد «نبوخذنصر» لكنهم كانوا على خطأ حسب رأيى فالآثار أحدث عهدا مما يزعمون.

فى الثالث من كانون الأول (۱۶۱۶) سرت إلى تلك المنطقة مع أهل بيتى كافة يرافقنا رجل تركى واحد و إذ كان الموضع الذى نسعى إليه يقع على نهر دجلة إلى الجنوب من بغداد فقد ركبنا قاربا توخيا للراحة و الأمان. فالسفر فى البر غير أمين نظرا للاضطرابات السائدة. و بينما نحن ننحدر مع النهر رأينا

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۱

على الضفة اليمنى مجموعة كبيرة من خيام البدو، و لكثرة خيامهم تظن المنطقة مدينة كاملة و كنت أتمنى النزول إلى البر لإلقاء نظرة عليهم، و لكن بعدهم عن النهر و الوقت القصير منعانى من تحقيق رغبتى. و عند الغروب مررنا بمنطقة يصب فيها نهر ديالى بدجلة.

توقفنا مساء لنمضى الليلة فى القارب نفسه قرب قرية تدعى «كرد حاجى كردى» و الكرد واسطة لسحب الماء من النهر بواسطة الحيوانات. لقد أردت الاستفسار عن هذا الاسم لأن قرى عديدة على النهر تسمى هكذا، فعلمت أن أصحابها يمتلكون الكرود لسقى أراضيهم الواسعة لذا يسمى الموضع باسم صاحبه. إن هؤلاء الملاكين يختلفون عن «البارونات» فى بلادنا فأولئك يمارسون سلطة كاملة على إقطاعاتهم و أتباعهم أما هؤلاء فإن العاملين عندهم من القرويين الذين بنوا فى أراضيهم فهم يفلحون الأرض لأصحابها لكنهم يكسبون بعض الثمار.

فى اليوم التالى بارحنا ذلك المكان قبل الفجر و إذ كانت منطقة الآثار التى هى هدف رحلتنا من أخطر المناطق فقد أخذنا معنا ثلاثة أعراب من تلك القرية هم فى الواقع من الغزاة الموالين للشيخ مبارك فوجودهم معنا يهبنا شيئا من الاطمئنان و يشفع لنا فى حالة التقائنا برجال مبارك فهم من نفس العشائر، و أبناء العشائر يعرفون بعضهم البعض. و كان رجالنا الثلاثة من أشجع رجال القرية و باستطاعتهم مناجزة قطاع الطرق. كان أحدهم لا يحمل سوى ثلاثة أسهم و كان يتباهى قائلا: إن كل سهم برجل: إن كل سهم برجل! و فى الواقع كان الرجال الثلاثة يتباهون بقدرتهم العالية على العدو السريع و بمعرفتهم لكل المسالك المطروقة و غير ذلك.

قبل ساعة من منتصف النهار وصلنا إلى «سلمان باك» أى سلمان الطاهر، و هو من الأولياء و قبره فى تلك البقعة. فنزلنا إلى الأرض و لم نهتم بالقلعة الصغيرة القائمة عند النهر و هى حديثة البناء و كانت خالية. فسرنا مباشرة إلى الآثار التى تبعد نحو نصف ميل من النهر، و يدعى يهود اليوم بغباء فاضح أنها الهيكل الذى نصب فيه «نبوخذنصر» تمثاله الذهبى و أمر بالسجود له، كما ورد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۲

فى الكتاب المقدس ؛ من الممكن القبول بالموقع إذ إن الكتاب المقدس يذكر أن التمثال تم نصبه فى أرض فسيحة لم تكن ببابل نفسها و لكن فى ضواحيها. و لو فرضنا و اعتبرنا هذا الموقع امتدادا بعيدا لمنطقة بابل فمن غير المعقول أبدا أن يبقى البناء إلى اليوم خاصة أنه لم يكن مشيدا بالحجر.

إن المسلمين على صواب فى تسميتهم هذا الموضع باسم «إيوان كسرى» الذى شيده فى طيسفون ملك الفرس من السلالة المتأخرة حاولوا فيه تقليد أباطرتنا و كانوا يلقبون أنفسهم بالأكاسرة و ينقل عن مؤلفيهم أن البناء كان مشهورا من الناحيتين التاريخية و الجغرافية، و سأحاول البحث أكثر فى هذا الموضوع و قد تردد ذكر هذا المكان خلال الكلام عن الحروب التى نشبت بين أباطرة الرومان و أكاسرة الفرس.

أضيف إلى ما ذكرت أنه كان هناك موضع آخر يطلق عليه اسم «سلوقية» لأن سترابون يذكر بوضوح ان طيسفون لم تكن إلا قصبة

من ضواحى سلوقية، شيدها ملوك الفرس للتخفيف من السكن فى سلوقية و من أجل راحة أهل البلاط و العساكر التى كانت ترافق الملوك عند قدومهم إليها لقضاء فصل الشتاء إذ إن مناخها أكثر دفئا، بينما كانوا يمضون فصل الصيف فى هركانيا و أكبتانا ؛ إن وجود البلاط المتكرر هناك كان السبب فى نمو طيسفون و توسعها حتى أصبحت مدينة فإن صح كلامى فذاك يعنى أن سلوقية و طيسفون كانتا فى موقع واحد لذا فبكل حق يطلق العرب على هذا الموضع اسم «المدائن» فالكلمة تشير إلى المدينتين فى آن واحد و يؤيد قولى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۳

«أكاثياس» فى كلامه عن «خسرو» الذى سقط مريضا بعد انكساره فى موقعة جرت بالقرب من هناك فيقول إنهم حملوه و هو يعانى سكرات الموت إلى سلوقية و طيسفون لقد خلط بين المدينتين فاعتبرهما مدينة واحدة.

إن «سفر الشهداء الرومانى»- المذكور آنفا- يورد حتى الآن بتاريخ ۲۱ نيسان من كل سنة ذكر أحد القديسين هو مار شمعون ، الذى كان أسقف المدينتين سلوقية و طيسفون و هذا يؤيد قولى لذكره اسم المدينتين سوية.

إن العرب بقولهم «المدائن» يشيرون بالأحرى إلى «طيسفون» لأن هذه المدينة توسعت حتى طغت على سابقتها أى «سلوقية» هكذا فهمت من كتاب جغرافى مهم لكاتب معروف .

بالرغم من أن هاتين المدينتين كانتا تؤلفان جسما واحدا، فإن «سلوقية» تنسب من حيث الموقع إلى ما بين النهرين أى إلى الضفة اليمنى أكثر غربا من دجلة، بينما كانت طيسفون على الضفة اليسرى نحو الشرق حيث يقوم «إيوان كسرى».

جمعت هذه المعلومات و قابلتها موقعيا و رجعت إلى المصادر المتوفرة فى مؤلفات المسلمين المعاصرين فى هذا البلد، و مما سبق لى أن طالعته و سأعود إلى مقابلته بالكتب الموجودة لدينا لأعطى فكرة واضحة عن كل ذلك لأن الذاكرة لا تسعفنى الآن بكل شىء.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۴

وصف الإيوان

يطلق الأهلون على الموضع اسم «إيوان كسرى» أو «طاق سلمان باك» لقرب الواحد من الآخر.

إنه بناء فخم، مشيد بآجر مفخور و ملاط جيد له جدران سميكة جدا تتجه الواجهة نحو الشرق و هى مزينة من الأعلى إلى الأسفل بألف حنية مبنية بالآجر نفسه يبلغ طول الواجهة مئة و أربعة عشر قدما بقياس قدمى. كان للإيوان كما يظن ثلاثة أروقة (كما فى الكنائس) لم يقارع عوادى الزمن إلا الوسطى. و طوله ستة و ستون قدما، و عرضه ثلاثة و ثلاثون، و هذه القياسات تقريبية لأن الأرض غير مستوية. و ليس للإيوان بابا كبيرا كما قد تتوقع، لكنه مفتوح بحيث يرى الناظر كل ما فى الإيوان من أعلاه إلى أسفله، و من هنا سماه الأهلون باسم الإيوان أو الطاق لأنه يشبه الطاق فعلا.

فى نهاية الإيوان يوجد باب صغير فى الوسط، و شكل الباب مقوس كالطاق أيضا، و فى جهتى الإيوان باب صغير قريب من الواجهة يؤدى كل منهما إلى الإيوان الأصغر. و هذان الرواقان قد تهدما كليا كما سقط قسم من السقف فى صدر الإيوان مع الجدار الذى يسنده.

لن أزيد على هذا الوصف، فقد قام الرسام برسم الإيوان فأعد لوحة طبيعية حسنة.

يشير اليهود أيضا إلى خرائب قريبة من الإيوان، يزعمون أنها موضع جب الأسود حيث زج دانيال النبى لكن قولهم لا يستند إلى أسس صحيحة فهى بالأحرى من بقايا «طيسفون» لأن هذه المدينة كانت كبيرة و رائعة كما يذكر المؤرخون و قد آلت إلى الخراب.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۵

بعد زيارتنا لآثار «طيسفون» عرجنا على المسجد الذى يضم قبر سلمان باك. فإذا هو بناء عربى جميل لكنه صغير مشيد بآجر قديم. ثم

تجولنا فى تلك الأنحاء فرأينا آثارا أخرى كثيرة تشبه آثار بابل فهى مشيدة أيضا بالآجر و القصب و شاهدنا بقايا سور المدينة و هو يدل على المساحة الكبيرة التى كانت تشغلها. و لا تزال بعض الجدران قائمة لكن أكثرها مال إلى الخراب فأصبحت أشبه بالتلال. و هذه الآثار منتشرة على عدوتى النهر فهو يقسمها إلى قسمين أو إنه بالأحرى يجرى بين المدينتين كما بينت أعلاه إلا إذا كان النهر قد حول مجراه كما يزعم الأهلون.

وجدت عند النهر جدرانا مشيدة بآجر مفخور جيد الصنع يتخلله القار عوضا عن الملاط بنفس الطريقة المتبعة فى أبنية سميراميس التى ذكرها الأقدمون. فأخذت عددا من الآجر الملطخ بالقار و وضعته داخل علبة بعد تغليفه جيدا بلفائف من القطن. و لا حظت أن بعض الحاضرين يضحكون و كانوا ينظرون إلىّ بسخرية. إنهم لا يعلمون قيمة هذه الآثار و مدى اهتمامنا بها.

ركبنا القارب لنرجع إلى بغداد و كان على الملاحين أن يجروا القارب بالحبل لأنه ضد التيار. و أمضينا الليلة قرب قرية «كرد حاجى كردى» حيث نزلنا فى الليلة السابقة.

فى اليوم التالى تابعنا السفر ببطء شديد لأن الصعود فى النهر كان صعبا فهو بعكس مجراه. ثم مررنا من جديد بمصب ديالى. و عند العصر شاهدت على عدوة النهر الشرقية مجموعة من الخيام السوداء كتلك التى رأيتها سابقا فأردت الاقتراب منها و التعرف على ساكنيها، فنزلت إلى البر مع ثلاثة من أصحابى، و طلبت من الآخرين البقاء مع النساء و الأمتعة فى القارب و أن يواصلوا السفر على أن نلتقى فى المساء، و هكذا تابعوا سفرهم و سرت أنا إلى الخيام.

حياة البدو

لم تكن الخيام من النوع المستدير التى تستند على عمود وسطى وحيد، بل كانت طويلة مثبتة فى الأرض كتلك التى توضع فوق المراكب المستعملة عندنا.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۶

و هى منسوجة من مادة غليظة قوية جدا، تتحمل حرارة الشمس و تأثير المطر.

تقوم النساء على نسجها من شعر الماعز الأسود، فالماعز كثير عند الأعراب و يغلب عليه اللون الأسود، فتذكرت قول الكتاب؛ «أنا سوداء لكنى جميلة ...

كأخبية قيدار» إن قيدار هو أحد أبناء إسماعيل، و ينتسب العرب إلى إسماعيل.

الخيام عبارة عن قرية متنقلة، وجدت هناك عددا غفيرا من الرجال و النساء. و الجدير بالذكر أن النساء حاسرات الوجوه، لا يتحجبن كما تفعل التركيات بذلك الحجاب الغريب. كن لابسات زيا بدويا، و يتزيّن بحلى فى الرقبة و المعصم و الأرجل. يحملن أساور من معادن مختلفة كالنحاس و الصفر و الفضة، و يضفن إلى ذلك بعض الخرز من العنبر أو البلور الملون، و كلهن على الإطلاق يستعملن الوشم على الأيدى و على الشفاه و معظم أجزاء الجسم، و لونه أزرق قاتم، و يتم بواسطة إبرة مع صبغ مستخلص من كبد الأسماك يزرق تحت الجلد، لا يزول أبدا و هذه عادة منتشرة فى هذه البلاد و فى مصر، و فى أرجاء الشرق عامة، و تعتبر من وسائل التجميل للنساء و الرجال على السواء و لم أتخلص منها رغم كونى غريبا عن البلاد فقد وشمنى رجل ماهر بهذا الفن فى يدى.

الوشم ليس من العادات المستحدثة، فله جذوره العميقة، و قد ذكره الأقدمون، فنحن نقرأ فى كتاب وضعه «بومبونيو ميلا» و كتاب آخر من تأليف «جوليو سولينو» ان قوما من الإغريق هم أهل «أجاتيرا» كانوا يلونون وجوههم و أبدانهم بالألوان التى لا تمحى. و قد نوه بهم «فيرجيل» أيضا.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۶۷

و كانوا كلما أكثروا من الوشم علت منزلتهم بين مواطنيهم و هكذا الحال فى الشرق، و خاصة بين العرب.

لقد ذكرت زى البدويات و لم أصفه. إنهن يلبسن جلبابا من التيل لونه أزرق غامق يصل إلى أقدامهن، و هو فضفاض جدا. له أكمام عريضة للغاية بحيث إنهن عندما يرضعن أطفالهن لا يفتحن شق الصدر بل يخرجن الثدى من الكم العريض. و يلبسن عباءة فى موسم البرد و قد ذكرتها سابقا، و هى ليست جميلة و لا عريضة كعباءات الرجال لكنها خشنة القماش و ضيقة و يضعن فى الرأس لفائف من قماش أسود اللون و يحطن وجوههن بنسيج أبيض أو أزرق غامق أحيانا. من الصعب شرح ذلك كله بالكلام. على كل سترى يا سيدى بعض الرسوم عند عودتى.

رأيت مواشى القوم بين الخيام؛ الماعز بكثرة، الأغنام و الأبقار و هى قليلة و قد لا حظت بعض الخيام المعزولة و أعتقد أنها مخصصة للمواشى كما رأيت عددا من الجياد لأكابر القوم. و هناك عدد من الكلاب بعضها للحراسة و أخرى للقنص.

و هم يستعملون المجارش لصنع دقيق الحنطة، و خبزهم عادة يصنع من عجينة تحت الرماد (كذا!) و لهم مواد غذائية أخرى كاللحوم و البقول و الأرز و الأثمار الجافة و منها التمور و غيرها. و يتوفر عندهم الحليب و هم يفضلون استعماله بعد تخميره أو تحميضه كعادة الأتراك. لكنى لم أستسغه حتى الآن، و منهم من يمتلكون البعران فيشربون حليب النوق و يلتذون به.

و يعيشون على شكل مجموعات عشائرية تربطهم صلة الرحم و الصداقة، و ينتخبون من بينهم رئيسا يعتبرونه شيخ العشيرة، و لا تشير التسمية- كما تعرف سيادتكم- إلى تقدم الرجل فى السن، بل إلى علو مقامه فقد يكون شيخ العشيرة شابّا. و هم يقدمون الولاء و الطاعة للشيخ الذى يدير شؤون العشيرة بفطنته و لا يدينون بالولاء لغيره.

و هم يستمتعون بحرية رائعة رغم حياتهم الفقيرة و فيهم رجال مسالمون يهتمون بمواشيهم و يدفعون للسلطة ما تفرضه عليهم و يعيشون فى مناطقهم و فى

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۶۸

البادية بسلام و منهم من لا يركن إلى الراحة و الاستقرار فيتركون النساء فى الخيام للاعتناء بالمواشى و يتيهون فى الأرض و يفضلون الغزو و الاعتماد على السيف على مثال عيسو و لعل القوم من نسله؛ إن هؤلاء بغزواتهم و اعتدائهم يحطون من سمعة العرب بين جيرانهم.

بعد أن استمتعت بمنظر الخيام و حياة ساكنيها رافقنى أحدهم إلى قرية قريبة من النهر اسمها «كرد عثمان» فبقيت هناك انتظر القارب إذ قررت المبيت فيها، فالمكان جميل و قد حصلنا على ما نحتاج إليه من غذاء من أهل القرية.

وجدت الأراضى المحيطة بهذه القرية مزروعة بالقطن و مختلف أنواع الخضروات و منها الفجل فالأراضى بحد ذاتها جيدة و خصبة بشرط أن تفلح جيدا و تسقى دائما أما وجود الأراضى القاحلة فسبب ذلك إهمال السكان و كسلهم و تقاعسهم عن العمل فهم لا يكلفون أنفسهم بسحب الماء من النهر لإرواء الأرض بعكس أجدادهم الذين خدموا الأرض.

تأخر قاربنا كثيرا للوصول إلى الموقع الذى كنت فيه بسبب تعرجات النهر الكثيرة حتى ساورنى شك باختفائه. فأرسلت رجلا للبحث عنه و إرشاد أصحابى إلى مكاننا، و مرت ساعة من الليل و تبعتها أخرى و القارب لم يظهر، فقررت المضى للبحث عنه بنفسى ثم فكرت بإطلاق بعض العيارات النارية، مضى ربع ساعة على إطلاقى النار حتى جاءنى الرد من القارب بثلاث طلقات، فلما تأكدت من قربه مضيت أمامه فنزل أصحابه إلى البر و قضينا الليلة هناك.

فى اليوم التالى و هو السادس من كانون الأول (۱۶۱۶) عدنا إلى بيتنا فى بغداد. و كانت هذه آخر سفرة أقوم بها إلى الآن و قد سردت لك يا سيدى جميع أحداثها بدقة.

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۶۹

مغامرة عاطفية فى بغداد

بقى على الآن أن أحدثك فى موضوع آخر هو مغامرتى العاطفية البغدادية، لأنها حدثت فى منطقة بغداد، و هى تختلف عن مغامراتى الرومانية أو غيرها. و أنا أسرد لسيادتك أمورا جدية، فرسائلنا لا تقبل المزاح و الأمور التافهة ..

سأقص عليك خبرا عن السيدة التى أصبحت الآن زوجتى، و هى التى نوهت بها فى سفراتى القصيرة الأخيرة.

إنها من بلاد آشور، دمها دم الكلدان القدماء، سليلة أمة عريقة، عمرها ثمانية عشر ربيعا أو نحو ذلك تتحلى بصفات حميدة غير عادية و بمواهب طبيعية عالية، جمالها معقول و لا- أريد المبالغة، إذ ليس من صالح الأزواج الإكثار من وصف زوجاتهم، و لو لا ذلك لأطنبت فى وصفها. فجمالها يقارن بجمال هذه البلاد. و لونها حار فهى سمراء أكثر من بيضاء، شعرها أسود، أهدابها مقوسة بلطف، أجفانها طويلة كأهل الشرق عامة و مكحلة بالإثمد كما ذكر فى كتب العهد القديم و فى المصادر القديمة و منها ما ذكره «زينوفون».

ظلال العينين توحى بالوقار، عيناها المكحلتان تشعان نورا و بهجة و تتحركان بحشمة و جلال، جسمها متكامل فهى معتدلة القوام سريعة الخطوات نبيلة فى مشيتها حلوة فى حديثها، جميلة فى ضحكتها. أسنانها صغيرة بيضاء. إنها بكلمة واحدة تتصف بكل ما كنت أتمناه فى المرأة. اسمها «معانى» ترعرعت منذ نعومة أظفارها فى بغداد، لكنها ولدت فى «ماردين» و هى مدينة تقع فى أعالى ما بين النهرين، و اسم عائلتها «جويريدة» و كان أبناء عائلتها من أكابر

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۰

القوم فى تلك المدينة حتى أغار الأكراد عليها فسرقوا أموالهم فهرب الكثيرون من أمامهم.

إما من حيث الانتماء الدينى فوالدها من السريان المشارقة، و هم النساطرة لأن أجدادهم اتبعوا «نسطور» و يطلق هذا الاسم اليوم على الشعب برمته أكثر مما يطلق على الفرقة الدينية، و هؤلاء لا يفقهون اليوم شيئا عن أصولهم التاريخية فهم نساطرة بالاسم فقط، و كل ما هناك ان بعض المتفقهين أو رجال الدين يعرفون شيئا بسيطا من أصل الطائفة فأكبر ضلال بينهم هو الجهل.

و قد فهمت أن أسرة زوجتى كانت واحدة من بين الأسر التى اجتمعت فى عهد أجدادها فتبعت أحد البطاركة الكاثوليك الذين أرسلتهم روما إلى الشرق لرعاية طائفتهم و أعتقد أن أول هؤلاء البطاركة كان على عهد البابا «يوليوس الثالث» و قد رأيت فيهم ميولا إلى عاداتنا مما شجعنى على الزواج و أبعد عن فكرى كل تذبذب و تردد، بل زاد من أملى بأن يكون هذا الزواج واسطة للخير.

تنتمى أم معانى إلى الطائفة الأرمنية. و أصلها من «آمد» الواقعة فى شمال بين النهرين و هى حاضرة المدن فى تلك البقعة لكن حماتى لا- تتكلم الأرمنية و لا- تفهم منها شيئا على الإطلاق فاللغة العربية هى السائدة فى تلك المناطق، فهى تحسن العربية و تتبع زوجها فى الممارسات الدينية و الاحتفالات بالأعياد و الصيام. فالعادة الجارية فى هذه البلاد أن المرأة تتبع رب الأسرة فى هذه الممارسات.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۱

سيدتى الجميلة معانى تعتبر العربية لغتها الطبيعية، لكنها تتكلم التركية جيدا، و لذا فهى تحدثنى بهذه اللغة لأنى لم أتقن العربية بعد، لكنها تنطق التركية بلهجة بغداد بما فيها من ألفاظ و تعابير تختلف عن لهجة اسطنبول ..

أما فى الأمور الدينية فمعلومات زوجتى تقتصر على ما تلقنته فى أسرتها، فقد منحوها أكبر قسط مما عرفوه فى ديارهم السابقة حيث كانت المسيحية أكثر ازدهارا من بغداد. لكن ثقافتها الدينية من حيث النتيجة أقل كثيرا مما هى فى ديارنا إذ تقتصر معارفها الدينية على بعض الصلوات الضرورية و الروايات الدينية و شىء من التقاليد الموروثة لا أكثر.

كان عمرها أربع سنوات عندما قدمت أسرتها إلى بغداد و فى هذه المدينة نمت و ترعرعت و كان عدد النصارى فى بغداد قليلا فقد مرت فترة من الزمن لم يكن فيها نصارى أبدا و لكن فى الفترة الأخيرة وفد إليها عدد منهم من مختلف الجهات ينتمون إلى مختلف الطوائف، التجأوا إليها للتخلص من الحروب المتكررة و الفتن و الاضطرابات التى كانت تنشب فى ديارهم، فجاؤوا إلى هنا طلبا للاستقرار و الأمان. و نظرا لقلة عددهم و حداثة تجمعهم فى هذه المدينة، لم يسمح لهم حتى الآن بممارسة شعائرهم (علنيّا) لذا فهم

يمارسونها بالخفاء نوعا ما و لا يتظاهرون بها. فحالتهم حرجة، و جهلهم بالأمور الدينية مطبق. و إذ ليس لهم كنائس فلا وجود للأسرار المقدسة و الخدم الدينية عندهم، و لا وجود للقسس. و إذا حضر هؤلاء فهم غير صالحين للخدمة بسبب جهلهم العميق، إذ لا استعداد لهم لتثقيف الشعب. و هم بخلاء جدا لا يقدمون

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۲

خدمة إلا لقاء مبلغ من المال. لا يعمدون الأطفال إلا بالمال، و لذا تجد بين الشعب صبيانا لم ينالوا العماد بعد إما بسبب غياب القسس من طقسهم أو لعدم تمكن ذويهم من دفع المال المطلوب. و قد روت لى السيدة معانى أنها حضرت فى أحد الأيام عماد أم مع ولدها الذى كان قد شب عن الطوق و يرجع سبب هذا التأخير إلى عدم حضور قس من طقسها إلى المدينة منذ سنوات و لم تشأ قبول العماد من قس ينتمى إلى طقس مختلف، فهى لا تريد الاختلاط بغير أبناء كنيستها.

و لا يعرف عن القسس الموجودين فى بغداد حاليا إن كانوا كاثوليك أم هراطقة فهم جهلاء جدا، و قد يخدم أحدهم طقسه و طقس طائفة أخرى و هو جاهل بأمور الطقسين! و الأتعس فى كل ذلك أن وجود الكهنة فى المدينة متقطع، فهم يمرون بها من فترة إلى أخرى كما يأمرهم البطريرك ... و قد تمر مدة طويلة دون مجيئهم. و هم يحاولون كسب أكبر مقدار من المال، و لا أدرى إن كانوا يفعلون ذلك لإشباع جشع أم لفقر مدقع أم لدفع الإتاوات الكثيرة.

إن المتقدمين فى السن القادمين من ديار بكر و ماردين يعرفون بعض الحقائق الدينية لأنهم أبصروا النور فى محيط تتوفر فيه الكنائس و الكهنة. أما الجيل الجديد الذى ولد و شب فى بغداد فهو جاهل بالأمور الدينية و لا يكاد يعرف إلا الصلاة الربية باللغة الكلدانية التى تعلمها من الوالدين. أما الشخص الذى يعرف بعض التراتيل الدينية العربية- و هى اللغة السائدة- فهو من الفاهمين ! ..

إن غياب القسس من جهة، و الحالة الاجتماعية الأقل من الحسنة جعلت الشعب يعيش فى جهل عميق بأموره الدينية .. فلا عجب إذا فى قولى إن سيدتى معانى تجهل حقائق الدين .. و لعل حالتها هذه أفضل- بالنسبة لى- و قد أرادتها الحكمة الإلهية ليتم تثقيفها الدينى على يدى، فأعهد إلى رهبان

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۳

بلادنا بمهمة تثقيفها، و تتم على يدهم مراسيم قرانى الاحتفالى بها .. و إنى أرى فيها ميلا نحو طقسنا اللاتينى، لا أعرف أهو من طبيعتها أم رغبة بإرضائى و ستكون فى آخر الأمر بعون اللّه تعالى سيدة رومانية بكل ما فى الكلمة من معنى.

كما أنها تتقبل بطيبة خاطر عاداتنا الاجتماعية خاصة عندما تراها أحسن مما تعودت عليه، فهى بالرغم من تربيتها الحسنة تفتقر إلى الرقة فى بعض تصرفاتها، ففى أوامرها زعيق، و فى علاقاتها ترفع، و فى كلامها تهديد! و لعل هذه الصفات تدل على شخصية ناضجة فى ديارها، لكنها فى محيطنا تشير إلى كبرياء و خشونة.

وصف لأزياء بغداد

سوف أجعلها تلبس حسب رغبتى، ففى الأيام القادمة ستغير زيها و تلبس زى كل بلد نمرّ به. لكنها حتى الآن لا تزال ترتدى زى النصارى المعروف فى بلادها و هو لا يختلف عن زى الأتراك إلا بغطاء الرأس فهو أقصر منه.

و تلف وجهها بقناع أسود اللون عادة يبرز جمالها و كالبدويات تلتفع بقماش من الحرير ناعم كالتفتة فيه خطوط و مربعات مختلفة الألوان و الأشكال لكنها لطيفة تنسدل أمام الوجه و على الصدر فتشبه أقنعة الراهبات فى ديارنا أو كأرامل إسبانيا. و يتدلى من وراء الجسم طولا و عرضا و له نهاية حادة تلمس الأرض أنه فى الحقيقة مظهر الجلال و الجمال حسب رأيى.

لا تزال قمصان النساء فى بغداد على الطراز القديم و ذلك لبعد هذه المدينة عن البلاد حيث تتم التصاميم الجديدة و منها تنتشر. لذا فهى تختلف عن قمصان النساء التركيات إذ إن قمصانهن بيض من القطن أو الكتان و يلبسن أيضا- فى المناسبات خاصة- القمصان

الحريرية الملونة بأكمام مفرطة فى السعة و الطول.

إن الألوان الأكثر انتشارا للقمصان و للألبسة الأخرى هى: القرمزى، الأصفر، و الأخضر و بعض المشتقات الجميلة من القرمزى و الأزرق الغامق.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۴

و تقرر المرأة ألوان ألبستها حسب ذوقها فإن كان قميصها قرمزى اللون فالثوب أخضر و الكساء أصفر و السراويل من لون آخر و هكذا.

أما الحلى الذهبية فهى موزعة فى الجسم بين الرأس و العنق و المعصمين و القدمين و الرجلين أيضا فقد تجد الخواتم فى أصابع الرجلين أيضا! و تختلف حلى النصرانيات بعض الشىء عن حلى المسلمات. و أشكالها عديدة و متنوعة لكنها ليست معتبرة حقا ففى بغداد لا توجد أحجار كريمة ثمينة أو فى الأقل لا تستعمل فما تتحلى به النساء من أحجار هى من الأنواع الرخيصة كالفيروز و الياقوت و الزمرد و البلخش و العقيق البجادى و اللؤلؤ و غيرها و كانت زوجتى تتزين بكل هذه الأحجار على عادة أهل بلدها، إضافة إلى أنواع من الخرص الغليظة المطعمة بالأحجار أيضا كانت تعلقها فى أحد منخريها (كما يعلق فى منخر الجاموس) و هذه عادة قديمة جدا فى الشرق كانت منتشرة على عهد سليمان النبى ؛ لكن هذه العادة لم ترق لى فحاولت القضاء عليها فطاوعتنى عروستى، لكن زوجة أخيها و أخواتها لم يلبين رغبتى فالعادة متأصلة فى تقاليدهن بالرغم من سماجتها و لذا فهن معجبات بها.

و ختاما فإن الأزر التى تستتر بها النساء لدى خروجهن من البيت تختلف عن كل ما رأيت إلى الآن فهى ليست ثيابا من الجوخ كما فى القسطنطينية و لا هى القطع البيضاء كما هى فى سوريا و مصر فعوام النساء يستعملن قطعا من التيل فيها مربعات بيض و زرق كأمثالهن من نفس الطبقة فى القاهرة. أما نساء الطبقة المتمدنة فأغطيتهن حريرية من نفس اللون و هى غاية فى الرقة و النعومة و مفيدة نظرا للحرارة اللاهبة فى بلادهن. و أخيرا فإن نساء الطبقة العليا- من أمثال زوجتى- لهن نفس الأغطية التى هى أحادية اللون و قد تكون بنفسجية أو

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۵

زرقاء غامقة مع بعض الشرائط حول الحواشى التى تكون من لون مغاير و هذا اللون داكن أيضا و هى تشبه كل الشبه الإزار الذى ترسم به سيدتنا مريم العذراء.

تكلمت طويلا فى وصف أزياء هذه البلاد فى مجرى روايتى عن ألبسة عروستى و لا بد الآن من أن أنوه بمقدمات هذا الزواج.

قبل أن أصل إلى بغداد بمدة طويلة كانت أخبار «معانى» قد بلغتنى؛ فعندما غادرنا حلب التقيت برجل فى القافلة كان يجالسنى فى خيمتى أثناء فترات الاستراحة، فكنا نتجاذب أطراف الحديث فى أمور شتى و كان يروى لى أخبارا كثيرة. ثم وصف لى شابة رآها فى بغداد و تعرف على أهلها لأنه كان خبيرا بأمور بغداد، و مطلعا على أحوال هذه العائلة. و كم من مرة مدحها أمامى و وصف جمالها الجسدى و خصالها الروحية، فقد كان الرجل معجبا بها للغاية و إلى حد الجنون. فكنت أنصت إلى حديثه لا لشىء إلا لارضائه و لتمضية الوقت. ثم تغير وقع كلامه فى نفسى فأخذ يتسرب إلى أعماقى و يحتل تفكيرى بعد أن أعاد و كرر أكثر من مرة حديثه لأنه كان رجل ثقة.

و هكذا ولد فى داخلى شوق كبير للتعرف على هذه الفتاة التى استحقت كل هذا المديح و أخذت أفكر بأنه لو لم يكن ثمة غاية لأسفارى، فهذه الفتاة كافية لأرحل إلى بغداد حالا، و قررت المكوث فى هذه المدينة بضعة أيام لتحقيق هذا الغرض و هكذا تحول الشوق بعد قليل إلى حب.

قبل أن أصل إلى الفرات بمراحل كانت مشاعرى اخذة بالفوران و صبرى بالنفاد. كنت أعد الساعات التى أقطع بها أرض بين النهرين لأصل إلى دجلة و أذهب حالا فأمتع ناظرى بتلك التى ملكت حواسى. و كانت العناية الإلهية قد دبرت الأمور، فإن والد معانى بلغه

خبر قدومى من رفيق سفرى الذى كتب إليه شارحا مكانتى الاجتماعية فخرج للقائى على بعد فرسخ من المدينة فى اليوم السابق لوصولى. و قدم لى داره لأنزل ضيفا عليها مع خدمات مفيدة

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۶

متنوعة يشكر عليها. لكنى لم أرغب بأن يكون له فضل إنزالى فى بيته فطلبت منه أن يعد لى بيتا خاصا مع الأثاث الضرورى. فسبقنى إلى المدينة و أعد لى منزلا- جهزه بأشياء كثيرة نادرة الوجود و الاستعمال فى المدينة، كما ينشدها الأوربى، كالمنضدة العالية و الكراسى اللازمة للطعام و الجلوس و السرير و ما إلى ذلك. و اقتدت به زوجته فاهتمت بجمع ملابسى و غسلها و قصرها و إعادتها إلىّ نظيفة مطوية باعتناء و معطرة بالبخور و ماء الورد. و قد علمت فيما بعد ان «معانى» هى التى قامت بهذا العمل بيديها اللطيفتين!

إن سقف الغرفة التى نزلت فيها ليس فى الواقع من عمل فنان، فلا وجود للوحات مثلا، لكنه عمل متقن و ثمين فهو ملىء بنقوش ذهبية و ألوان أخرى متداخلة و متجاورة بعضها داخلة و أخرى بارزة انها فى الحقيقة جميلة.

و قد طلبت من الرسام ان يهتم بأخذ تخطيط مطابق للغرفة و نقوشها لأنها جديرة بأن نقتبسها فى إيطاليا .

و بينما كنت جالسا فى البيت لارتاح قليلا من و عثاء السفر، سارحا بأفكارى، أرسلت بعض رجالى إلى بيت سيدتى للزيارة و تقديم بعض الهدايا الغريبة و إلقاء نظرة عليها للتأكد من صحة السجايا الحميدة التى وصفت بها أمامى من قبل، فأكدوا لى حقيقة ذلك كله.

و بعد الزيارات الأولى للمجاملة تكررت الزيارات و الدعوات إلى تناول الطعام. و لما كان هؤلاء النصارى يتمتعون بروح الانفتاح و الطيبة، و لكونى من مذهبهم فإنهم لم يمانعوا فى رؤية معانى. و حدث فى إحدى الزيارات ان قدمت لى بيدها سفرجلة أصبحت بذرة لأثمار وافرة فى قلبى كانت بعضها مرة المذاق و أخرى حلوة. و بقدر تكرر الزيارات نما فى داخلى شعورى نحوها و شوقى لامتلاكها و نفد صبرى لأخذها.

لقد كنت آنذاك فى حالة نفسية جيدة فقد التأم بفضل اللّه الجرح الذى كان فى نفسى من جراء مغامرتى القديمة التعيسة فى إيطاليا، خاصة بعد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۷

زيارتى لدير القديسة كاترينة فى جبل سيناء و حجى إلى قبر المسيح المكرم فى القدس الشريف. فانقلعت من قلبى الجذور القديمة و زالت من مخيلتى ذكريات تلك الأمور. و كان تأثير تلك الأحداث فى أول الأمر أنى عزمت ألا أتزوج بعد، لأنى لن أجد امرأة تعجبنى. و لكن بعد زيارتى لتلك الأماكن المقدسة، تغيرت أفكارى و شعرت بهدوء داخلى، فقررت الزواج لأن أسرتى كانت تنتظر منى نسلا يبقى ذكراها و يخلد اسمها. و على أثر ذلك كتبت من حلب رسالة إلى أهلى فى روما طالبا منهم أن يسعوا فى التفتيش عن شابة تليق بى لأتزوجها عند عودتى إلى إيطاليا. و الآن كم أتمنى لو أنى لم أكتب تلك الرسائل فقد ساعدنى الحظ فعثرت على ضالتى هنا فى بغداد، فغيرت مجرى حياتى و استولت على أفكارى بحيث إنى قررت أن أعمل كل ما بوسعى و بكل الوسائل لأخذها حتى اعتقدت أنى لو بارحت بغداد من دونها فسيستولى علىّ اليأس و القنوط.

التجأت أولا إلى أمها لأنى لاحظت لديها ميلا نحوى و عطفا كبيرا علىّ.

ففى أحد الأيام ركعت أمامها و أخذت يدها فقبلتها و أقسمت أنى لن أنهض من مكانى ان لم تعدنى بإعطائى ابنتها .. شدهت المرأة من عملى إذ لم تتوقع أبدا أن أفعل شيئا غريبا كهذا، فضحكت و كأنها تشير إلى تلبية رغبتى، لكنها فى نفس الوقت كانت مترددة لا تعلم بماذا تجيب أما أنا فاعتبرت جوابها على ما فيه من تردد و غموض قبولا فشكرتها و اعتبرتها حماتى فى الحال فقمت و عانقتها و قبلت جبينها لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد و كان لا بد من أخذ ورد فبالرغم من اطلاعهم على حالتى المالية و مكانتى الاجتماعية من الأخبار التى وردتهم من حلب مصحوبة بوثائق من قناصل الدول الأوروبية، إضافة إلى شهادات الكثيرين من الذين اتصلوا بى فى بغداد نفسها، و كانت لهم مكانتهم المرموقة، و شهادة الرجل الذى كلمنى عن معانى إذ كانت أسرتها على اتصال به و تثق بكلامه

بالرغم من كونه إيطاليا ...

رغم هـذا كله تردد الأـب كثيرا نظرا لتقـدمه فى السن و حبه الأـبوى لمعانى و هى كبرى بناته الخمس، و تخوف من إرسالها إلى بلاد بعيدة فقد عرف إنى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۸

الست معانى جويريدة البغدادية

لن أمكث فى بغـداد فترة طويلـة، لقـد تحير كثيرا و خشـى ان يخطىء فى قراره فقبلنى و رفضـنى أكثر من مرة، لكنه حيال إصـرارى و إلحـاحى و تـدخل الكثيرين الـذين كـانوا وسـطاء خير من جـانبى، و حـديثى السـابق اللطيف مع الأم كان له أثره خاصـة و أن الكلمة الأخيرة فى زواج البنات تعود إلى الأم فى هذه البلاد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۷۹

بينما قرار البنين يعود إلى الأب. و لقد أسكتت أفواه المعارضين للزواج بقليل من الهدايا فتمت الموافقة أخيرا.

لم أناقشـهم فى مسألـة المنينى ، ففى بلـدان آسـيا كلها لا تـدفعها النساء إلى أزواجهن بل يحملن من بيوت أهلهن أفرشة و أثاثا و هى الجهاز أو الحمالـة و تختلف حسب حالـة الأسـر و لا تقتصـر على الألبسـة كما هى عادتنا بل تتضـمن كذلك الحلى الذهبية و الفضـية إضافـة إلى الأثاث و الحيوانات و العبيـد و الاماء كما يقدم العريس أثاثا مساويا و يتم الاتفاق فى عقد الزواج على منحة الزواج التى لا تدفع إلا فى حالتى الوفاة و الطلاق (و هذه بالنسـبة إلى المسـلمين طبعا) فوافقت على كل شـىء لأنى أردت أن أفعل كل شىء حسب عادة أهل البلاد، إذ ليس من المعقول أن تغير العادات وفق مزاجى. و كان المبلغ الـذى تعهـدت بـدفعه فى عقد قراننا أعلى ما دفع فى هذه المدينة بالرغم من كونه قليلا بالنسبة إلى بلادنا، و هو مائة أونس من الذهب و خمسون من الفضة .

كانت حمالـة عروستى رائعـة جـدا! احتوت على أقمشة حريرية مطرزة بنقوش على الطريقة التركية بخيوط الذهب و اللالىء و مختلف الأحجار الكريمـة على عادة الشـرقيين، فلو كانت فى إيطاليا لنالت إعجابا كبيرا و اعتبارا عاليا. لقد أردت أن أظهر كرمى الرومانى إلى هؤلاء الناس الذين لا يعرفوننى جيدا فأعطيت للعروس ما تحتاجه لإعداد هذه الأشياء و قبلت كل ما حملته سيدتى و أظهرت إعجابى به، ثم أرسلت معظم الأشياء كهدية للأخت الثانية فهى على و شك الزواج أيضا. لقد أرسلت أشياء كثيرة حتى الأحذية و الألبسة لأنى أعددت ما فيه الكفاية. كان ذلك كرما لا عهد للقوم بمثله!.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۸۰

لقـد أطلت الكلام يـا سـيدى فى سـرد أمورى الخاصـة و لم تكن هـذه نيتى فى البدايـة لكنى أعتقـد ان الحـديث عن عادات البلاد و تقاليدها مفيد و مقبول.

التوابل و العقاقير

لنعد الآن إلى ما طلبته منى من عقاقير و معادن التى ذكرتها فى القائمة و طلبت بعض الإيضاحات عنها.

كان أول شـىء فى القائمة «القرفة» التى ذكرها الأقدمون. لقد سألت عنها تاجرا بندقيا رأيته هنا فقال انها ليست الدارصـينى نفسـها كما كنت قـد أخبرتـك و أنـا فى حلب نقلاـ عن الطبيب الفلمنكى هنـا يلفظها البعض من الفرس و الترك «دار جينى»، أما العرب فيقولون دارصينى، و النسبة فى اللفظتين إلى الصين و هناك نوع آخر مصدره جزيرة سيلان فيسمى سيلانى.

يقول صـاحبى البنـدقى إن القرفـة الأصـلية و كـذلك القاقلـة و القسط نادرة الوجود حاليا لأن قلـة من الناس يعرفون اسـتعمالها، و هى حسب اعتقادى قليلة الطلب فى هذا البلد، و لأن التجار يتعاطون عادة بالمواد التى تستهلك بسرعة فهم يفكرون بالربح السريع.

أما الكاديوم و المعادن الأخرى التى طلبتها من قبرص سأحاول الحصول عليها، و أضـيف إلى ما جاء فى جدولك شـيئا آخر لم يخطر

على ذهنک و هو حجر الفتيلۀ الذى كان الأقدمون يصنعون منه نسيجا لا يحترق و يلفون به جثث الأموات عند حرقها. و قد بلغنى أنه يكثر فى قبرص أيضا فطلبت منه كمية و أنا متأكد من الحصول عليه.

أعتذر عن إطالۀ الحديث، لكن غياب الأصدقاء فى هذه الأصقاع، جعلنى أسترسل فى الكلام معک، و أرجو من سيادتک أن تجمع هذه التقارير

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۸۱

التى أرسلها إليک عن رحلتى و تعمل على تنظيمها، و لا بأس أن تعيد النظر فيها، و عند عودتى نضعها فى صياغتها النهائية.

أما القصائد التى نظمتها و أرسلت بعضها فلا ضرر من إضافتها إلى الكتاب، و لكن لا بد ان تنوه فى قصيدتک بالسفينۀ التى أبحرت بى إلى الشرق و اسمها «الدلفين الكبير» فلها منزلۀ عظيمۀ فى نفسى فبها بدأت رحلتى الشرقية .. لقد أعددت صورة لها أضيفها إلى اللوحات التى سأحملها عند عودتى.

و بالسنبۀ لرحلاتى فأنا فى منتصفها الآن، و ستكون رحلتى القادمۀ إلى أصفهان فى بلاد فارس، فهى هدف رحلتى الشرقية و لى أمل كبير بأن أكملها بعون اللّه. و من هناک انتقل إلى مادى و أرى قزوين و أزور البلاط حيثما يكون و أطلع على مختلف الأشياء الغريبۀ ثم أعود إلى بلادى إما عن طريق تركية أو أى طريق آخر. و قد انتهت الاستعدادات اللازمۀ للسفر إلى أصفهان، فاشتريت خمسۀ عشر بغلا و أكثر لأنها ضرورية للذهاب إلى هناک، و لأن الجمال غير مجديۀ فى تلک الطرق. لكن ما يؤخرنى إلى الآن هو خبر انتشر فى هذه الأيام مفاده أن الحرب قد اشتعلت على الحدود. لأن حاكم تلک المنطقۀ بلغه عن و الى بغداد أنه أبعد بعض القوات الغربيۀ التى كان يستخدمها فطردها من الولايۀ، فاستغل الفرصۀ و خرج فى الحال على رأس خمسۀ آلاف أو ستۀ و توغل فى الأراضى التركية فعاث فيها فسادا. و على أثر ذلک يستعد و الى بغداد ليخرج إليه بنفسه و لذلک ترک جانبا الحملۀ التى كان يعدها ضد الأعراب.

مهما يكن من أمر فالطرق المؤديۀ إلى غايتى كثيرة، و سأسلک الطريق الذى لا قتال فيه و لعل قعقعۀ السلاح تصمت بعض الوقت فأنتهز الفرصۀ للعبور.

بلغ تحياتى إلى الأصدقاء كافۀ كتب فى بغداد فى اليوم العاشر من كانون الأول ۱۶۱۶.

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۸۲

ملحق الرسالۀ

لقد ركبت الشياطين رؤوس الفرس فعاثوا فى الأرض فسادا، و خربوا بلدۀ كبيرة على الحدود اسمها «مندلى» تبعد عن بغداد مسيرة ثلاثۀ أيام فاستولوا على قلعۀ صغيرة مبنيۀ باللبن، و فتكوا بأكثر الجنود الذين كانوا فيها، و أسروا عددا من الناس، و سرقوا أموالهم، و لا يعرف بالتأكيد هل تركوا البلدۀ أم بقوا فيها و قووا مفارزها.

و بعكس ما كان يشاع فى بغداد من قبل فإن الوالى لم يخرج إلى الحرب بنفسه بل أرسل ابنه يقود الحملۀ، و قوام جيشه نحو خمسۀ آلاف أو ستۀ جمعوا على وجه السرعۀ. كما أرسل مع الحملۀ ذلک الشيخ أو الأمير العربى الذى نوهت به أعلاه. و كان معه خمسمائۀ فارس من أتباعه لذلک توقفت عن المسير قافلۀ التجار العرب التى كانت على أهبۀ السفر إلى بلاد فارس و ستبقى هنا بضعۀ أشهر تنتظر عاقبۀ الأمور.

أما أنا فقد عيل صبرى و أريد العودة إلى إيطاليا فى أسرع وقت. لذا قررت الذهاب إلى أصفهان و اتفقت مع بعض المكارين الفرس العائدين إلى بلادهم من دون قافلۀ. سنكون نيّفا و مائۀ من المسلحين جيدا بيننا خمسۀ عشر من حملۀ البنادق. و لعلنا نسافر يوم غد نحو تلک الجهۀ. إنى راحل و لا أهاب شيئا بالرغم من قلۀ عددنا ... و أملى وطيد أننا لن نصاب بأذى.

ملاحظۀ أخيرة

.. ستصلك صورتى التى رسمت فى بغداد و أنا لابس الزىّ المحلىّ.

أرجو أن تعرضها على الأصدقاء كافهٔ، و على سيدات الأسرهٔ لكى يضحكوا قليلا على لحيتى الغريبهٔ التى سينتهى أمرها بعد أيام عندما أدخل الحدود الفارسيهٔ و ستبقى الشوارب فقط على عادهٔ تلك البلاد.

كتب فى بغداد ۲۳ كانون الأول ۱۶۱۶.

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۸۳

الرسالهٔ الثامنهٔ عشرهٔ بغداد فى ۲ كانون الثانى ۱۶۱۷

«كان من المقرر أن أغادر بغداد عشيهٔ عيد الميلاد، كما كتبت إلى سيادتكم و ذلك برفقهٔ بعض التجار الفرس الموجودين هنا و الذين قرروا العودهٔ إلى ديارهم. فلما رأونى عازما على السفر بالرغم من نشوب الحرب، اتفقنا على الرحيل سويهٔ. و كان للمكارين الذين اتفقت معهم على السفر رسائل توصيهٔ من الوالى تسمح لهم بالمرور. كما كان لى بعض الأصدقاء المسلمين فى الجبهٔ باستطاعتهم إرسال بعض الجنود برفقتنا بضعهٔ أيام. لكن التجار الفرس تأخروا فى إعداد لوازم السفر فاضطررت إلى الانتظار حتى اليوم فأنا على أتم الاستعداد للرحيل، و قد نقلت خيامى و أمتعتى خارج المدينهٔ و سأقضى هذه الليلهٔ فى البيت لأرحل عند أيهٔ إشارهٔ تبدر من أولئك الرجال، و لعل ذلك يتحقق اليوم أو غدا أو بعده. مهما يكن فلن يطول الانتظار.

فى هذه الأيام الأخيرهٔ التى أمضيتها فى بغداد، وقعت فى يدى بعض الأشياء الجديرهٔ بالاهتمام، و يطيب لى أن أشارك سيادتكم بالاطلاع عليها، و لذلك حررت هذه الرسالهٔ المختصرهٔ و سأبعثها مع نماذج قليلهٔ من الأشياء التى سأذكرها الآن.

أول هذه الأشياء هى جذور عطرهٔ و لقد كسرتها إلى قطع لأضعها داخل الظرف و يوجد منها أنواع متباينهٔ فى الغلظ. و يقول العارفون بالعقاقير و الأفاويهٔ أن الحجم الطبيعى يكون كالراوند و مصدر هذه الجذور من بلاد التتر فإن أولئك القوم يأتون إلى هنا حاملين المسك و يسمى هنا السنبل الخطوى و النسبهٔ إلى خطا ليميز عن سنبل الرند و لهما رائحهٔ مشابهٔ، و قد بدأ استيراد هذا السنبل إلى بغداد منذ سنتين فقط و وصل منه إلى حلب، و انتشر فى البلاد العثمانيهٔ لكنه لم يصل بعد إلى إيطاليا حسب اطلاعى و يستعمله القوم

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۸۴

هنا بحرقه مع التبغ فإن له رائحهٔ طيبهٔ و طعما لذيذا. و قد استعمله أحد أصحابنا البندقيين إذ خلطه مع صابون الغسيل فحصل على نتيجهٔ حسنهٔ و يضعه بعضهم فى صندوق الألبسهٔ فيعبقها بشذاه. فعليك يا سيدى أن تبحث فى مؤلفات الأقدمين لنرى مدى معرفتهم به.

أرسل لك شيئا آخر هو «الفستق الناعم» الذى يختلف عن الفستق العادى حجما و لونا لكنه يشبهه بالطعم و ينمو فى ماردين و الموصل و يسمى بالعربيهٔ «البطم» و يلوث بالملح من أجل إدامته و قد أرسلت لك منه و لم أتحقق إن كانت مملحهٔ أم لا، تذوقها بعد كسرك القشرهٔ طبعا!

كما أرسل أيضا ثلاثهٔ من أنواع الطين المنتشر فى بغداد و يستعمل للاستحمام فيزيد من طراوهٔ الجسم و الشعر و إنى متأكد من مفعوله الحسن و قد دعاه قدماء اللاتين «طين الشعر» و نوه به «بيلونيو» لكنه لم يصف إلا نوعا واحدا.

أما النماذج التى أرسلها إليك فالأول و هو أجودها و مصدره البصرهٔ، و يميل لونه إلى الخضرهٔ و يسمى «طين البصرهٔ». رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب ؛ ص۸۴

ثانى أحمر اللون و يأتى من بلاد الكرد لذا يسمى «كيل كردستان». ان هذين النوعين يزيدان من طراوهٔ الجلد و يجملان الشعر خاصهٔ طين كردستان.

و قد جربت شخصيا هذين النوعين فأعجبت بفعلهما حقا خاصهٔ الطين الثانى فهو جيد للغايهٔ، و لا يذهب أى إنسان يحترم نفسه إلى

الحمام إلا و معه كمية من هذه الطينة. و يستعملها البعض بسحقها و نقعها بالماء كما هى على طبيعتها بينما يعتنى آخرون بإعدادها و ذلك بعجنها مع الورد أو العطور المختلفة أو المياه المعطرة ثم تكور إلى كتل صغيرة و تحفظ لوقت الاستعمال.

النوع الثالث هو الطين المستخرج من ضفاف دجلة فى بغداد نفسها و لذا يسمى «طين الشط» و هذه الطينة لا تختلف باللون عن غرين الأنهار الأخرى كالتيبر مثلا لكن مفعولها أحسن من غيرها و قد أخبرنى الحلاق إن هذه الطينة

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۸۵

تقضى على الحشرات التى تعشعش فى شعر الرأس و اللحية.

أرسل لك أخيرا لحاء شجرة لا يختلف بالشكل و الحجم عن الدارصينى لكنه أثقل وزنا و أثخن مادة و تسمى هذه القشرة «ديرم» و يكثر أهل بغداد رجالا و نساء من استعمالها و النساء بصورة خاصة لتنظيف الأسنان. يكسرون قطعة منه بالظفر أو بالأسنان و ينقعونها بالماء أو باللعاب حتى تلين فتتبين مزايا الديرم الرائعة فى تنظيف الأسنان و تقوية اللثة.

لم أعلم من أية شجرة يؤخذ هذا اللحاء و من أين مصدره. قال لى بعضهم إنه لحاء شجرة الجوز .. فإن صدقوا فى كلامهم فالحصول عليه هين حتى فى بلادنا حيث تنمو أشجار الجوز. بينما قال آخرون إنه يأتى من الهند عن طريق البصرة. و ادعوا أنه و المسواك شىء واحد. و بعد بحثى فى المعاجم العربية رأيت ان المسواك هو كل خشب يستعمل لتنظيف الأسنان عادة. على كل لا أعلم ماهية الديرم بالضبط، كل ما أعلم أنه جيد لتنظيف الأسنان .

لقد طفت فى الأسواق باحثا عن القاقلة فوجدت ان العرب المعاصرين يبيعون عادة عند هذا الطلب ما يسمونه «حماما» و لا أعرف كنه هذه العطاريات إذ لم أقرأ عنها فى كتب الأقدمين فلا أعلم أهى القاقلة الحقيقية أم لا، فعليك يا سيدى ان تتحرى عنها و ها أنا أرسل لك نوعين من هذه العطاريات التى تباع هنا. النوع الأول منهما يطلق عليه العارفون بهذه الأشياء اسما خاصا هو «حماما ياقوتى» أى قاقلة ياقوت. و ياقوت هى جزيرة فى المحيط الشرقى حيث يكثر الياقوت أو بالأحرى الياقوت الزعفرانى، فهم يطلقون على كل هذه الأنواع اسم ياقوت. أنا شخصيا لا أعرف بالضبط طبيعة هذه العقاقير. إنها

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۸۶

بالنسبة إلىّ أعشاب يابسة لا غير و هكذا صارت لأنها أتت من مكان بعيد و مضى زمان طويل على قطفها.

أما النوع الثانى فله اسمه الخاص و هو «عين الحمام» لأن البذر الذى يباع فى الأسواق يشبه عين الحمام، و لا أعرف بالضبط ماهيته، لكنه بالتأكيد بذور بعض الأزهار، و هذا ما يتيسر فى الأسواق بهذا الاسم.

و قد بحثت باجتهاد لأحصل على القرفة و كان أملى الحصول عليها بسهولة استنادا إلى ما قال لى طبيب يهودى نقلا عن كتاب «لابن سينا» حيث ذكر ان ما نسميه القرفة يسميه العرب «قصبة الذريرة» أو «الذريرة» و أكد لى الطبيب المذكور إمكانية الحصول عليها فى بغداد فطلبت منه كمية للاطلاع عليها، فإذا بها لا تطابق ما كنت أعتقده لأن قصبة الذريرة الموجودة فى بغداد هى عبارة عن عيدان تأتى من إحدى مدن الهند المسماة «ديو» و تستعمل كدواء لتخفيف حرارة الجسم و يطلقون عليها هناك اسم «كرياتا» و هذه العيدان مرّة الطعم جدا فهى ليست القرفة أبدا.

لست خبيرا يا سيدى بالأفاوية و العقاقير، لكن بعضهم أخبرنى أن قصبة الذريرة التى نحن بصددها موجودة فى إيطاليا.

عرفت مؤخرا أن المعدن الذى لاحظته فى البداية عند الفرات و قلت إنه أبيض اللون يسمى هنا «البورق» و يستعمله القوم لطلاء سقوف الدور و جدرانها بعد حرقه و سحقه جيدا و نظرا لثقل وزنه فلم أرسل لك منه نموذجا لكنى سأحمل كمية قليلة منه كما سأحمل قليلا من الطلق الذى تستعمله النساء فى هذه البلاد بعد سحقه جيدا فيرشن على الشعر أو على أقنعة الرأس ليزيد من إظهار بهاء اللون الأسود فهو يعطى انطباع اللون الفضى و لهذا السبب يطلقون عليه اسم «مای الفضة» بالرغم من كونه مسحوقا و ليس سائلا.

إن استعماله قديم فقد ذكر «تريبيليو بوليون» إن الامبراطور «كالينو» كان يرش على

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۸۷

شعره مسحوق الذهب كالنساء!

و أخيرا لا ـ بـد من كلمـهٔ بخصوص «الهيل» فنحن لا نعرف إلا نوعا واحـدا منه فى إيطاليا بينما يميز أهل هـذه البلاد نوعين منه يسـمى الأـول «القاقال الكبير» لكبر حجمه طبعا و الثانى «القاقال الصـغير» و هـذا أكثر انتشارا و هو من النوع الـذى يصل إلى إيطاليا بينما يعتبر النوع الأول نادر الوجود و لم أعثر عليه هنا ... و ليتأكد سيدى بأنه سيحصل عليه.

لقـد عرضوا على «القسـط» لكنه من النوع المتوفر فى البندقيـهٔ و فى إيطاليـا عامـهٔ حسب قول العطار البنـدقى، فهو ليس من النوع النادر المطلوب.

فليعـذرنى سـيدى، لأنى أكتب إليه بسـرعهٔ، فالمكارون و الخدم يحيطون بى و الناس فى هرج و مرج، و لا أعلم كيف اسـتطعت كتابهٔ هذه الأسطر!

تحياتى الحارهٔ!

كتب فى بغداد فى ۲ كانون الثانى ۱۶۱۷

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۸۹

القسم الثانى: فى بلاد فارس

الرسالهٔ الأولى أصفهان ۱۷ آذار ۱۶۱۷

اشارهٔ

يطيب لى سـرد بعض الأخبار عن رحلتى من بغداد إلى هنا، و سأرسل كتابى هذا مع رجل مسافر إلى إيطاليا فى الطريق البرى، و هكذا سيصل إليك كتابى بأسرع وقت، لكن ضيق وقتى لن يسمح لى بإطالهٔ الكلام فسأختصر!

غادرت بغداد فى اليوم الرابع من السنهٔ الحاليهٔ ۱۶۱۷ (كانون الثانى).

كان الفرس قد شـنوا الحرب على الأتراك قبيل عيد الميلاد فجردوا حملهٔ على منطقهٔ بغداد و دمروا بلدهٔ كبيرهٔ اسـمها «مندلى» و لكى يتجنب الوالى مزيـدا من الخراب أعـدّ جيشـا قوامه سـبعهٔ آلاـف أو ثمانيـهٔ آلاـف من رجاله أرسـله لمحاربـهٔ الفرس. و على أثر ذلك توقفت القوافل بين البلـدين و لم يتجرأ التجار من مسـلمى بغداد على السـفر. لكن بغداد كانت بحاجهٔ إلى بضائع كثيرهٔ تأتيها عبر بلاد الفرس ممـا أجبر الوالى على تركـ الحـدود مفتوحـهٔ رغم الأـذى الـذى لحق به و هو بعمله هـذا يسـتفيد أولاـ من ضـرائب المكوس و يستفيد ثانيا أنه يزود المدينهٔ بما تحتاج إليه من بضائع لذا كان يشجع القوافل على السفر و يقدم لها التسهيلات و يعدها بالأمان.

فلما كنت عازما على السفر و أعلم أن بلاد الفرس صديقهٔ لبلدى من دون

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۹۰

شكـ، لـذلك انتهزت الفرصهٔ و اتفقت مع مكارى فارسـى كان آنذاكـ فى بغداد و كان مشـتاقا للعودهٔ إلى أهله فاسـتحصل على إذن من الوالى للمرور بأمان له شخصيا و لمن معه من أفراد و أموال إضافهٔ إلى قواص من قبل الباشا يرافقنا على حسابنا إلى الحدود و يقينا تحرشات الجنود.

لقد نال المكارى ما طلب بسهولهٔ و رأيت الفرصهٔ سانحهٔ لى للغايهٔ فقررت السفر ضمن القافلهٔ الصغيرهٔ التى أعدها الرجل من أشخاص قليلين و حـددنا موعـد السـفر يوم الرابع من كـانون الثـانى. لكن عشـيهٔ ذلـكـ اليوم ظهر أن بعض نصـارى بغـداد ممن يتبعون حسـاب التقويم القـديم الـذى لم يخضع للإصـلاح و التبـديل الذى أجراه البابا غريغوريوس الثالث عشـر يحتفلون بالأعياد بعدنا بعشـرهٔ أيام، و

كان ذلك اليوم حسب تقويمهم ۲۴ كانون الأول أى ليلة عيد الميلاد، لذا اجتمع أقارب السيدة معانى و صديقاتها ليسهروا معها و يحتفلوا بالمناسبتين أى: بعيد الميلاد و مناسبة رحيلنا و طبقا لعاداتهم فإنهم أوقدوا نارا فى فناء الدار و شرع الصبيان يقفزون فوقها كما نفعل نحن فى روما فى عيد القديسين بطرس و بولس و أشعلت بعض الفتيات شموعا عسلية من تلك النار و حملت كل صبية شمعتها فترة من الوقت إلى أن تعبن فوضعن الشموع على المنارة و بقيت مشتعلة طوال الوقت و اهتمت كل فتاة بملاحظة شمعتها و الاعتناء بها لأنهن يعتقدن أن الشمعة التى تنطفىء أثناء الحفلة تدل على سوء الطالع و ما شاكل ذلك من الخرافات و إذا انطفأت شمعة الفتاة فلن تجد فتى أحلامها.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۱

مغادرة بغداد

كنت قد صرحت بأنى ابن تاجر بندقى معروف فى تلك الديار، و فى نيتى السفر إلى هرمز لأن الذهاب إلى هناك غير ممنوع. لكن الوالى ساوره الشك فى أمرى، فأنا إفرنجى و قد كثرت التساؤلات عن شخصى بواسطة بعض رجاله، لذلك لم أنشر خبر سفرى لأن توجست شرا و خفت أن يلقى القبض علىّ. فطلبت من المكارين أن يسبقونى إلى خارج المدينة و يجتمعوا عند أسوار القلعة. و بعد أن تقرر موعد الرحيل فى الرابع من ذلك الشهر، و تأكدت أن رجال الحكومة انتهوا من تفتيش الأمتعة، أرسلت أمتعتى على وجبات و طلبت من ذوىّ الخروج إلى المكان المحدد عند العصر و لكن من دروب مختلفة، و عند غروب الشمس خرجت ماشيا و أنا بالزىّ المحلىّ و كأنى فى طريقى إلى دجلة للنزهة.

وجدت خارج باب المدينة فى منطقة مستوية عددا من الرجال التركمان المرموقين راكبين الجياد الأصيلة لعلهم من حاشية الوالى كان عددهم نحو ستين إلى سبعين رجلا و هم يتسابقون فى ذلك الميدان الفسيح و يرمى الواحد للآخر بعض العصى. و هذا النوع من الألعاب معروف عندنا و يتطلب ذوقا و إحساسا فوقفت أراقبهم و شعرت بحسن الطالع لمشاهدة هذا السباق الجميل قبل رحيلى. و عند حلول الظلام عادوا إلى المدينة و لم يبق فى المكان أحد فانحدرت إلى موضع خفىّ قريب من النهر حيث تجمع الأصدقاء و إلى أن خيم الظلام و أغلقت أبواب المدينة. لقد سخرنا حقا من الأتراك و تخلصنا من القواص المعين لمرافقتنا فلم نخبره بموعد السفر.

و فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل حزمنا أمتعتنا و شرعنا بالرحيل فسرنا بسرعة كبيرة طيلة الليل دون توقف فبغالنا قوية و جيادنا أصيلة و خوفنا كبير من أن ينكشف أمر رحيلنا فيرسل الوالى رجاله فى أثرنا و عند الفجر وصلنا إلى ضفة نهر ديالى و قد سبق ذكره و لم نجد هناك إلا قاربا واحدا فاستغرق العبور مدة طويلة إلى منتصف النهار.

يساورنى الشك فى أن نهر ديالى هو المعروف باسم نهر «جندا» فى كتب الأقدمين و قد غرق فيه حصان أصيل مقدس (كذا!) يعود لقورش أثناء حملته

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۲

على بابل، فغضب الملك و قرر تقسيم النهر المذكور إلى ثلاثمائة رافدا بحيث يمكن العبور عليه مشيا، فأضاع فصل الصيف بأكمله فى هذه العملية حسب رواية «هيرودوتس».

عبرنا نهر ديالى و توقفنا فى الضفة الثانية عند قرية «بهرز» عندئذ فقط شعرنا بالأمان ببعدنا عن بغداد فلا تنالنا يد الوالى؛ كذلك أمضينا النهار بالاستراحة و أخلدنا للنوم إلى منتصف الليل فنهضنا و تابعنا رحلتنا بنفس النشاط السابق.

كانت المنطقة التى نسير فيها تابعة لولاية بغداد، و كانت الأرض هناك مستوية قاحلة تتخللها بعض المستنقعات لا تختلف عن البادية الجرداء إلا فى الأماكن المأهولة و هى قليلة، لقد كانت جافة لا من طبيعتها و لكن لأن يد الإنسان لم تمتد إليها لأنى وجدت أعشابا كثيرة و أدغالا برية منتشرة.

فى اليوم السادس من كانون الثانى مررنا بقرية تسمى «تكية» ثم عبرنا قرية أخرى أكبر حجما لكنها بدائية تسمى «شهرابان» هناك رأينا جيش بغداد و قد انتشر فى أرض واسعة خضراء و نصب خيامه عليها و لا أعرف سببا لعدم تقدمه، أرحمة بالفرس أم خوفا منهم ... انى أرجح السبب الثانى لأن الأتراك اتخذوا موقف الدفاع.

لم أقترب من مواضع الجيش لكن الرسام و بعض المسافرين اقتربوا منهم قليلا فلم يتعرض لهم الجنود بل تركونا نمر بسلام.

ثم مررنا بقرية أخرى تسمى «هارونية» نسبة إلى رجل اسمه هارون.

توقفنا هناك و أمضينا الليل و قد باغتنا بعض اللصوص، ساعدهم الظلام الحالك فجاؤوا زاحفين و سرقوا بعض الأمتعة من رجال القافلة كافة و لا أعلم ماذا سرقوا من خيمتى، لكن الرسام شعر بوجودهم فخرج إليهم و أطلق عيارا ناريا على أحدهم رآه يتسلل إلى الخيمة فكان خير رادع للسارق و أصحابه إذ أطلقوا سيقانهم للريح.

فى اليوم السابع دفعنا ضريبة كانت تجمع فى ذلك الموقع و رحلنا منذ

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۳

الصباح الباكر فمررنا بجبال جرداء و أرض قاحلة و عند الغروب توقفنا عند قرية تسمى «قزلرباط» و هى آخر موقع مأهول يخضع للسيطرة التركية، يسوسها رجل اسمه أحمد أو محمد بك و هو رئيس قبيلة كردية و قد خلع السلطان عليه رئاسة المنطقة مدى الحياة مقابل حراسته للحدود هو و رجال قبيلته.

الأكراد

لا بد أن أسرد عليك شيئا من الأخبار عن الأكراد يا سيدى.

تقع منطقة كردستان بين الدولتين: العثمانية و الفارسية ان منطقة وجودهم ليست عريضة بقدر ما هى طويلة. فالمساحة عرضا من الغرب إلى الشرق تستغرق مسيرة عشرة أيام أو اثنى عشر يوما تقريبا بينما هى من الشمال إلى الجنوب طويلة جدا إذ تبدأ تقريبا من أراضى بغداد و السوس حسبما أظن و تمتد إلى ما بعد الموصل (و هى نينوى) إلى بلاد مادى و أرمينيا و ما بعدها إلى البحر و هى منطقة مكينة لأنها جبلية متفرعة من جبل طوروس، فالسلسلة تبدأ من هناك لتقسم آسيا و تتقدم إلى الجنوب حتى تصل إلى الخليج. هذه الجبال الشم هى الفاصل الطبيعى بين الدولتين العثمانية و الفارسية حاليا كما كانت قديما الفاصل الطبيعى بين الدولة الرومانية و الفرثية.

ماذا كان يطلق على كردستان فى العهود القديمة يا ترى؟ هذا ما أجهله و لا أعتقد انها كانت تسمى باسم عام كما هى الآن، بل كانت تقسم إلى شعوب عديدة و بأسماء مختلفة و يؤيد قولى هذا ما ورد فى مؤلفات الأقدمين. فقد ذكر عن بعضهم باسم «كاردوكى» الذين أغاروا على زينوفون و أتباعه فألحقوا بهم الأذى بالقرب من نهر دجلة عند تراجعهم إلى اليونان، كما يروى بنفسه فى كتبه الرائعة عن حملة قورش الأصغر. إن كتابه هذا فى رأيى هو من أروع ما خلف من المؤلفات .

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۴

و للأكراد لغة خاصة بهم تختلف عن اللغات المجاورة أى: العربية و التركية و الفارسية و رغم ذلك ففى كلامهم لكنة فارسية و تقترب منها فى بعض ألفاظها.

يعيش بعضهم فى خيام، و ينتقلون من مكان إلى آخر مع مواشيهم، لكن الأكثرية تعيش فى قرى و يخضعون لأسياد من جنسهم، و سيادة أمرائهم وراثية فى الأكثر، و يتقاسمون الولاء للدولتين المتجاورتين فبعضهم مع العثمانيين و البعض الآخر مع الفرس حسب قربهم من هؤلاء أو من أولئك. لكن كبار أمرائهم أحرار ينعمون بالاستقلال و لكن بدرجات ما بين القوى و الأقوى هناك بين أمرائهم من يستطيع أن يعد عشرة آلاف إلى اثنى عشر ألف فارس، مثل أمير بتليس الذى رأيته فى اسطنبول. أما محمد بك صاحب

قزلرباط الذى ذكرته قبيل قليل فبإمكانه إعداد نحو ألفين إلى ثلاثة آلاف مقاتل لا أكثر.

أن الأمراء الأقوياء لا يعترفون بتبعية لأحد لكنهم يقبلون حماية أحد العاهلين و قد يغيرون الولاء من هذا إلى ذاك حسبما تقتضيه منافعهم، كما يحدث عندنا فى إيطاليا تماما! اما الضعفاء فيقبلون بالتبعية بطبيعة الحال و يرضون بالرئاسة لفترة محدودة أو مدى الحياة و لكنها غير وراثية.

يعتبر الزىّ الكردىّ مزيجا من أزياء الأتراك و الفرس و هو لباس خشن.

نساؤهم سافرات يتجولن بحرية بين القوم، و يتحدثن بحرية مع الرجال أكرادا كانوا أم غرباء.

الأكراد مسلمون منهم على مذهب الفرس، و منهم على مذهب الأتراك بحسب التبعية السياسية التى يقبل بها أمراؤهم. يظن بهم بعض المسلمين سوءا و تنتشر فى أوساطهم الخرافات و لقلة معلوماتى عنهم فلا أستطيع التبسط أكثر فى عاداتهم.

فى بعض أماكنهم كمدينة الجزيرة مثلا الواقعة على نهر دجلة فى بلاد ما بين النهرين يسوسها أمير كردى، و كذلك فى الجبل الذى يطلق عليه الكلدان

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۵

اسم «الطور» فهو يخضع للأكراد أيضا و تلك المنطقة جبلية و عرة المسالك و يعيش فيها عدد كبير من النصارى الكلدان و اليعاقبة و النساطرة و يتكلمون إلى اليوم اللغة الكلدانية العامية، و يستخدمهم الأمير الكردى أحيانا كجنود مقاتلين فى صفوف جيشه.

هذا كل ما استطعت جمعه من أخبار عن الأكراد.

و لنعد الآن إلى رحلتنا. ففى اليوم الثامن من كانون الثانى بارحنا «قزلرباط» قبل طلوع الشمس بعد ان دفعنا ضريبة زهيدة. و ما إن تركنا تلك المنطقة حتى دخلنا فى بقعة خضراء كانت مأهولة بالأتراك سابقا لكن الفرس استولوا عليها فى الحروب الأخيرة و دمروها فهرب السكان كلهم على الإطلاق و قد كانت هذه المنطقة بشهادة كثيرين أقوى حامية على الحدود.

فى ذلك اليوم نفسه مررنا بنهر عريض و قد عبرناه راجلين و لكن بصعوبة بالغة قالوا انه نهر ديالى الذى سبق لنا عبوره بالقارب لكنه فى ذلك الموقع و هو قرب منبعه لم يكن غزير المياه.

رأينا عند عدوة النهر بقايا بناء متهدم يسمى «جاى قوناغى» التى يمكن أن أفسرها باستراحة عند النهر أو وقفة النهر.

فى الليلة التالية مررنا بأرض لم أعرف اسمها. و فى اليوم التالى مررنا بموقع متهدم يسمى «قصر شيرين» و الكلمة الأخيرة تعنى بالفارسية «الحلوة» و تطلق على الرجال و النساء. لكن اسم هذا الموقع يدل فى الأكثر على سيدة مهمة، و فى هذه الحالة يشير إلى صاحبة القصر و هى زوجة خسرو أحد أكاسرة الفرس كان يربطهما حب عارم كما خلدته ملحمة فارسية مشهورة جدا .

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۶

التقينا عند الغروب بثلة من الخيالة الفرس من أتباع «قاسم أو قصوم سلطان» حاكم الحدود و هو الذى هجم على مندلى فخربها. لقد فرحت لأنى أصبحت بعيدا عن متناول الأتراك. فلما اقتربوا منا صرحت بأصلى و هويتى فأصبحت موضوع «طماشة» أعنى كشىء جديد غريب! فأحاطوا بى و أمطرونى بوابل من الأسئلة و كانوا يتكلمون التركية فهذه اللغة سائدة بين الفرس أيضا إلى جانب لغتهم و هى لغة الخاصة فى البلاط و بين مراتب الجيش .. ثم أخذونى إلى رئيسهم.

فى اليوم التالى و هو العاشر من كانون الثانى ۱۶۱۷ صعدنا بعض الهضبات ثم توقفنا قرب جدول اسمه «ينكى امام» و بالقرب منه قرية كردية تدعى «ينكى قوناغى» أى الموقف الجديد.

فى هذا المكان نزعت الزىّ القديم «أى العراقىّ» و لبست الزىّ الفارسىّ و حلقت لحيتى تاركا شاربى العريضين على عادة الفرس، فتغير شكلى حتى أن زوجتى معانى استغربت منظرى و تألمت جدا .. فحاولت إقناعها بضرورة التغيير حسب عادات البلاد التى نمر بها و أخبرتها بأنى سأغير منظرى من جديد عندما نعود إلى إيطاليا فهناك سأترك شعيرات قليلة فى ذقنى. هذه العادة الغريبة يطلقون

عليها هنا تهكما لحية الماعز!

لقد تكلمت عنك مرارا أمام معانى و حدثتها عن حبك للعربية فاشتاقت إلى معرفتك و قدمت نفسها لخدمتك على أمل أن تلقاك يوما فتقوم مقام المعجم الحى للكلمات العربية التى تريد معرفتها. فما أكثر الكلمات التى لا أثر لها فى المعاجم المتوفرة؛ لذلك فبحضورها يمكنك أن تضع أمامها مختلف الحشائش لتقول لك فى الحال اسم كل نوع بالعربية. إنها تستطيع إعطائى جذور الأفعال و أصولها و طريقة تصريفها إضافة إلى الأرقام و الأشخاص و غير ذلك.

إنه لأمر غريب حقّا لعله لم يحدث من قبل أبدا بين رجل و زوجته أن لا

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۷

يعرف الواحد لغة الطرف الآخر، و بالرغم من ذلك فإنهما يتكلمان دائما و يتفاهمان جيدا بلغة ثالثة ليست لغة أحدهما.

لم أتقدم فى تعلم اللغة العربية رغم وجود الست معانى معى كما أنها لم تتعلم اللغة الإيطالية رغم ضرورتها و أهميتها.

*** فى الطريق من بغداد إلى هنا، و نحن نقطع الفيافى و الجبال و قد غمرنا صمت عميق و فى الليالى الحالكة و أنا بقرب زوجتى الحبيبة باغتنى ملاك الشعر و إذا بالشعر يتدفق تدفقا عجيبا من مخيلتى فأردت الاقتداء بالأقدمين فأضع قصيدة إكراما لزوجتى أصف فيها رحلتى و أعبر فيها عن حبى. و وضعت لهذه القصيدة الغزلية اسما هو اكليل جويريدة» نسبة إلى أسرة معانى.

*** لم يبق برفقتى أحد من الإفرنج. كان معى إلى الآن رجل بندقى اصطحبته من حلب و رسام فلمنكى و قد سببا لى متاعب جمة فتخلصت منهما [إذ صرفتهما] مؤخرا؛ و أعتمد الآن على أشخاص من أهل البلاد، فمعى الآن رجل من بلد معانى يقوم على خدمتها و اسمه عبد الغنى بن جرجيس و أصله من ماردين و معى رجل أرمنى و ثلاثة رجال كلدان؛ أولهم طباخ، و الآخر يهتم بالجياد و يسير أمامنا ليفسح لنا المجال فى الطرقات، و الثالث و قد عينته كمراسل لكنه لم يلتحق بنا بعد و هناك رجل مسلم يعتنى بالجمال، و فى بيتنا نسوة للخدمة.

أخبار عن الحويزة العربية

بلغنى قبل مدة نبأ وفاة مبارك المليك العربى الذى حدثتك عنه و هو

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۹۸

حاكم البلاد الواقعة بين حدود ولاية بغداد و بلاد فارس. و قد خلفه ابنه الكبير «سيد ناصر» الذى عاش و تربى فى بلاد فارس، و تزوج بإحدى بنات الملك و لذا كانت تلك الإمارة منذ سنوات تحترم الملك و تجله.

فبعد موت مبارك ذهب ناصر حالا ليتسنم الرئاسة لكن العرب الذين يعشقون الحرية رفضوا قبوله و قاوموه لأنهم توجسوا فيه نية تغلغل النفوذ الفارسى و إخضاعهم للفرس فثاروا عليه بغية طرده من مملكتهم و لأجل إسناد الرئاسة إلى ابن مبارك الأصغر الذى ترعرع بينهم، لذلك أثاروا الاضطرابات و الفتن حتى فتكوا بناصر أخيرا و لا يعرف بالقطع أمات بالسم أم بالاغتيال و أنا أرجح الاحتمال الثانى. ثم هجموا على مدينة تدعى «الحويزة» و هى عاصمة الولاية فخربوها. و كان بناء الحويزة فى الغالب من القصب ما عدا القلعة و كانت قوية جدا لوقوعها بين الأهوار و المستنقعات و كان أهلها يمنعون الوصول إليها بإغراقها عند الضرورة. و قد زحف العرب إلى الأراضى الفارسية و توغلوا فيها فنشب القتال فى تلك الأطراف.

يحكم الحويزة الآن بعض الوزراء من أتباع مبارك المتوفى، و يسكنون فى القلعة أما علاقاتهم بملك الفرس فهى متذبذبة و هو لا يريد أن تضيع منه هذه الفرصة ليضع لنفسه موطىء قدم فى تلك المنطقة و إلا فسوف تتحول إلى لقمة سائغة فى فم بغداد.

لهذا أعد على وجه السرعة حملة بقيادة حاكم شيراز و هو نائب الملك فى المنطقة المتاخمة لإمارة مبارك يسمى «امام قولى خان» و كان مع الملك فى الجيش فأسرع و جرد حملة على العرب محاولا اقتحام الحويزة و قد مر بأصفهان فى طريقه إلى هناك و كان

مسرعا فلم يبق هنا إلا ليلة واحدة.

من أصفهان فى ١٨ كانون الأول ١٦١٧

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ٩٩

الرسالة الرابعة أيار– تموز ١٦١٨

.... لقد شرع الرسام قبل رحيله برسم لوحة للسيدة معانى بزيها العراقى الجميل، لكنه لم يكملها و إلا لكنت أرسلتها إليكم للتعرف على هذا الزى. و سيدتى الجميلة تبدل زيها فى كل بلد نمرّ به فتلبس حسب عادات ذلك البلد.

... إن السيدة معانى تتمنى بكل جوارحها إنجاب الأطفال، و هى تشعر بالأسى لأن أمنيتها لم تتحقق حتى الآن. و يظهر أنها خلافا لتعليماتى بل عملا- بنصائح بعض النسوة التجأت إلى العطار فاستعملت بعض العقاقير المحلية، و ما أكثر ما منعتها من تعاطى تلك العطاريات التى ربما تلحق الأذى بها، و قلت لها إن إنجاب الأطفال هبة من اللّه يمنحها حين يشاء .. و قد أشار عليها بعضهن بأن تعاطى الخمر يفيدنى فكانت تلحّ على من وقت إلى آخر لأتناول الخمر عوضا عن الماء، إنها تعرف جيدا ان أسرتينا كانتا تعجّان بالأولاد: فأمها رزقت باثنى عشر طفلا و حملت و وضعت التوائم مرتين و بعد زواجى بابنتها رزقت بطفل جديد! أما من طرفنا فأنا شاب و معافى بعمر الورود و إنى و إن كنت غير متأكد من عمرها بالضبط إذ إن الناس فى هذه الديار لا يسجلون المواليد و لا يكترثون بالكتب إلا العلماء منهم بل يكتفون بذكر سنوات الملوك و الأحداث و الحروب فقد استطعت بعد استجوابها و التحقيق معها بصورة عامة ذاكرا بعض الحروب و الأحداث المهمة فعرفت أن عمرها كان نحو ١٨- ١٩ سنة عندما تزوجتها فهى الآن قد بلغت العشرين من العمر. أما أنا فعمرى ٣٢ سنة و نتمتع كلانا بالصحة و القوة ... و لا أعلم سبب عدم إنجابنا إلى الآن ...

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ١٠٠

الرسالة الخامسة أصفهان فى ٢٢ نيسان– ٨ أيار ١٦١٩

... وصل إلى قزوين فى ١٩ حزيران ١٦١٨ السيد عبد اللّه جويريدة الأخ الأكبر للسيدة معانى قادما من بغداد، فجاء إلى أصفهان لرؤيتنا، و إذ لم يجدنا هناك استفسر من الآباء الكرمليين عنا، و توجه إلى قزوين .. لقد دعوته بنفسى ليحل عندنا فيبدد بوجوده الشعور بالوحدة و الحنين عند الست معانى.

*** فى ٢٢ حزيران ١٦١٨ قابل الملك ضيوفه الأزبكيين فى ساحة القصر فى قزوين و بعد المداولات معهم كلمهم عن الحاضرين من ضيوفه، و قد مدح بصورة خاصة شيخا عربيا أو أميرا من الحويزة اسمه «الشيخ نصار» و نوه بأنه قام باضطرابات فى بلاده و قتل بعض السفراء (لعله نزولا إلى طلب الملك نفسه) ثم هرب و التجأ إليه. و هو رجل جرىء للغاية و طيب جدا؛ و خلاصة القول أن له منزلة خاصة. و قد تحدث بإسهاب و لكن بطريقة غير واضحة بحيث إنى لم أفهم كل شىء بالضبط ...

*** و بعد الأخبار المفرحة التى ذكرتها لا بد أن أنوه بحادث حزين حل بدارنا و ذلك بوفاة مربى السيدة معانى و هو عبد الغنى، أو كما كان يحلو لها أن تدعوه «بابا غنى» .. لقد تم تشييعه على عادة الشرقيين بعد غسل جثمانه و لفه بالأكفان البيض التى ورد ذكرها فى الإنجيل و الكفن قطعة واحدة يستعمل قسم منها لأعلى الجسم و القسم الآخر للأسفل فيلف الجثمان بحيث يصير كالقماط الذى يلف الطفل. أما دفن الميت فيجب أن يكون رأسه باتجاه

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ١٠١

الشرق، و لا يستعمل الصندوق البتة .

لقد قرر الملك- أى الشاه عباس- إذا ما ساعدته الظروف فى الوقت الحاضر ان يهجم على البلاد العثمانية ضاربا عرض الحائط

المواثيق، و يحاول السيطرهٔ على بغداد، لا بل على منطقهٔ آشور كلها.

*** أنتظر من بغداد حيث كتبت و طلبت مجموعهٔ من الحمام الزاجل (علما بأن صهرى يمتلك عددا منها رائعا أصيلا!) و هذا الحمام يحمل الرسائل و قد دعاه «تاسو» البريد الطائر و يكثر استعماله لهذه الغايهٔ فى آسيا منذ أقدم العصور و قد قيل لى ان الحمام البغدادى هو أرقى أجناس الحمام فى آسيا و فى مصر فإن وصلت هذه المجموعهٔ- كما أؤمل- فسأحملها إلى إيطاليا و أعتنى بتربيتها فى بيتى؛ نعم إن السفر طويل قد لا يتحمله الحمام، و لكن من يعلم! ألم يصل إلى روما قبل سنوات فيل حى على عهد البابا لاون؟ فلماذا لا يصل الحمام؟!

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۰۲

الرسالهٔ السادسهٔ أصفهان فى ۲۳ آب ۱۶۱۹

... فى الأول من حزيران قدم من بغداد إلى أصفهان بعض أفراد عائلهٔ معانى، لقد تركوها عملا بنصيحتى. جاء أبو معانى السيد حبيب جان و أخوها عبد اللّه مع زوجته أسميخان و ولداهما بطرس و حنا؛ و أختها كولاغى و أخوها عطائى ... أما الآخرون فقد مكثوا فى بغداد ...

*** ... اطلعت مؤخرا على القاموس العربى الذى أعده «فرانشيسكو رافيلينجو» و نشره بالطبع، و هو جيد لأنه أول قاموس يطبع. لكنه بحاجهٔ إلى تصحيحات عديدهٔ. إن السيد جورج ستراكان الاسكتلندى الموجود حاليا هنا، كان قد أمضى مع العرب فى حمايهٔ الأمير فياض أكثر من سنتين لذا فهو مستعد لصنع المعاجم و إصلاح مفرداتها، فقد اتقن العربيهٔ و قرأ كتبا كثيرهٔ و يملك مجموعهٔ حسنهٔ من الكتب العربيهٔ و قد وعدنى بأن يعكف على ترجمهٔ «القاموس» و هو أهم المعاجم العربيهٔ و أشهرها، و لى منه نسخهٔ رائعهٔ فإن حقق السيد ستراكان وعده فإنه سيقدم للعلماء خدمهٔ جليلهٔ.

كما أطلعت على كتاب نحو اللغهٔ العربيهٔ الذى وضعه «توماز و أربينو»

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۰۳

و هو حسن لكنه مشوش جدا، و كان بإمكانه أن ينظم و يسهل أسلوبه و إن يختصره أيضا.

أما أنا فنظرا لمعرفتى اللغهٔ التركيهٔ فقد اجتهدت باعداد كتاب فى النحو و بعد إتمامى العمل سأحاول نشره لفائدهٔ الجمهور بعد أن أطلعك عليه و أعمل بمشورتك .

لقد تكلمت عنك كثيرا أمام السيدهٔ معانى، و مدحت أخلاقك العاليهٔ فكتبت إليك رسالهٔ بلغتها العربيهٔ و بعد أن طوتها لفتها بالحرير و ختمتها على عادهٔ الشرقيين. إن لغهٔ السيدهٔ معانى يغلب عليها اللفظ العامى البغدادى فكلامها بعيد عن الفصحى الجميلهٔ. و قد أملت رسالتها على الملا ليكتبها و لا أعتقد أنه من الخطاطين الماهرين.

... كتبت السيدهٔ معانى رسائل أخرى للأصدقاء بالعربيهٔ ...

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۰۴

الرسالهٔ السابعهٔ أصفهان فى ۲۱ تشرين الأول ۱۶۱۹

... تلبيهٔ لطلب الأهل أرسل لكم تصوير السيدهٔ معانى بزيها العراقى الكامل الذى تفضله على الأزياء الأخرى و لو انها لا ترتديه الآن و الصورهٔ الست معانى بزيها البغدادى

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۰۵

كاملهٔ لكل الجسم و قد رسمها ذلك الرسام الفلمنكى الذى كان برفقتى و من المؤسف أنه لم يكمل اللوحهٔ فهى لا ترضينى و بعيدهٔ

کل البعد عن الأصل الجمیل. ان الحلی التی تزین بها رأسها ناقصهٔ کذلک قبضهٔ الخنجر العربی فإنها غیر واضحهٔ.

الرسالهٔ الثامنهٔ ۴ نیسان ۱۶۲۰

[یذکر السائح خبر وصول أفراد أسرهٔ معانی إلی أصفهان و لا أری حاجهٔ إلی ذکر التفاصیل]

الرسالهٔ التاسعهٔ أصفهان فی ۲۰ حزیران ۱۶۲۰

[فی مجری کلام السائح عن قدوم عبد المسیح جویریدهٔ إلی فارس یذکر أنه کان جندیا فی خدمهٔ مصطفی صوباشی، و یضیف: «بعد وفاهٔ مصطفی أصبح رئیس الجند بکر صوباشی، و هو سید بغداد الأوحد حالیا، و یکاد یکون ملکا، و لا یخضع للسلطات إلا بالاسم»].

الرسالهٔ الحادیهٔ عشرهٔ ۸ آب ۱۶۲۰

... فی الأول من آب قررت السیدهٔ مریم حماتی العودهٔ إلی وطنها العراق إذ لم ترق لها الحیاهٔ فی بلاد فارس، فسافرت فی قافلهٔ متجههٔ إلی بین النهرین مصطحبهٔ ابنتیها راحیل و اسمیخان ...

الرسالهٔ الثانیهٔ عشرهٔ أصفهان فی ۲۳ شباط ۱۶۲۱

... صرفت الأیام الأخیرهٔ فی دراسات مفیدهٔ فقد أعددت منذ أشهر کتابا فی نحو اللغهٔ الترکیهٔ ذلک الکتاب الذی نوهت به أکثر من مرهٔ فی

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۰۶

رسائلی فأنا سعید لأنی انتهیت من تألیفه و قد جاء کتابا مبسطا واضحا و مختصرا یشبه کتاب نحو اللغهٔ الکلدانیهٔ الذی وضعه «جرجیس عمیرهٔ» و أملی ان ینشر بالطبع عند عودتی إلی روما.

... إلی جانب اهتمامی بالترکیهٔ، فإنی أعنی بالعربیهٔ و الفارسیهٔ أیضا ... فقد ترجمت کتابا فی الفقه الإسلامی و هو خلاصهٔ التعلیم الدینی فنقلته إلی اللاتینیهٔ ... کما أعکف منذ فترهٔ علی ترجمهٔ بحث فی الفلک إلی اللاتینیهٔ أیضا و یضم الکتاب ثلاث رسائل لمؤلفین مختلفین فی الموضوع نفسه لذلک أدرجتهم فی کتاب واحد.

الکتاب الثالث الذی شرعت بترجمته عن العربیهٔ مستعینا بالفارسیهٔ هو کتاب أسماء اللّه الحسنی ... و یسعدنی أن أقدم هذا الکتاب هدیهٔ لک لاهتمامک بالعربیهٔ و الأمور الشرقیهٔ ...

فی نیتی ترجمهٔ کتاب «لب التواریخ» عن الفارسیهٔ و کذلک تاریخ خلفاء بغداد ففی هذین المصدرین أمور مجهولهٔ فی أوروبا. و أخیرا کتاب «مئهٔ کلمهٔ» للإمام علی بن أبی طالب، فهی رائعهٔ معنی و لغهٔ ...

و قد أتممت قصیدتی المسماهٔ «إکلیل جویریدهٔ» ..

الرسالهٔ الثالثهٔ عشرهٔ أصفهان فی ۲۵ شباط ۱۶۲۱

... فی الحقیقهٔ فاتت الشاه عباس فرص عدیدهٔ ضد العثمانیین کان

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۰۷

بإمکانه انتهازها و السیطرهٔ علی بعض الأراضی العثمانیهٔ، لکنه لم یهتم. ألم تقدم له بغداد مؤخرا من قبل و الیها لکنه لم یکلف نفسه العناء بالذهاب لاستلامها ...

قال لی أحدهم إن بإمکان الشاه الاستیلاء علی بغداد و أماکن أخری، لکن العبرهٔ لیست بالاستیلاء فحسب بل بالمحافظهٔ علی الأراضی المستولی علیها ... و أضاف صاحبی: ألم یأخذها من قبله الشاه إسماعیل ثم ضاعت منه؟ .

الرسالهٔ الرابعهٔ عشرهٔ ۲۳ أیلول ۱۶۲۱

... فی تموز عاد صهری إلی بغداد صحبهٔ رجال کانوا هنا من أصحاب بکر صوباشی رئیس الجند فی بغداد لقد قدموا إلی هنا یحملون رسائل و هدایا إلی الملک، إذ إن- لبکر- علاقهٔ سریهٔ معه و ها هم فی طریق عودتهم مع جواب الملک.

[فی شهر آب عاد جمیع أفراد أسرهٔ معانی إلی بغداد].

الرسالهٔ الخامسهٔ عشرهٔ شیراز فی ۲۱ تشرین الأول ۱۶۲۱

بدأت أفکر بالعودهٔ إلی بلادی، و لکنی لم أقرر بعد أی درب أسلک. ان

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۰۸

عودتی عن طریق بغداد و مروری بالأراضی الترکیهٔ خطر علیّ و علی أسرتی لأنی معروف هناک. أما الذهاب إلی الهند عن طریق مضیق هرمز فهو أسهل الطرق لکن الحرب سدت بوجهی تلک السبل. بإمکانی أیضا الانتقال من أصفهان إلی البصرهٔ فهذه المدینهٔ و ان کانت خاضعهٔ للأتراک فخضوعها بالاسم فقط، أما فی الواقع فلا، لأن حاکمها الحالی هو سید مطلق و اعترافه بالسلطان ظاهری فحسب و هو صدیق البرتغالیین فلا خطر علیّ إن ذهبت إلی هناک.

تقع هذه المدینهٔ بالقرب من البحر علی الخلیج و هی غیر بعیدهٔ عن الحدود الفارسیهٔ لکن لا بد من السفر بالبحر قلیلا إذا ما أردت التوجه إلیها دون المرور بأرض الحویزهٔ العربیهٔ و من هناک نبحر إلی الهند عن طریق هرمز.

عندما قررنا الرحیل اصطحبنا صبیهٔ اسمها «ماریوجا» و رافقنا شیخ جلیل اسمه «بابا ملکی» و أصر السید عبد اللّه علی مرافقتنا إلی هرمز.

الرسالهٔ السادسهٔ عشرهٔ حدائق شیراز فی ۲۷ تموز ۱۶۲۲

اشارهٔ

(... کم کان فرحنا عظیما عندما تأکدنا من قرب تحقق الأمنیهٔ الغالیهٔ فقد أسرّت لی معانی بأنها تحمل فی أحشائها ثمرهٔ حبنا بعد سنوات من الانتظار ...

وفاهٔ زوجهٔ السائح

... و لکن فی مینا أصیبت معانی بحمی قویهٔ عالیهٔ، علی أثرها أجهضت طفلها و بقیت حرارتها فی صعود، حتی أنهکت قواها، و لم تنجدها العقاقیر المحلیهٔ المتوفرهٔ نفعا، فأسلمت روحها إلی بارئها فی ۳۰ کانون الأول

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۰۹

أیام معانی الأخیرهٔ

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۰

۱۶۲۱ و عمرها ثلاثهٔ و عشرون ربیعا .

لقد قررت- یستطرد الرحالهٔ- ان لا أواریها الثری فی هذه البلاد، بل أحمل جثمانها إلی مقبرهٔ آبائی و أجدادی فی کنیسهٔ «أراجیلی»

فی روما فی ظلال «الکمبیدولو» .

*** مر علیّ شهر نیسان (۱۶۲۲) و هو مشحون بالأخبار؛ ففی مطلعه قدم إلی «اللر» أعراب من أطراف الحویزهٔ، من الموالین لحاکم شیراز، و حلوا بالقرب من بیتی.

أما «الحویزهٔ» یا سیدی فهی حسب اعتقادی أرض فی أقصی جنوب بغداد، تقع قرب البحر إلی الشرق من دجلهٔ و علی حدود «سوسهٔ». فاستفسرت منهم عن أحوال تلک الدیار فأفادونی قائلین إنه بعد موت مبارک، الأمیر العربی الحر ذاک الذی نوهت به فی رسائلی الأخیرهٔ، تسلم ابنه الکبیر «سید ناصر» زمام الحکم مدهٔ سنهٔ تقریبا، و هو صهر الشاه. و بعد مضی نحو سنهٔ لم یقتل ناصر کما أشیع فی حینه لکنه مات مسموما، و قد دس له السم أحد أقاربه و هو «سید راشد» الذی کان یطمح للرئاسهٔ فتحقق له ما أراد بعد موت ناصر.

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۱

و أضافوا: ان راشدا کان فارسا شجاعا و قد حارب فی البصرهٔ الخاضعهٔ للأتراک اسمیا و قتل فی الحرب فخلفه أحد أقاربه و اسمه «سلامهٔ» و لکن بعد مدهٔ قصیرهٔ عاد إلی الحویزهٔ بتأثیر الشاه «سید منصور» أخ مبارک الأصغر و هو شاب له من العمر نحو خمس و ثلاثین سنهٔ و کان یعیش عند الشاه فتنازل ابن عمه سلامهٔ من تلقاء نفسه عن مکانه له تلبیهٔ لرغبهٔ العرب و عملا بأمر الشاه، فالقوم لا یریدون الاحتکاک به. و هکذا یسود الآن «سید منصور» بسلام فی تلک المنطقهٔ.

و قالوا أیضا: إن مبارکا خلف أولادا آخرین لکنهم صغار السن بعد و لذلک لم یخلفوه فی الملک.

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۳

القسم الثالث: الهند و العودهٔ إلی الوطن

الرسالهٔ الثامنهٔ غوا فی تشرین الثانی ۱۶۲۴

... فی العاشر من أیار وصلتنا رسائل من مسقط، جاء فی واحدهٔ منها، تاریخها ۲۴ نیسان تأکید الإشاعات المنتشرهٔ منذ أیام و التی مفادها إن الفرس استولوا علی بغداد و هم یستعدون للهجوم علی البصرهٔ عن طریق البحر، لکن وجود البرتغالیین صدهم عن الهجوم، فهناک حلف بین الأتراک و البرتغالیین، و بموجبه هرعوا لحمایهٔ المدینهٔ کما أن مراکبهم تجوب البحر و تصل إلی الشط الکبیر حیث التقاء نهری دجلهٔ بالفرات.

فإن کان خبر الاستیلاء علی بغداد صحیحا فأنا أعتقد بأن البصرهٔ لا بد أن تسقط بیدهم أیضا مع الأیام، إن لم یکن عن طریق البحر حیث تصدهم القوات البرتغالیهٔ، فعن طریق البر، لأنه من الواضح أن الاستیلاء علی بغداد یکتمل بالبصرهٔ فهی میناء مهم جدا.

إن سقوط بغداد یرجع إلی الاضطرابات السائدهٔ فی اسطنبول، و الفساد المنتشر بین الأتراک (العثمانیین)، خاصهٔ فی الباب العالی، إضافهٔ إلی کثرهٔ التغییرات فی السلطهٔ التی تؤدی إلی ضعف الإدارهٔ. هذه الأسباب کلها أعطت للشاه فرصا لاحتلال بغداد و أکثر من ذلک أن بکر صوباشی الجائر الذی ذکرته

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۴

غیر مرهٔ کان قد اغتصبها و هو الذی سلمها مما سهل الأمر حتی لو کانت إدارهٔ الأتراک بخیر. لقد خاف بکر منذ أن اعتلی دست الخلافهٔ السلطان مصطفی، فقد ذکر عنه أنه رجل فطن للغایهٔ و قد عقد العزم علی تطهیر جهاز الدولهٔ و الامتناع عن الحروب الخارجیهٔ و من المؤکد أنه قرر وضع حد للاضطرابات الحاصلهٔ فی بغداد و ذلک بإبعاد الطاغیهٔ المذکور، مما جعله یرتمی فی أحضان الشاه.

قیل لی- من جههٔ أخری- إن السلطان مصطفی عقد معاهدهٔ سلام مع الشاه عباس أمدها عشرون سنهٔ. فإن کان خبر الهجوم علی بغداد صحیحا فهذا یعنی ان عباس خرق المعاهدهٔ و هذه أقل عادات الشاه عباس!.

مهما یکن من أمر فالأخبار غیر واضحهٔ و انتظر مزیدا منها مع تفاصیل أخری.

*** فی ۲۶ أیار زرت دیر الآباء الکرملیین فی غوا ... و علمت أنهم افتتحوا لهم مبعثا فی البصرهٔ، و کذلک فعل الأوغسطینیون.

*** آخر الأخبار الواردهٔ من البصرهٔ تفید بأن المدینهٔ هادئهٔ و قد ولی عنها شبح الحرب.

فی ۲۹ أیلول ۱۶۲۴ جرت رسامهٔ أسقف لمدینهٔ انکامالی حیث یسکن نصاری القدیس توما و هم من أتباع الطقس الکلدانی و کانوا یخضعون لسلطهٔ بطارکهٔ بابل الکلدان ... لکن البرتغالیین حاولوا إبعادهم عن تقالیدهم و کسبهم لروما .

فی مجری کلامه عن الهنود البنیانیین (الجزء ۲: ۴۲۷) و عاداتهم و أصوامهم یسترجع ذکریاته): «... لقد رأیت مرات عدیدهٔ بعض المسیحیین- فی العراق- و خاصهٔ النساء و الفتیات الیافعات اللواتی لأمر فی نفوسهن

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۵

شعار أو ختم دیللافالیه و لاعتقادات خاصهٔ بهن یتمسکون بصوم ینسبنه إلی النبی یونان، و تحتفل به کنیستهن قبیل الصوم الکبیر، و هو غیر مفروض کواجب لکنهم یتمسکون به بالتزام کبیر و من الأمور العادیهٔ ان یصوموا ثلاثهٔ أیام بلیالیها دون أن یأکلوا شیئا و هذا یدعو إلی الإعجاب و قد صامه بعض أهل بیتی مثل ماریوجا الصغیرهٔ التی أرادت أن تقلد البالغات ... و بعد الانتهاء من أیام الصوم الثلاثهٔ یبدأون بتناول الطعام تدریجا کی لا یلحقوا الأذی بأنفسهم، فیبدأون مساء الیوم الثالث بشرب الماء المبارک و السوائل الحارهٔ ...

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۶

هذا الصوم الذی یتمسک به المسیحیون الشرقیون یقال له: «صوم نینوی».

الرسالهٔ التاسعهٔ من مسقط ۱۹ کانون الثانی ۱۶۲۵

... لما کنت قد قررت ان أعود إلی وطنی لا- عن طریق البرتغال، بل بالأحری عن طریق البصرهٔ و منها إلی حلب عن طریق البر فهذا أفضل و هو فی نظری أقصر طریق إلی هدفی؛ کما کنت قد حصلت علی الإذن الضروری لمثل هذه الرحلهٔ و هو لا بد منه إذ یحظر علینا الذهاب إلی أوروبا عبر الأراضی العثمانیهٔ، و هکذا أعد الأمور لمثل هذه الرحلهٔ ..

الرسالهٔ العاشرهٔ البصرهٔ فی ۲۰ أیار ۱۶۲۵

اشارهٔ

فی العاشر من آذار کنا لا نزال فی البحر، لأن البحارهٔ کانوا یفتشون عن مصب نهر البصرهٔ لیدخلوا السفینهٔ فالمسألهٔ لیست هینهٔ إذ ان الأرض هنا واطئهٔ جدا.

یتکون شط البصرهٔ من التقاء النهرین المعروفین: دجلهٔ و الفرات. و یطلق علیه أیضا اسم «شط العرب» و یصل إلی البحر فی مصبین یبعد الواحد عن الآخر أکثر من اثنی عشر فرسخا فالفرع الشرقی و هو أوسع حجما و أکثر أمنا یطلق علیه البحارهٔ اسم فرع هرمز لقربه من تلک الناحیهٔ أما الغربی فیسمی فرع البحرین أو «فرع القطیف» نسبهٔ إلی الموضعین المعروفین بهذا الاسم و لا تمخر السفن الکبیرهٔ فی هذا الفرع إلا نادرا. و یحدث الانقسام إلی فرعین جنوب البصرهٔ فتتکون بینهما جزیرهٔ مثلثهٔ الشکل یسمیها الأهلون «الخضر» ... إنها هبهٔ النهر للأهلین علی مثال دلتا النیل فی مصر و هی تتوسع سنویا بما یحمله النهر من طین و غرین.

دخلنا الفرع الشرقی و قد ساعدتنا الریاح فسرنا بأمان و کانت الأراضی

رحلهٔ دیلاواليهٔ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۱۷

المحيطة بنا عامرة بأشجار النخيل على عدوتى النهر، فالأرض هناك خصبة معطاء و وصلنا إلى موضع فيه جدول عميق (أو خندق) تمخر فيه القوارب المحلية و بعض السفن البرتغالية، و مراكب أخرى مختلفة فتسير إلى البصرة لتقف عند موضع الكمرك يمتد هذا الفرع إلى داخل مدينة البصرة و هناك يوجد جسر من الخشب مثبت على قوارب مربوطة بسلاسل حديد لاعطائه مزيدا من القوة و تقوم إلى الشمال من الجسر بناية لها تصميم القلعة أو الحصن غايتها محافظة المدينة بالرغم من أن البناء امتد إلى ما بعد هذه القلعة.

أما ماء الخندق فكان يزداد بتأثير المد البحرى و تصل السفن إلى الجسر فقط و قد رأيت هناك سفن الوالى الحربية فهى فى مأمن عند القلعة المذكورة و بالإمكان سحبها بدون تجذيف و تتفرع من ذلك الخندق قنوات عديدة تمتد إلى داخل المدينة و ينتقل الناس بالقوارب فى هذه القنوات من بيت إلى آخر و يطلقون على هذه القوارب اسم «دانک» و هناک عدد من الجسور للسابلة فوق القنوات.

البصرة

البصرة مدينة مترامية الأطراف، عامرة بالسكان، رديئة العمران قائمة على أرض مستوية مفتوحة لأنها غير مسورة و لقد أحيطت بسور مؤخرا بسبب الحروب التى شنها الفرس عليها و فى السور أبراج من الطين و قد تهدم بعضها و للمدينة أبواب تقفل و فيها من الأسواق سوق الصاغة و سوق المنسوجات و مختلف البضائع التى تروج فى الأسواق.

و توجد أمام القلعة و السوق ساحة واسعة تنتشر فيها المدافع من العيار الثقيل بعضها برتغالية الأصل كان أهل البصرة قد استولوا عليها و غنموها فى مسقط قبل سنين كثيرة عندما كانت سفنهم تمخر عباب البحر لكن البرتغاليين تمكنوا فيما بعد من تدمير تلک السفن.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۱۸

هناک ساحة أخرى فى البصرة أمام دار الباشا تعرض فيها الأغنام و تباع فيها الحنطة و الرز و مختلف الخضروات و هذه الساحة مفتوحة ليل نهار و البضائع معروضة بدون دكاكين و لا أقفال فلا خوف عليها من السرّاق فالعقاب الذى ينزله الأتراک باللصوص معروف جيدا!.

سكان البصرة عرب، و فيها عدد قليل من الأتراک، و العربية هى اللغة الأكثر انتشارا فى المدينة لكن التركية و الفارسية مألوفتان فيها أيضا؛ أهلها مسلمون سنيون و شيعة فالناس أحرار فى عبادتهم لكن الأذان فى المساجد يجرى على طريقة السنة، و تقام الصلوات حسب طريقتهم لأن البصرة خاضعة للسلطان العثمانى المالک فى اسطنبول.

و فى البصرة عدد من النصارى الكلدانيين الذين يطلق عليهم اسم نصارى القديس يوحنا أو الصابئة و ليس لى فكرة بعدد بيوتهم و ليس لهم من النصرانية سوى الاسم على ما أظن فليس لهم كنيسة بل يصلون فى بيت كاهنهم الوحيد فى البصرة أثناء وجودى، و لا أعلم إن كانوا يذهبون هناک لاتمام المراسيم الدينية. و لا صيام عندهم و لا قطاعة بل يتناولون اللحم على مدى الأيام .. و عمادهم نفسه كعماد القديس يوحنا ... و هم يجلونه و يبالغون فى إكرامه و فى ظنى أنهم بقايا اليهود الذين نالوا العماد من يد يوحنا و لهذا تمسكوا بهذا الطقس .. يعرفون عند العرب باسم الصابئة يتكلمون فيما بينهم لغة كلدانية محرفة تسمى المندائية إلى جانب العربية و منها اسمهم المعروف «مندائى»، بينما يطلق عليهم الأوروبيون اسم «نصارى القديس يوحنا» ليس لهم أناجيل أقله هنا فى البصرة، و لا كتب أخرى مقدسة، ما عدا كتاب خاص بهم يسمونه «السذرا» و هم يسيرون بأحكامه فى أمور دينهم. لهم حروف خاصة

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۱۹

بلغتهم تختلف عن الكلدانية أو السريانية القديمة و الحديثة، و بهذه الحروف يكتبون أسفارهم المقدسة و هم أى العامة لا يعرفون هذه اللغة لا كتابة و لا تكلما بل يقتصر الكهنة على معرفتها .. يوجد بعضهم فى الدورق و تستر و فى منطقة الحويزة القريبة من البصرة و جماعتهم هناک هى كبرى تجمعاتهم ...

أما عن شؤون البصرة فقد انتعشت فيها التجارة بعد سقوط قلعة هرمز إذ ازدادت و فود البرتغاليين العاملين فى الهند إليها و لكثرة وجودهم فقد رأيت اسطولا دائما لهم هناك يتكون من خمس سفن لحماية مصالحهم ضد العدو المشترك أى الفرس.

نظرا لوجود عدد كبير من المسيحيين الأوروبيين فى المدينة فقد فتح الرهبان الكرمليون مبعثا لهم فيها و جاء من بعدهم الرهبان الأوغسطينيون البرتغاليون و لكل رهبانية كنيسة خاصة بها تقيم فيها الشعائر الدينية حسب الطقس الرومانى.

إن معبد الآباء الكرمليين مشيد بشكل جميل مع دير ملاصق له فيه صوامع الرهبان و غرف لعابرى السبيل و قد ابتاعوا قسما من الأرض بمالهم الخاص و القسم الآخر و هبهم إياه الباشا. أما عن حفلة افتتاح المعبد فسأتكلم عنها فيما بعد فقد جرت الحفلة أثناء إقامتى فى البصرة و كانوا سابقا يقيمون الصلاة فى مكان موقت إلى أن انتهى بناء المعبد.

أما الرهبان الأوغسطينيون فإنهم لم يشيدوا ديرا خاصا بهم و كانوا مترددين كثيرا فى هذا الشأن فلم يجسروا على البنيان خوفا من سقوط البصرة فى قبضة الفرس لأن الحرب كانت لا تزال قائمة لذا اكتفوا باستئجار دار

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۰

للسكن و إقامة الصلاة فيها و كان الباشا يدفع ثمن استئجارها و قد جعلوا إحدى غرف الدار معبدا و فتحوه للمصلين و كان رئيس الدير مقلدا وظيفة نيابة أسقفية «غوا» و معه راهب آخر لا غير و كان بين الديرين منافسة شديدة على الحقوق و الرئاسة! ...

كان الباشا يحسن معاملة البرتغاليين و سائر الإفرنج نظرا للمساعدات الجمة التى تلقاها منهم فى الحرب ضد الفرس فخصص راتبا شهريا أو مساعدة للكنيستين دامت حتى وقت زيارتى للبصرة، كما كان يدفع المبالغ للمراكب الخمسة المستأجرة من البرتغاليين.

فى اليوم الحادى عشر من آذار ۱۶۲۵ م وصلنا قبيل منتصف الليل بقليل إلى موضع التقاء النهر الداخلى بشط العرب فعند مدخله يسارا تقوم قلعة معتدلة البناء يقابلها مسجد و بالرغم من الليل البهيم فقد طلبنا الدخول فى النهر الداخلى (أى الخندق) و التوغل فى المدينة لكن تيار الماء القوى صدنا و دفعنا إلى جهة المسجد هناك رأينا قائد الأسطول البرتغالى العامل فى البصرة مع سفنه الخمس و له ثلاث سفن أخرى فى النهر الكبير (أى شط العرب) و كان الباشا معهم إذ كانوا يتوقعون هجوم الفرس.

فى صباح اليوم التالى زارنى فى المركب الأب باسيل الكرملى يرافقه راهب فرنسيسكانى إيطالى اسمه بولس كنت قد تعرفت عليه فى «غوا» و كان آنذاك فى البصرة فى طريق عودته إلى وطنه.

فلما زادت المياه بتأثير مد البحر طفا مركبنا فدخلنا المدينة و لم تستعمل المجاذيف كما يصنع البعض بل كانوا يجرون المركب بالحبال و كان كوثل

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۱

المركب متجها إلى الإمام لأن ضيق المجرى حال دون دوران المركب أثناء طفوه فصارت مقدمة المركب فى الوراء أما المسافة التى وجب علينا قطعها فهى نحو فرسخ أو أقل.

كانت البيوت المأهولة على جانبى النهر و كانت البساتين متصلة ببعضها. و أخيرا توقف المركب داخل المدينة من الجانب الشمالى حيث يكثر عدد السكان.

بعد أن تناولت شيئا من الطعام نزلت إلى البحر لا بحث عن بيت أحل فيه فلم أجد شيئا لائقا فعدت إلى المركب و قضيت فيه ليلتى.

فى ۱۳ آذار أعدت الكرة لكنى لم أوفق فكلمت الخواجا نجم أحد المتقدمين بين الصابئة و كان يعمل شهبندر فى الكمرك و يتمتع بمكانة اجتماعية حسنة بين قومه و بحالة علمية جيدة و قد شدتنى به صداقة أثناء وجودى فى البصرة و قدم لى خدمات جليلة فذهبت زوجته بنفسها تبحث عن بيت لسكناى حتى وجدت دارا ملاصقة لبيتهم فذهبت إليها عند المساء و لم تكن جيدة، لكن الرجل و عدنى بأن يعدها على أحسن صورة فى اليوم التالى فعدت إلى المركب لا قضى فيه ليلة أخرى.

فى ذلك اليوم أعلن المنادى فى المدينة أن يخرج رجل من كل بيت و معه سلاحه فيلحق بالجيش ليساعد الباشا فى حربه ضد الفرس

فقد وردت أخبار اقترابهم من البصرة.

علاقات الحويزة بالبصرة

فى اليوم الرابع عشر من آذار استلمت الدار المعدة لسكناى و فى ذلك اليوم ذهبت لزيارة السيد كونسالفو مارتينيز دى كاستيل برانكو معتمد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۲

البرتغاليين فى البصرة لأقدم له رسالة التوصية التى أخذتها من نائب ملك غوا، و من بعض الأصدقاء فأحسن استقبالى و قدم نفسه لمساعدتى و أوقفنى على أخبار هامة تخص البصرة و بلاد فارس و عن الحويزة.

إن منصور أخا مبارك المتوفى بعد أن أقامه الشاه عباس أميرا على الحويزة قبل أعوام و رسخت قدمه فيها لم يعد يظهر تعلقا بشاه الفرس مع انه أحسن إليه، لأنه يصعب على العرب أن يكونوا محكومين و خاضعين للغير و هم يؤثرون حريتهم على كل شىء آخر و لأجل توطيد هذه الأمنية كان يراسل باشا البصرة التابع للسلطان التركى و عدو الفرس فى الوقت نفسه. و كان سيد البصرة آنذاك أفراسياب باشا و هو من أهل البصرة كان فى أول أمره آغا سكمانى للمدينة ثم اغتصب الباشوية بالقوة و كان يطمح فى توطيدها فى أسرته، و بالرغم من اعتباره متمردا فى نظر الحكومة التركية فإنها تحملته و جاملته و كانت تساعده لأنه كان قديرا فى تدبير المدينة و سياستها. من جهة ثانية بالرغم من أنه كاد يكون مستقلا عنها إلا أنه كان يعترف بها ظاهريا، و لكى لا تفقد أخيرا خضوعه الاسمى لئلا يرفع راية العصيان، و لم يكن من السهل معاقبته أو عمل شىء لتبديل الأمور فى البصرة فهى منطقة نائية عن اسطنبول قريبة من الأعداء، أخيرا كانت كلمته مسموعة فى المدينة.

فلما وقفت حكومة الفرس على علاقات منصور بالبصرة- خلافا لما كان أمراء الحويزة الذين كانوا يعادونهم و يشنون الغارات عليها كما انه لم يظهر الاحترام و التعلق بالشاه كما كان يطمح- فحين استعد الشاه للحرب فى حملته على بغداد دعاه للاشتراك بها مع قبيلته و أمر «امام قلى» خان شيراز أن يمر بالحويزة فى مسيرته نحو جبهة القتال ليحث منصور بكل الطرق على المجىء فما كان من الخان إلا تنفيذ أوامر سيده. فلما اقترب من الحويزة توقف بضعة أيام بانتظار منصور كى يلتحق به حاثا إياه على السير بركابه و كان

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۳

منصور يجاوبه بأنه لا يزال يكمل الاستعدادات الضرورية إلى أن فقد الخان صبره فذهب إلى الحرب دون أن يرافقه منصور و وصل إلى بغداد متأخرا بعد أن كان الشاه قد استولى عليها. أما منصور فلم يتحرك من مكانه على الإطلاق فاستفسر الشاه عن سبب تأخر خان شيراز كل هذه الفترة فأجابه أنه انتظر منصور ليرافقه عملا بالأوامر الملكية لكنه رفض المجىء فلما عاد الشاه إلى أصفهان دعا منصور أكثر من مرة إلى بلاطه فكان يماطل و لم يذهب أبدا فاستشاط الشاه غضبا و كتب إليه يأمره بالمجىء حالا و يهدده بأنه سيرسل من يقطع رأسه إن امتنع عن المجىء فأجابه منصور قائلا: ان أراد الشاه قطع رأسى فليتفضل بنفسه لأنه مستعد للدفاع جيدا عن رأسه بالسيف!.

و هكذا رفض الذهاب إلى فارس لا بل أضاف: إن كان الشاه ملكا على فارس فهو ملك الحويزة و لا يعترف به أبدا.

فدعا الشاه حاكم شيراز «امام قلى خان» و أمره بالتوجه إلى الحويزة على رأس قوة كبيرة مصطحبا محمد بن مبارك الذى كان فى فارس و ترعرع فى حماية الشاه و عليه ان يخلع منصورا و يقتله و ينصب محمدا مكانه .

ففى الأيام القليلة السابقة لوصولنا إلى البصرة كان «إمام قلى» قد وصل إلى الحويزة مع محمد، و علم منصور أن قسما من أكابر قومه و من عامة شعبه كانوا مع الشاه لتشيعهم و أظهروا استعدادهم لقبول محمد، فخوفا من وقوعه بيدهم و توقعه للمصير المحتوم خرج مع خمسمائة من أخلص اتباعه و التجأ إلى منطقة البصرة حيث استقبلهم الوالى على باشا بن افراسياب الذى تولى أمر المدينة بعد وفاة أبيه

.

إن هذا الرجل (أى على) اغتصب بدوره الرئاسۀ و استعد لها قبيل موت

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۴

أبيه و استولى عليها بتحريض أصدقائه و أهله و بمساعدۀ البرتغاليين الموجودين فى خدمته.

استقبل على باشا ضيفه منصورا بترحاب كبير، و أقطعه أرضا واسعۀ فى ولايته قريبۀ من حدود الحويزۀ ليستقر فيها مع أتباعه.

أما شعب الحويزۀ فإنه قبل محمدا أميرا عليه، و أظهروا استعدادهم للخضوع للشاه فى كل ما يأمر بشرط إلا يدخل إلى الحويزۀ قزلباشى واحد ، فوافق الخان على هذا الطلب.

جرت هذه الأحداث بعد وصولنا إلى البصرۀ. فبعد أن ثبت الخان محمدا فى الحويزۀ تقدم فى أراضى البصرۀ، و دخل عن طريق يسمى «القرنۀ»، و فى نيته اقتحام بعض القلاع الحدوديۀ و التوغل فى الولايۀ، لكن الباشا خرج لمقارعته تدعمه ثلاث سفن برتغاليۀ من تلك السفن التى استأجرها منهم. لذا خيم الخوف على البصرۀ من اقتراب جيوش الفرس.

البصرۀ و الفرس

من الأمور الأخرى التى تروى عن علاقات الفرس بالبصرۀ، أن الشاه بعد ان استولى على «هرمز» أرسل سفيرا إلى باشا البصرۀ- و كان آنذاك أفراسياب باشا- قائلا له: إنه لا يريد من البصرۀ شيئا سوى أن تسكّ النقود باسمه، و ان يذكر اسمه فى خطبۀ الجوامع و أن يصلى الشعب من أجله عوضا عن ذكر السلطان العثمانى، أى أن يعترف به اسميا. و أخيرا طلب أن يتعمم أهل البصرۀ على طريقۀ الفرس. و لقاء ذلك يبقى أفراسياب حاكما مطلقا على المدينۀ، يتوارثها أبناؤه من بعده، و لا يتدخل فى شؤونه، و يدافع عنه ضد السلطۀ العثمانيۀ و ضد أى تدخل أجنبى، و لا يطلب منه شخصيا ضريبۀ ما، و لا من أبناء شعبه، بل يترك لهم الحريۀ التامۀ.

كان أفرسياب رجلا فطنا، يعلم جيدا ما هى أهداف الشاه، فلم يهتم

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۵

بعروضه، و لم يرد المغامرۀ بالمنزلۀ الرفيعۀ التى وصل إليها لقاء و عود غير أكيدۀ. إضافۀ إلى ثقته بالعون البرتغالى، إذ لا بد للقوات الفارسيۀ ان تمر بالبحر أو بشط العرب إذا صممت على مهاجمته، و كانت السفن البرتغاليۀ موجودۀ فى الممرين المذكورين، بينما لم يكن للفرس قوۀ بحريۀ مهمۀ قادرۀ على مجابهۀ سفن البرتغاليين. لذا رفض عرض الشاه و أمر سفيره بمغادرۀ المدينۀ حالا و الخروج من منطقته دون تأخر، خوفا من اتصاله سرا ببعض أكابر المدينۀ الذين قد تكون لهم ميول إلى الفرس فيتأثرون به و يؤثرون بدورهم فى الشعب.

لقد كان رده حاسما، و أكد بأنه من أتباع السلطان و يفضل الموت هكذا.

و هو مستعد للحرب إذا ما أرادها الشاه.

فلما رأى الشاه أن هذه الطرق لم تجده نفعا أمر خان شيراز- و هو أقرب وزرائه إلى تلك المنطقۀ، و أقواهم- أن يجهز حملۀ على البصرۀ، و يستولى عليها بالقوۀ. فتقدم جيش الخان، و لم أعلم أكان الخان نفسه على قيادته أم أناب عنه أحد قواده، و سار فى طريق تستر و انحدر إلى الحويزۀ و دخل ولايۀ البصرۀ فى الأراضى الواقعۀ على شط العرب إلى الشرق من مجراه، أى جهۀ فارس. حدث كل ذلك قبل وصولى إلى البصرۀ أى فى نهايۀ سنۀ ۱۶۲۳ م و مطلع السنۀ التاليۀ؛ و لكنه لم يحاصر البصرۀ نفسها كما قيل لنا و نحن فى «غوا» و لم يقترب منها، بل اكتفى بمحاصرۀ قلعۀ على الحدود تدعى «قبان»، و كادت أن تسقط بيد الفرس، و بسقوطها تتعرض البصرۀ للسقوط المؤكد.

و كان الفرس يقاتلون بقساوۀ و قتلوا عددا كبيرا من أهالى البصرۀ، لكنهم انسحبوا فى آخر الأمر، فقد أمطرتهم مدافع البرتغاليين

المثبتة فى السفن بوابل من النيران فألحقوا بهم أضرارا جسيمة، فانكسر القزلباش. كما ان فترة الحصار امتدت طويلا فأنهكت قواهم، فولوا عن المدينة.

فى السنة التالية، أى فى فترة وصولى إلى البصرة كروا على المدينة، و ذلك عندما قدموا إلى الحويزة لتنصيب محمد بن مبارك أميرا عليها، و خلع منصور منها. فاتجهوا إلى البصرة و توغلوا فى أراضيها، و كان الوالى الجديد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۶

على باشا خارج المدينة وسط عساكره للقتال، تدعمه ثلاث سفن برتغالية. أما فى داخل المدينة فقد عم الخوف لأن عساكر الفرس كانت عظيمة عدة و عددا، أكثر بكثير من جيش البصرة.

فى السادس عشر من آذار وردتنا أخبار تقدم الجيشين إلى بعضهما. و فى ذلك اليوم التقيت للمرة الأولى بالسيد دون كونسالفو دى سلفيرا القائد العام للقوات البرتغالية العاملة فى البصرة، و قد روى لى أن الفرس يحاولون نقل سبع قطع مدفعية من أحد موانئهم إلى الدورق، و يقع قرب الحويزة، لاستخدامها فى ضرب البصرة، و هذه قضية مهمة ستغير مجرى القتال، لذا قرر إرسال سفينتين مع مركب خفيف سريع فى محاولة لخطف تلك القطع المدفعية.

فى ۱۷ آذار قصدنى الخواجا نجم، و هو بالطبع مطلع على مجريات الأمور لأنه على علاقة بالباشا، و أخبرنى أن جيش الفرس يعد ثلاثين ألف مقاتل يرأسهم سبعة «خانات»! لكنى أشك فى قوله، إذ إن خان شيراز وحده مع جيشه كاف لهذه الحرب، و من المحتمل ان يلتحق به أخوه «الخان داود» لقربه منه، و كذلك «خان لوجستان» فهو فى تلك النواحى. أما أن يتحرك خانات المناطق النائية لمحاربة البصرة فهذا أمر مستبعد و لا ضرورة له.

و أردف صاحبى قائلا: إن فيضان المياه يحول الآن دون تقدم الفرس إلى البصرة، فالنهر عريض و قد أغرق أراضى شاسعة، و الخنادق مليئة بالمياه، و هذه كلها مصدر قوة للبصرة. و لكن عندما ينحسر الماء بعد ثلاثة أشهر فعندئذ تكون الطامة الكبرى و لن تجدى السفن البرتغالية نفعا إذا حاول الفرس عبور النهر بجسر موقت يقيمونه شمال البصرة، أو من جهة الحلة التى هى فى قبضتهم الآن، أو من بغداد نفسها؛ فهذه المواضع كلها بعيدة عن مدى مدافع البرتغاليين. و خلاصة قوله ان الطرق المؤدية إلى البصرة كثيرة و أعتقد أنها لن تنجو من السقوط فى أيدى الفرس عاجلا- أم آجلا- و بإمكان هؤلاء الاستعانة بالجيش الموجود فى بغداد فيسير إليها على الضفة الغربية من النهر حيث تقوم المدينة، فتلك الجهة و إن كانت صحراوية، لكن بإمكان الجيش بقليل من

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۷

المؤن ان يقطعها بفترة قصيرة، و هذه الحملة ليست عسيرة على الجيش الفارسى. بينما لا تستطيع البصرة طلب النجدة نظرا لبعدها، و لكون بغداد فى قبضة الفرس. أما الجهة الوحيدة التى بإمكانها مساعدة البصرة فهى البادية فى شخص أميرها «مدلج أبو الريش» (و هذا لقبه و لقب اسلافه). هذا الأمير و من معه من عشائر هو أمل البصرة الوحيد.

ثم تطرق الخواجا نجم إلى الحديث عن بغداد فقال: إن بكر صوباشى لم يسلم المدينة إلى الشاه أبدا، بالرغم من كونه عاتيا ظالما، لكن ابنه درويش محمد فعل ذلك دون علم أبيه و بغير رضاه . و لما دخل الشاه المدينة أمر حالا بقتل بكر صوباشى علنيا، بينما أبقى على الخائن الذى سلّم المدينة، درويش محمد و إكرامه، و لم يهتم هذا الغبى بمقتل أبيه.

و بعد الاستيلاء على بغداد أرسل قواده إلى كركوك و الموصل فاستولى عليهما و زحف على البادية فاستولى على الحلة و منطقة نفوذ «أبو الريش» و عنه و طبار القريبة من حلب، و هدد هذه المدينة أيضا، و نصب فى عنه حامية، و لكن بعد سفر الشاه و انسحاب قواته تحرك أبو الريش الذى بقى على ولائه للسلطان، و زحفت قبائله، فاستعادوا طيبة و عنة و قتلوا سبعين قزلباشيّا كانوا فى الحاميات و لم يوقف الزحف إلا تحرك «ناصر بن مهنا» حاكم «مشهد الحسين» و المنطقة الممتدة بين الحلة و البصرة، و لم يكن بمستوى أبو الريش من حيث الزعامة، و كان أحد العاملين المهمين فى سقوط بغداد بيد الفرس نظرا لولائه لهم، فقد تصدى لتحركات «أبو

الريش» و قاتله قتالا ضاريا، فقتل من اتباعه و خرب أراضيه.

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۸

و أضاف الخواجا نجم أخيرا بأن جيشا تركيا جرارا تحرك من الشمال باتجاه بغداد و بلاد فارس، فاستعاد الموصل و كركوك. لكنى لم أصدق هذا الخبر، مع يقينى ان هذا الأمر لا بد ان يحدث لكنه سابق لأوانه، إذ ليس من الممكن هذا الزحف السريع و استرجاع الموصل و كركوك بهذه السرعۀ.

إن هذه الأخبار تشاع- باعتقادى- لتقويۀ معنويات الأهالى، و بصورۀ خاصۀ شعب البصرۀ المحاصر.

فى ۱۹ آذار قام رجل من أكابر البصرۀ اسمه «الشيخ عبد السلام» فجمع حوله عددا من أفراد أسرته و أصدقائه و أتباعه و توجهوا إلى الجبهۀ لنجدۀ الباشا، و انطلق معه بعض الصابئۀ نحو مئتين من طائفتهم يحملون البنادق و مختلف أنواع الأسلحۀ. لكن هؤلاء جميعا لا يقارنون بقوۀ القزلباش و استعدادهم القتالى.

فى ۲۲ آذار رأيت فى الساحۀ امام دار الباشا حمارا وحشيا صغيرا، و علمت ان الباشا يحتفظ به للتسليۀ و يربيه فى بيته. إنه لا يختلف عن سائر الحمير، لكنه أكثر بياضا، و فى ظهره خط أشقر اللون يبدأ فى رأسه و ينتهى عند ذيله. و هو سريع الجرى، أنشط فى القفز من الحمير لأنه أخف وزنا منها.

فى ۲۳ آذار عاد إلى البصرۀ رجل برتغالى كان فى معسكر الباشا، فروى كيف ان القزلباشيۀ انسحبوا إلى أراضيهم، و كان انسحابهم سريعا بحيث أنهم تركوا عددا كبيرا من الحيوانات أى المواشى، و كميۀ و فيرۀ من المؤن.

إن هذا الانسحاب السريع، غير المتوقع، لم يكن فرارا أمام جيش الوالى، و لكن لأحد أمرين: فإما أن موقع «هرمز» كان فى خطر، أم أن أحداثا جساما كانت على و شك الوقوع من طرف العثمانيين، أو من جهۀ المغول، لأن الفرس سبق ان تحرشوا بهؤلاء.

فى الحادى و الثلاثين من آذار عادت إلى البصرۀ سفينتان برتغاليتان كان القائد العام قد أرسلهما لخطف المدافع الفارسيۀ كما ذكرت أعلاه، لقد عاد

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۲۹

البرتغاليون «بخفى حنين» إذ لم يجدوا أثرا للمدافع، لأن خبر خروج السفينتين لهذه الغايۀ بلغ مسامع الفرس فلم يحركوا المدافع عن الميناء. لكن السفن المذكورۀ وضعت اليد على ثلاثۀ قوارب فارسيۀ و أسرتها، و كانت محملۀ بالبضائع، و فيها رجل غنى من ذوى الشأن أخذ كرهينۀ، فقدم للحال فديۀ لخلاصه ألف ريال «أبو طاقۀ» ، لكنهم رفضوا، و قتلوا جميع الأسرى ... ما أفظع هذه الأعمال! لقد اعتاد البرتغاليون على أفعال كهذه، و قد فعلوا فى الهند أفظع منها ...

فى السابع من نيسان عاد الباشا إلى البصرۀ مع جيشه بعد أن زال خطر الحرب بانسحاب الفرس؛ و دخل المدينۀ وقت الفجر باحتفال مهيب و على أصوات دوى المدافع.

افتتاح كنيسۀ الكرمليين فى البصرۀ

فى الثالث عشر من نيسان كان الأب باسيل فرنسيس الكرملى قد أكمل تشييد الكنيسۀ و الدير الخاص برهبانيته فى البصرۀ، فأقام احتفالا كبيرا بهذه المناسبۀ، و زين الكنيسۀ و الدير بأحسن ما عنده، و هرع النصارى من أوروبيين و شرقيين على اختلاف طوائفهم للاشتراك بهذا الاحتفال الشائق بافتتاح كنيسۀ مريم العذراء «أم الشفاء» .

و أعد فى المساء أنوارا كثيرۀ أشعلها عند حلول الظلام و أوقد نارا، و أطلق الجنود البرتغاليون عددا لا يحصى من العيارات الناريۀ، و طاب للباشا ان يقدر الأب المذكور فأرسل إلى الدير نحو خمسمائۀ من جنوده، فأطلق هؤلاء بدورهم عيارات ناريۀ، بينما أخذت مدافع القلعۀ ترد عليها بدويها رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۰

العظيم. الحق يقال أن المدينة كلها احتفلت بالمناسبة، النصارى و المسلمون على السواء.

و فى مساء يوم الأحد قبل غروب الشمس تفضل الباشا بنفسه مع بطانته فزار الكنيسة و الدير، و عند خروجه ترك صدقة لأصحابه. و لا حاجة لذكر احتفاء الأب الرئيس به بالمراسيم اللائقة و تقديم أنواع الحلويات و المرطبات على عادة أهل البلد بحيث أرضى الباشا و من معه فخرجوا مسرورين .

و كان فى الدير عند زيارة الباشا القبطان البرتغالى و ربابنة السفن و كبار رجال الحربية، و بكلمة واحدة جميع الإفرنج الذين كانوا آنذاك فى البصرة ما عداى- مع أسفى الشديد- فقد عاقنى المرض عن الحضور.

أقام القداس يوم الافتتاح رئيس الآباء الأوغسطينيين لأنهم اشتركوا بالاحتفال، و ألقى الموعظة رئيس إقليم مانيلا فقد كان مارا بالبصرة آنذاك.

*** أخبار متفرقة

فى ذلك اليوم عينه وصل إلى البصرة قبوجى من قبل السردار أى الوزير فى اسطنبول الذى تبوأ الصدارة العظمى مؤخرا و قد قيل إن سلفه لقى حتفه بأمر السلطان لتقصيره فى قضية بغداد. و قد حمل القبوجى المذكور إلى باشا البصرة خلعة من قبل السردار، و أخبره بأن الجيش العثمانى قد زحف فى طريقه إلى بغداد لاستعادتها. و انتشر بين الشعب خبر مفاده إن الجيش التركى قد اقترب جدا بعد ان استرجع الموصل و كركوك التى هى مناطق مفتوحة و معرضة للاحتلال من قبل أى جيش قوى. لكنى رأيت فى هذه الأخبار غرابة،

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۱

لأن السردار الجديد ان كان قد تحرك من اسطنبول فى تلك السنة نفسها فإنه لا يصل قبل شهر أيار و لو أسرع جدا فى تحركه فلعله يصل فى نيسان، لأنه يجب أن يمر بحلب ليجمع من هناك المؤن الضرورية، و يبلغ المناطق النائية لإرسال المقاتلين، كما عليه ان يوزع المقدار المقرر من علف الخيل كما يفعلون كل سنة. كل هذه الأمور تجعل اقترابه بهذه السرعة من الأمور المستحيلة، و المعروف جيدا من الحملات السابقة أن الجيش التركى لا يصل فى نفس السنة التى يخرج بها من اسطنبول، بل يقضى السنة الأولى فى حلب و بين النهرين، و فى السنة التالية يتقدم إلى الحدود الفارسية ليبدأ الحرب، و يحصل أحيانا انه يصل فى فصل الشتاء فعندئذ يتوقف عن القتال.

أما أن يكون هذا السردار الجديد قد أمر بالتحرك من اسطنبول فى نفس السنة و ليس فى السنة السابقة فهذا أمر معقول لأنه لم يبلغنى أبدا أنه قد وصل إلى حلب أو إلى مكان آخر، فيكون السردار الجديد حالما تسنم الصدارة، و اعتقد فى شهر آذار أو ما قبله بقليل، و كان يعلم بأن البصرة فى خطر، قد عمل فورا على إرسال القبوجى ليقوى معنويات والى البصرة. و هذا أسرع بالسير سالكا الطرق القصيرة المباشرة نظرا لأهمية رسالته فوصل بهذا الوقت إلى البصرة كما ذكرت.

مهما يكن من أمر فإنى لا أصدق قرب وصول السردار و جيشه كما أشيع بين الشعب، و انتظر ان تبرهن الأيام على جلية الأمر.

فى الثالث و العشرين من نيسان انتشر فى البصرة خبر جديد مفاده أن الشاه أمر بإلحاح الخان الحاكم فى بغداد، و صديقه أمير البادية ناصر بأن ينهبا بأية طريقة ممكنة القافلة التى كانت تستعد للرحيل من البصرة باتجاه حلب، أو فى الأقل أن يحولا دون خروجها. و كان التجار قد أعدوا كل شىء للرحيل فداخلهم الخوف من هذه الإشاعة و امتنعوا عن السفر فعلا، و بعثوا رسولا باسمهم و باسم أكابر البصرة إلى الأمير ناصر يستوضحونه الخبر و يسألونه بصريح العبارة إن كان يسمح لهم و للقافلة بالمرور بسلام. و لقد اعتقدت بصحة هذه الأخبار لأن الشاه يهمه كثيرا ان تكون التجارة مع الهند تحت

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۲

إشرافه. فبعد ان استعاد ميناء هرمز فقد هذا الموضع أهميته التجارية و انتقلت الحركة التجارية إلى البصرة حيث لا تصل يد الشاه

لافتقاره إلى القوة البحريـة التى بإمكانها أن تقف بوجه القوة البرتغاليـة فتحول دون وصول البضائع إلى البصـرة. لذا كان مصـمما على محاربة البصـرة ليحرم البرتغاليين من الحصول على موطىء قدم لهم فى المنطقة و يضطرهم من ثم إلى العودة إلى أحد موانئه دون أن يعيد إليهم ميناء هرمز، و لأنه لا يستطيع إيقاف التجارة بين الهند و البصرة فعلى الأقل يمنع وصولها إلى حلب.

أما لو نظرنا إلى هـذا الخبر من زاوية أخرى، أعنى بالنسـبة إلى الأمير ناصـر، فيظهر الخبر لا أساس له و لا يمكن أن يصدق؛ لأن الأمير ناصـر يسـتفيد كثيرا من القوافل المسافرة بين حلب و البصـرة. و هو و إن كان قـد انحاز إلى الشاه فى حملته على بغداد لأمر فى نفسه، لكنه كعربى و إنسان حر لا أعتقـده يوالى الشاه و يعمل ضد مصالح بنى قومه؛ كما له فى الوقت الحاضـر و كلاء فى البصـرة يجمعون الضرائب و الإتاوات، و ماذا يستطيع الشاه أن يفعل فى البادية بدون مساعدة ناصر؟!.

أخيرا، كـان الأـمير ناصـر متألمـا بسـبب الأضـرار التى ألحقهـا به «أبو الريش» و كان الأجـدى له ان يسوى أموره مع «أبو الريش» و مع السـلطان القوى الذى ينتفع منه، لئلا يخرب أموره. فليس من مصلحته ان يعرض نفسه لأخطار جديدة لأجل الشاه، فهذا- أى الشاه- لا يقدر ان يلحق به ضـررا و لا خير ينتظر منه. اللهم إلا إذا صار سيد المنطقة كلها أى بعد ان يستولى على الأرض كلها إلى حلب، و هذا ليس بالأمر الهين و لا يتحقق بسهولة و سرعة، و إن الأيام ستجلو الأمور و تظهر الخفايا!.

*** فى التـاسع من أيـار [۱۶۲۵] وصـل إلى البصـرة قبوجى آخر من قبـل السـردار أيضـا، فاسـتقبل باحتفـال فخم، و أطلقت المـدافع عياراتها إكراما له.

و هـذا بـدوره حمـل إلى الباشا خلعـة جديـدة، و خبرا مفاده أنه ترك الصـدر الأعظم و هو فى ماردين، فهو إذا و شـيك الوصول إلى بغداد، بعد أيام قليلة، و أكد خبر

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۳

استعادة الموصل و كركوك، و هذا الخبر محتمل الوقوع إذا كان الصدر الأعظم فعلا فى ماردين. و أضاف القبوجى ان السردار بارح ماردين و بدأ بالتقدم.

فانتشرت الأخبار و الإشاعات فى البصرة.

إنى لم أتأكـد من صحة الأخبار إذ ليس لى صـديق مهم بين الأتراك، و لم أحصل على معلومات أوفر من القائـد العام البرتغالى لأنه كان يكتفى بترديد الأخبار نفسها. مهما يكن فإن هذه الأخبار- حسب اعتقادى- ترفع معنويات باشا البصرة و أهاليها.

*** فى الحادى عشـر من أيار تحركت القافلة التى كانت منذ أيام قد اسـتعدت للسـفر و خيّمت خارج المدينة ببضعة فراسخ، فسارت باتجاه حلب بعـد أن تلقت التطمينات اللازمـة من قبل الأمير ناصـر. و أعتقـد بالأحرى أن التجار علموا بأن الأمير ناصـر قـد تصالـح مع الأمير «أبو الريش» و عاد إلى إطاعـة السـلطان و الولاء له، فالبادية و الحالة هذه بخير و أمان. كما ان خبر وصول الجيش العثمانى قوى معنوياتهم.

كنت أنـا أيضـا قـد أتممت الاسـتعدادات اللازمـة للرحيل و مبارحـة البصـرة، لكنى لم أسافر مع تلك القافلـة، بل أعـددت كل شـىء لحسابى الخاص مسـتقلّا عن القافلـة، فأخـذت عـددا من الجمال، و دفعت أجر الأعراب الذين وافقوا على مرافقتى، لكن على آغا سـيد البصرة و رئيس الشرطة الأعلى أوعز إلى رئيس الجمالين المدعو حاج أحمد الأسود ألا يرحل قبل مضى ثلاثة أيام.

لقـد كنت أخشـى الحر، فالمنـاخ يزداد حرارة يومـا بعـد يوم، و خفت ألاـ نجـد مـاء فى الطريق، لـذا كنت أريـد الرحيل بأسـرع وقت، فالتجأت إلى السـيد كونسالفو مارتين معتمد البرتغاليين و طلبت منه أن يتوسط لى و يسـتأذن «على آغا» أو يستفسـر منه عن سبب منعه لنا، فإن لم يكن لـديه من مانع محـدد فليـدعنا نمضـى بسـلام. فقام الرجل بالمهمـة بطيبـة خاطر، لكن «على آغا» أشار عليه أن نتـذرع بالصبر أسـبوعا واحدا حتى تبتعد القافلة و تتوغل فى البادية، لأنه كان يتوجس شـرا من رئيس الجمالين الحاج أحمد، فقافلتنا الصـغيرة أخف حملا

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۴

من القافلة الكبيرة، و صاحبنا الحاج أحمد أدرى من غيره بمفاوز البادية و طرقاتها، فقد يسبق القافلة الكبيرة و يخبر الأمير ناصر أو غيره من أعراب البادية بوصولها، بل لعله يخبر القزلباشية أنفسهم بتحركها فتصبح فريسة سهلة للنهب مما يلحق الضرر بها و بنا على السواء. فالأفضل إذا التريث و الانتظار قليلا ... أنا شخصيا كنت أثق بالحاج أحمد الذى اخترته دليلا لقافلتى، فقد مدحه الخواجا نجم و غيره. لكن طالما هذه هى مشيئة و لى الأمر فلتكن، و لا بأس ان أتريث بعض الوقت.

إن هذه الأمور أكدت ما سبق ان ذكرته أعلاه عن تعاون الفرس و الأمير ناصر من أجل إلحاق الضرر بالقافلة. و قد لاحظت ان «على آغا» صاحب الخبرة الطويلة فى الحكم و الإدارة كان فعلا متخوفا و قلقا على مصير القافلة.

*** فى الثالث عشر من أيار وصل إلى البصرة قبوجى آخر من قبل السردار يحمل خلعة أخرى، و قردا، و فرمانا بتثبيت الباشا على البصرة؛ لأنه لم يكن قد حصل على تأييد السلطان حتى ذلك الوقت.

أما أخبار زحف الجيش، فقد شاع كالعادة بين أفراد الشعب بأنه قريب جدا يكاد يكون عند أبواب بغداد. لكنى عرفت الحقيقة من تجار أوروبيين كتبوا رسائل من حلب و وصلت إلى البصرة مع أحد مرافقى القبوجى نفسه، مفادها ان السردار- كما توقعت- لم يصل بعد إلى حلب، و لعله يختصر الطريق فيسير مباشرة نحو «بين النهرين» ثم بغداد دون المرور بحلب، أو لعله لم يتحرك بعد! إذ لن تقوم الحرب فى هذه السنة ۱۶۲۵ ضد الفرس من أجل بغداد، فالطريق بعيد و يستغرق وقتا طويلا، فإن سارت الأمور سيرا حسنا فستنشب الحرب فى السنة القادمة ان لم يحدث ما يغير مسيرة الأمور، لكنى متيقن بأن الحرب لا مفر منها!.

*** و افتنا أخبار أخرى فى تلك الرسائل، منها: أن أمير صيدا تمرد على السلطان و هجم على طرابلس و خرب بيوتها و طرد و اليها. لكن والى حلب هرع

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۵

إلى هناك فاسترجع طرابلس و أعاد و اليها ... و هناك أخبار أخرى من أوروبا ...

*** عاد إلى البصرة يوم أمس الأمير «زنبور» صاحب الدار التى نزلت فيها. فقد كان خارج المدينة، إذا على أن أترك الدار لأصحابها بأسرع وقت رغم أن الرجل تمهل علينا تلبية لرجاء الخواجا نجم صديق الطرفين، مع العلم انه لم يطلب منا مبلغا بل نزلنا فى بيته مجانا. لا بد إذا من الرحيل. لذا حملت أمتعتى إلى دير الآباء الكرمليين و تركت مريم تيانتين (و هى ماريوجا) و أوجينيا و بعض الخدم فى بيت الخواجا نجم، و حللت فى الدير ريثما يؤذن لى بالسفر. لقد طلب «القبوجى» منى ان يرافقنى فى السفر فرحبت به.

الرسالة الحادية عشرة من حلب فى ۵ آب ۱۶۲۵

اشارة

بعد أن حصلت على إذن من آغا البصرة بالرحيل، أرسلت أمتعتى خارج المدينة مساء الحادى و العشرين من أيار إلى موضع يسمى «المشراق»، حيث كانت الجمال، ثم ذهبت أنا أيضا مع أتباعى. و بعد أن قطعت كل علاقاتى بالبصرة، و دفعت الرسوم المفروضة عند المغادرة، و بدأنا الرحلة بعد منتصف الليل فى ۲۲ أيار. و ما ان سرنا قليلا حتى دخلنا البادية، و كانت الأرض فى أول الأمر سبخة ثم تحولت إلى رملية قاحلة لا أثر فيها للنبت إلا بعض الأشواك التى تلتهمها الجمال.

فى ۲۳ أيار سرنا ستة فراسخ فوصلنا إلى «كويبدة» التى يعتبرها الأعراب قلعة. و كان شيخها يجمع الاتاوة من القوافل العابرة و اسمه الشيخ عبد اللّه.

توقفنا خارج هذه القرية بانتظار القبوجى الذى زار الباشا، لأنه طلب منا أن يرافقنا فى طريق عودته إلى اسطنبول.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۶

فى ۲۵ أيار لم يعد رئيس الجمالين الذى ذهب لاصطحاب القبوجى، فأصابنا الملل من الانتظار فى ذلك المكان، خاصة بعد أن هبت علينا عاصفة رملية. فأرسلت خادمى ميخائيل إلى البصرة ليواجه الأب باسيل و السيد كونسالفو معتمد البرتغاليين و الخواجا نجم و يستفسر منهم عن سبب تأخر رئيس الجمالين، و يطلب منهم أن يحثوه على السير دون تباطؤ. و إذا كان عنده ما يمنعه من السير لأمور خاصة به أو لأعمال تتعلق بالقبوجى فليأمر الجمالين بالرحيل، فأنا مستعد للسفر من دونه، أو بعكس ذلك أعود إلى البصرة.

فى ۲۷ أيار عاد ميخائيل ليخبرنى بأن القبوجى أكمل استعداداته للسفر و انه سيلحق بالقافلة حالا، و حمل إلى رسالة من صديق إيطالى هو الأب أورسينو الدومينكى الذى كنت قد تعرفت عليه فى اسطنبول قبل عشرة أعوام؛ و يخبرنى فى رسالته بأنه كان فى أرمينية و يعرب عن سروره لوجودى فى البصرة، و يطلب أخيرا ان أنتظره ليسافر معى فهو كثير الشوق للعودة إلى الوطن.

إنى لا أثق بقول القبوجى، فهؤلاء القوم لا يلتزمون بالكلام، لكنى تريثت رغم ذلك فى كويبدة.

فى ۳۰ أيار وصل أخيرا رئيس الجمالين أحمد و معه الأب المذكور أعلاه ... و لم يأت القبوجى. إذا علينا ان نتحلى بالصبر. أعتقد أنه ينتظر بزوغ القمر الجديد، فعادة القوم إنهم يفضلون الرحيل مع القمر الجديد.

صباح الثالث من حزيران وصل القبوجى أخيرا، و قبل أن نرحل دفعنا ضريبة أخرى!.

و الجدير بالذكر اننا دفعنا الضرائب فى الطريق الصحراوى أربع مرات! و لا أعلم أكان دليلنا يخدعنا أم أن هذه هى العادة الجارية. فقد دفعنا أولى الأتاوات للشيخ عبد اللّه صاحب كويبدة فاستوفى خمسة قروش ، عن حمل الجمل الواحد من البضائع الجيدة مقارنة بالأقمشة الهندية، أما البضائع

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۷

الأخرى و الأحمال المتنوعة فيقدرها مقارنة بالتبغ فيأخذ مبلغا أقل من السابق لا أتذكره بالضبط.

الإتاوة الثانية يستوفيها شيخ عربى آخر فى البادية اسمه «ابن خالد»، و يأخذ عن كل حمل مهما كان خمس لاريات و تساوى نحو قرش واحد، كما يأخذ شاهية أيضا ، مع العلم أن القرش فى البصرة يساوى ثمان شاهيات و ثلث، بينما فى البادية يساوى ثمان شاهيات فقط!.

الأتاوة الثالثة تدفع إلى شيخ عربى ثالث يلقب بالأعور و كان يستوفى عن كل حمل مهما كان ست شاهيات. و مثل الاتاوة تدفع لشيخ آخر هو ابن عم الاعور المذكور!.

إن شيخ كويبدة عبد اللّه أبى أن يأخذ الاتاوة منى لأنى حملت إليه رسالتين، واحدة من باشا البصرة و الأخرى من المعتمد البرتغالى فهو صديقه، و كلاهما أثنيا علىّ و أوصيا بى خيرا. أما الإتاوات الأخرى فقد دفعتها إلى و كلاء الشيوخ المذكورين أعلاه المجتمعين فى كويبدة، فأعطونا كتبا تثبت استلامهم المبالغ المقررة لئلا يطالبنا بها اتباعهم فى الطريق.

و فى الرابع من حزيران غير شيخ كويبدة رأيه فطلب منى الإتاوة بالرغم من امتناعه السابق عن أخذها، لا بل استوفى عشرة قروش عن الصندوقين، و هو أعلى مبلغ يؤخذ عن حمل!.

فى الخامس من حزيران بارحنا كويبدة قبل بزوغ الشمس، فوصلنا عند الظهيرة قرب آبار يطلقون عليها اسم «الغنيمات»، و هناك وجدنا عددا من البدو نازلين فى تلك الديار. لقد خفت فى بادىء الأمر من هؤلاء الرجال، و لكن عندما اقتربنا منهم رأيناهم مساكين مسالمين، فأنزلنا الرجال و استرحنا.

بلغنا هناك ان قبضة من قطاع الطرق قد أعدوا العدة لمهاجمتنا و قد

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۸

تفتيش القافلة سبقونا فى البادية، فللتأكد من هذا الخبر عاد رئيس الجمالين إلى الكويبدة ليستطلع الأمر فهناك تتجمع عادة عيون

العشائر، و فى الليل رجع إلينا مؤكدا صحة الخبر و نصحنا بالعودة إلى القرية، و لا أعلم مدى أمانة الرجل فى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۳۹

كلامه. فعدنا فى اليوم التالى و نزلنا فى العراء خارج القرية، ثم دعينا للدخول إليها لنكون فى مأمن من اللصوص و نضيع أثارنا على جواسيسهم و كأننا غيرنا خطتنا و عدلنا عن السفر، و فعل القبوجيان مثلنا.

جدير بالذكر ان القبوجى الأول، ذاك الذى حمل الخلعة من السردار إلى والى البصرة اسمه سرفانلى إبراهيم آغا، و قد رافقه قبوجى آخر اسمه محمد آغا كان فى خدمة السردار السابق و قد أرسله فى مهمات عديدة منها إلى البصرة ثم الاحساء و المناطق المجاورة، و ها هو الآن فى طريق عودته.

فى ۱۳ حزيران نشب نقاش حاد مع رئيس الجمالين، فقد أراد اصطحاب بعض الأعراب بحجة إرشادنا فى الطريق، لكنه فى الواقع كان يريد استنزاف المزيد من أموالنا فعارضته بشدة، لأن الطريق معروف، أما قوله إنهم سيساعدوننا على قطاع الطرق فكلامه هراء إذ لم يكن لهؤلاء الرجال القدرة على القتال و المقاومة. فطال النقاش حتى هددته بالعودة إلى البصرة و العدول عن السفر، و هذا يعنى بالنسبة إليه إعادة المال الذى استلمه منى. عندئذ رضخ للأمر الواقع أمام عنادى. فغادرنا كويبدة فى الليل و مررنا من جديد بالغنيمات.

و فى ۱۴ حزيران أكملنا السير إلى منتصف النهار أيضا فنزلنا قرب مياه مرة المذاق. هناك هبت علينا رياح حارة شديدة اقتلعت خيامنا و مزقتها بحث اضطررنا فى الليالى التالية إلى النوم فى العراء ... و هكذا سارت الأمور فى الأيام اللاحقة.

فى ۱۷ حزيران عبرنا جدولا جف ماؤه.

العرجة

فى ۸۱ حزيران مررنا من بعيد بمنطقة يسكنها الأعراب تقع عن يميننا اسمها «العرجة» يحكمها حسن آغا الكردى . هذا الرجل كان قد هرب من

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۰

موطنه و التجأ إلى هذه القرية منذ زمن بعيد، و اختلط هناك بالاعراب و تصاهر معهم حتى احتل مكانا مرموقا بينهم. و قد حمل إليه القبوجى إبراهيم خلعة من السردار. لكننا لم نذهب إلى القرية لأنها كانت محاطة بمياه الفيضان، كما أن الجمالين لم يستحسنوا الذهاب إلى هذه الحاضرة ليتملصوا من تأدية إتاوة جديدة من المؤكد انها تجمع هناك. فضربنا خيامنا حيث وجدنا.

و بعد ان جزنا العرجة بمسافة، طلب القبوجى من أحد الغلمان ان يذهب سباحة إلى القرية ليخبر حسن آغا بهدية السردار التى يحملها إليه و انه مستعد للذهاب إليه إن دله على طريق سالك، و طلب إليه أن يرسل إليه غير واحد من حاملى البنادق لخفره فى البر. و هكذا توقفنا ذلك النهار ننتظر الجواب مع الرسول.

لاحظت فى ذلك الموقع وجود أصداف بحرية بعضها كاملة و الأخرى متكسرة فاستغربت وجودها لبعد المكان عن البحر، كما رأيت هناك قطعا من القار متناثرة فى تلك الأرض السبخة فأخذت نماذج منها.

فى تلك الليلة توجسنا شرا من هجوم بعض الأعراب الذين يطلق عليهم اسم «المعيدى» و هم رعاة الجاموس. هؤلاء يتجولون فى البيداء تارة و يسكنون فى البيوت تارة أخرى، و يختلفون عن البدو، فالبدو أرقى طبقة بين العرب، أما أقلهم منزلة فهم الحضر ... فاتقاء لشرهم ابتعدنا عن ذلك المكان نحو ميل و نزلنا فى موضع خرب بشكل تل.

كان الفرس قد زاروا حسن آغا صاحب العرجاء أثناء ثورات بغداد، و حملوا إليه تاجا مرسلا من الشاه كما هى عادته فى الإرسال به إلى ذوى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۱

الشأن عندما يريد دعوتهم إلى خدمة مصلحته و إعلانهم الوقوف إلى جانبه.

فتسلم حسن آغا التاج، فصار الأتراك من جراء بعض تصرفاته يشكون- و لو شكّا ضعيفا- فى إخلاصه لهم. فنوى أحد البواشية قتله لكنه لم يفعل، و لعله لم يجد فى نفسه المقدرة على ذلك. قرر أن يرسل الهدية التى ذكرتها ليجعله يقوم دائما بما هو مفروض عليه من الخضوع للسلطان.

آثار المقير (أور)

لم نرتحل فى ۱۹ حزيران إذ بقينا فى موضعنا منتظرين رجوع الجواب من حسن آغا. و فى صباح ذلك اليوم ذهبت إلى خرائب الأبنية القديمة التى نزلنا عندها لا تفحصها بعناية أكبر، فلم أعرف بالضبط أصلها، لكنى وجدتها فى حالة جيدة، و هى مبنية بالآجر المشوى كبير الحجم، و معظمها تحمل كتابة و ختما فى وسطها بحروف غريبة مجهولة تظهر لى قديمة جدا. فأخذت أجرة منها، و لاحظت أن الآجر ملتصق إلى بعضه فى البناء لا بالملاط و لكن بالقار أو الزفت الذى ينبع فى تلك السهول كما ذكرت قبل قليل. و يطلق العرب على ذلك التل الخراب اسم «المقير».

وصل إلينا عند المساء رجلان أوفدهما حسن آغا إلى القبوجى مع مكاتيب منه، و قد أكد له فيها أنه سيرسل إليه بمؤنة، و رجع مع مكاتيب منه، و قد أكد له فيها أنه سيرسل إليه بمؤنة، و رجع الرجلان إلى سيدهما و هما غير راضين لان القبوجى لم ينفحهما بشىء!.

صباح العشرين من حزيران عدت إلى الخرائب و طفت حولها فوجدت على الأرض قطعا من الرخام الأسود الصلب، ناعم الملمس، حفرت فيه أحرف من نفس الشكل الذى وجدته على الآجر. و هى حسب اعتقادى تستعمل كالختم الذى لا يزال الشرقيون يستعملونه إلى اليوم، لأن اختامهم هى عبارة عن أحرف أو كلمات محفورة لاسم صاحبها و معها شعارات تعبر عن التواضع و التقوى، أو بعض عناوين الشرف، أو كلمات أخرى حسب رغبة صاحب الختم لأنه يستعملها لشخصه فقط و لا تعمم على أفراد الأسرة كافة كما هى

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۲

العادة عندنا فى صنعنا الأختام. و من بين الأحرف التى رأيتها تكرر فى مواضع عديدة، ثمة أحرف لها صورة الهرم المنبطح و الشكل الآخر يشبه نجمة ذات ثمانية رؤوس.

وصل إلينا فى النهار شىء قليل من المؤن التى وعد بها حسن آغا للقبوجى، و لم يرسل غير ذلك. و قد قيل ان حسن آغا استشاط غضبا لأن القبوجى لم يرسل له هدية السردار التى كان يحملها. أما القبوجى فلم يبال بما قيل و لم يرسل الخلعة لأنه علم ان حسن آغا كان قد قبل تاج الشاه و عقد ميثاقا مع الفرس معلنا عن تحالفه معهم منذ ذلك الحين.

و قد انطلقنا من هناك مساء خلافا لعادتنا خشية ان يصدر حسن آغا المذكور أمرا ينبىء بخسة أخلاقه، و سرنا مسرعين إلى منتصف الليل، ثم استرحنا ساعتين و رحلنا من جديد ...

فى ۲۱ حزيران مررنا بأراض بعضها مغمورة بالمياه كالمستنقعات مليئة بالقصب؛ و بعضها الآخر بيضاء بسبب السبخة، و هناك أحطاب متشابكة.

فى ۲۲ حزيران سرنا حتى منتصف النهار، و بينما نزلنا للاستراحة فى موضع تكثر فيه الأعشاب اليابسة، شبت النار هناك بسبب بعض المدخنين.

فقد سقطت النار من يد أحد الجمالين الذين يستنشقون السعوط (التتن) حسب عادتهم، فانتشرت النار فى الهشيم و كادت تلتهم أمتعتنا، فهرعنا إلى إخمادها برمى الأغطية عليها إذ لا وجود للماء هناك، و ما كان معنا فى زقاقنا لم يكن كافيا لشربنا.

انطلقنا من هناك، و قبل حلول الليل بثلاث ساعات نزلنا فى موضع يقال له «إهاثوير» (؟)EHATHUER هناك التقينا بثلاثة رجال راكبين حميرا أخبرونا ان القافلة الكبيرة التى سبقتنا بخروجها من البصرة كانت توقفت فترة طويلة عند الأمير ناصر، و قد أصابتها

المضايقات من قبل رجاله، فهو لم يكتف بانتزاع كمية كبيرة من المال من المسافرين، بل أراد تسخير رجالها بالسير فى ركابه فى حملة أراد أن يشنها على «مشهد الحسين» ضد القزلباشية، إذ كان الأمير يقف منهم موقف العدو، و فى ذلك الموقف الذى لا يحسد عليه أحد،

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۳

لقى رئيس القافلة حتفه، فخلفه ابنه ..

فى هذه الأيام الأخيرة أى فى ۲۳- ۲۵ حزيران كنا نسير و عن يميننا الجوازر (البطائح) و هى أهوار كلدية، و رأيت فى الطريق أشجارا قصيرة نادرة تشبه العرعر.

فى ۲۶ حزيران سرنا مع الفجر حتى بعد منتصف النهار، فتوقفنا للاستراحة فى موضع توجد فيه آبار، و ظهر عن يميننا من بعيد «مشهد على».

فى ذلك الموضع قامت فى القديم مدينة الكوفة حيث لقى [الامام] على مصرعه، و مشهد على يعنى موضع استشهاده. و بالرغم من ان مدينة الكوفة قد زالت لكن الموضع هو محط إكرام المسلمين. بناؤه جيد و جميل، يؤمه الناس من كل حدب و صوب للزيارة، و هو آهل بالسكان، و كان فى فترة مرورنا بإدارة القزلباشية، بينما كان تحت سيطرة الأتراك عندما كانوا يحكمون بغداد.

فى ۲۷ حزيران توقفنا عند منبع ماء يجرى فى قناة، لذا لم نرحل فى ذلك اليوم. و فى اليوم التالى قطعنا مرحلتين و مررنا بجداول ناضبة عديدة يظهر انها تمتلىء بالماء فى فترة من الزمن ثم تجف.

الأخيضر

فى ۲۹ حزيران، نهضنا منذ الفجر الباكر و سرنا و لم نتوقف إلى ما قبل منتصف النهار عند ماء يقع بالقرب من بناء عظيم، قديم العهد، مشيد بالآجر، شكله مربع كامل، له ثلاثة عشر برجا مدورا من كل جانب من الخارج. بعض أقسامه مشيدة على أقواس معقودة، و غير ذلك.

فى داخل البناء قاعات عديدة و غرف بمنافذ كثيرة، و فناء غير كبير، و لا أعلم أهو فناء أم أنه كان معقودا فسقطت عقادته، لكنى لا أرجح ذلك.

يطلق العرب على هذا البناء اسم «قصر الاخيضر» و لم استطع معرفة أصل البناء: أكان قصرا أم هيكلا أم قعلة؟ لكنى أميل إلى الاعتقاد بأنه كان قصرا.

***

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۴

لقد كنا فى ذلك الموضع على مسافة نصف نهار سيرا إلى اليمين لنصل إلى «مشهد الحسين» أى موضع استشهاده فى أرض كربلاء، و هو مدفون هناك، و الموضع مأهول بالسكان، و ضريحه مزين و عليه بناء فخم على الطراز الإسلامى، و هو مكان مقدس يزوره المسلمون.

عندما مررنا من هناك كانت كربلاء لا تزال تحت حكم القزلباش الفرس، فقد أخذوها من الأتراك مع أراضى منطقة بغداد بأجمعها، و هى ليست بعيدة عنها.

توقفنا هناك، إذ علينا أن ندفع ضريبة للأمير ناصر بن مهنا شيخ تلك البادية، و للدقة يجب علىّ أن أقول ان الضريبة تدفع للشيخ أبى طالب نجل الشيخ ناصر، لأن هذا كان قد طعن فى السن و اعتكف على الحياة الدينية بعد ان حج إلى مكة فتنازل لابنه المذكور، و كان كلاهما آنذاك فى موضع يقع إلى الشمال الشرقى من محل نزولنا.

فى ۳۰ حزيران ذهب القبوجيان اللذان كانا برفقتنا، كل على حدة، ليحملا رسائل و هدايا من السردار السابق الذى مات و قيل مات مسموما، و لا أعلم أتناول السم بيده ليتخلص من عواقب و خيمة، أم أن أحدهم دس السم له، أم أنه اغتيل لتقاعسه فى حرب بغداد. فهذا القبوجى الذى يمثله ذهب إلى أماكن عديدة و لم يتمكن من المجيء عند الشيخ قبل اليوم.

أتى رجال الشيخ لجمع الاتاوة فى غياب القبوجيين، و بعد أن دفعت ما يقع علىّ حسب طلبهم، و كان المبلغ ۱۲ قرشا على الحملين، و قرشين أو ثلاثة على سبيل الهدية الشخصية لهم؛ بالرغم من هذا كله فإنهم فتحوا جميع الصناديق، و لسرعتهم فى التفتيش كسروا بعضها و قلبوا محتوياتها و أخذوا بعض ما فيها لأنفسهم و للشيخ؛ و أرادوا أخذ بعض الأشياء القيمة، منها:

عمامة فارسية ثمينة من الحرير مطرزة بالذهب، قطعة من الحرير الناعم منقوشة على شكل مربعات تستعمل لصنع القمصان الفارسية، بعض الأوانى الخزفية الفاخرة الملونة و المطعمة بالذهب، بندقية خادمى، كمية من الكاغد اليابانى و أخرى من الكاغد الهندى الصقيل و أشياء أخرى عديدة لا تحضرنى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۵

الآن. قالوا انهم سيدفعون لى ثمنها، أما أنا فكنت أصر على أنها ليست للبيع بل لاستعمالى الخاص.

و لم يكتفوا بكل ما فعلوا بى، بل أرغمونى على دفع عشرين قرشا إضافيا لصديقهم رئيس الجمالين مدعين بأن هذه هى أوامر الشيخ، و هو براء من ذلك، قالوا انها اجرة الدليل الذى أراد اصطحابه من كويبدة و الذى لم استأجره أنا، و لم أتفق معه، و لم يقدم لى أية خدمة، لكنهم لم يصغوا إلى احتجاجى، لا- بل لم يدعوا لى مجالا- للكلام، و لو فرضنا انى كنت بحاجة إليه، لدفعت فى أكثر الاحتمالات نصف ما أرغمونى على تأديته، فقد كان معه من الأحمال أكثر منى بكثير و كلها بضائع للتجارة ... يا لها من معاملة خسيسة! خلاصة القول إنهم أرادوا تقديم خدمة لرئيس الجمالين، فالقروش التى يبتزها منى سيضعها فى جيبه و يدفع منها الاتاوات عن نفسه ... و لقد طفح الكأس عندما امتدت أيديهم إلى سيف الست معانى و خنجرها العربى المصنوع من الفضة و الذهب، فزعموا أنه يليق بالشيخ، فانفجرت غضبا و قررت الذهاب بنفسى إلى الشيخ لأقدم له رسالة توصية كتبها باشا البصرة و أعرض عليه حالتى. فامتطيت بغلا لإبراهيم آغا الذى عاد قبيل قليل و كان غاضبا حقا من معاملة الأعراب لى و لبقية الأشخاص لا بل معه شخصيا. و قبل حلول المساء ذهبت مسرعا و قد رافقنى كاتب الشيخ و رئيس الجمالين الماكر، سبب المشاكل كلها، لكنى لم أظهر له نفورى و امتعاضى، خوفا من سوء العاقبة، فوصلنا إلى مواضع الخيام عند المساء.

*** كانت الخيام سوداء كثيرة متناثرة على الطريق، ثم رأينا خيمة «أبى طالب» بعيدة قليلا عن خيمة أبيه الشيخ ناصر. و لا فرق بين خيام الأمراء و عامة الشعب إلا بالحجم. فكل الخيام سوداء منسوجة من شعر الماعز.

لم ندخل الخيمة إذ كانت بعض الأفرشة الصوفية مطروحة أمامها، و هى بسيطة و ملونة، و كانت نظيفة، و كان القوم قد جلسوا عليها، و لم يكن الشيخ هناك عندما وصلنا، لكنه حضر بعد قليل فنهض الجميع إكراما له، فجلس فى

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۶

وسط الحلقة وعدنا إلى الجلوس فى مواضعنا. فوضعوا أمامه منارة عليها سراج، فقام للصلاة أولا، و بعد انتهائه من تأديتها شرع بقراءة بعض الرسائل ثم وقّع عليها، و أصدر أوامره و تعليماته فى مختلف الأمور، و من بين الرسائل كانت تلك التى حملها محمود آغا و كان لا يزال هناك و قد طلب الإذن للانصراف.

بعد أن انتهى من كل ذلك نهضت فقدمت له رسالة الباشا، فسألنى الشيخ ان كنت إفرنجيا فأجبت نعم، ثم شرح رئيس الجمالين سبب قدومى و أبديت رأيى متكلما العربية، فطلب ان يرى قبعتى من قريب فوضعها أمامه.

و لما علم بأنى أفهم العربية، أخذ يعتذر عما بدر من رجاله، لكنه أضاف أنه بحاجة ماسة إلى البندقيات للحرب، و قد أعجب جدا بالعمامة و طاقة القماش و لذا فإنه سيدفع ثمنها، فقلت: إنى لا أهتم بذلك، و أقدمهما لك هدية. ثم أمر بإحضار العمامة فنظر إليها

مليا و أخذ يقبلها مظهرا أعجابه بها، بينما كنت أقول له بأنها مستعملة و قد تعممت بها مرات عديدة عندما كنت فى بلاد فارس، لكنه لم يصغ إلىّ بل ولج إلى داخل الخيمة حيث كانت النساء يطحنّ القمح بمجارش يدوية لصنع الخبز ... و ظهر بعد قليل و قد وضع العمامة على رأسه، و إذ كان منظره جديدا على الحاضرين فقد أخذوا يصرخون مستحسنين و مرددين بصوت واحد: مبارك مبارك!.

و بعد أن جلس وضعوا أمامه إناء عميقا من النحاس فيه عنب و ماء، فدعانا للاقتراب منه، و أخذ يقدم العنب للجميع. كان العنب أخضر اللون، حلو المذاق و هو من بواكير الموسم الجديد. و بعد أن تناولنا العنب رجعنا إلى أماكننا و جلسنا بعض الوقت ثم استأذنت الشيخ و رجعت مع محمود آغا إلى القافلة، بينما بقى المكارى و كاتب محمود آغا هناك نزولا عند رغبة الشيخ إذ قال انه سيرسل يوم الغد أوامره معهما بما يخص القبوجى، و كذلك مشكلتى.

فى الأول من تموز عاد سائس الجمال ليقول لى بأن الشيخ تنازل عن أخذ السيف و الخنجر، و أرسل تسعة و عشرين قرشا كتعويض عن العمامة و طاقة القماش، و ادعى بأنه أنفق خمسة قروش منها: قدم قرشين لمساعد الشيخ، و ثلاثة لأمور أخرى لم يفصح عنها، فسلمنى أربعة و عشرين قرشا لا تساوى-

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۷

فى الواقع- ثلث قيمة الأشياء التى أخذت منى ...

فى الثانى من تموز مضينا فى رحلتنا .. و إذا بأعراب تابعين لأخ الشيخ ناصر أوقفونا فى الطريق طالبين إتاوة عن الجمال.

ثم نزلنا عند ماء و رأينا هناك بيوتا للأعراب فاشترينا منهم كمية من اللبن و الحليب و العنب ..

فى الثالث من تموز سرنا سيرا حثيثا، ثم توقفنا عند الظهيرة قرب مستنقع ملىء بالقصب تحيطه أرض خضراء، و وجدنا هناك طيورا مائية فاصطدنا منها، و هكذا فعلنا فى اليومين التاليين.

فى السادس من تموز .. توقفنا أيضا عند مستنقع، و بالقرب منه بئر ماؤها بارد جدا، فشربنا و ارتوينا .. فى هذا اليوم سرنا فى أرض مليئة بمعدن أبيض ناصع، لعله الطلق أو أملاح النطرون، فأخذت كمية منه.

فى السابع من تموز .. نزلنا فى موضع رأيت فيه شجيرات شوكية صغيرة الأوراق بقدر خنصر اليد، شكلها شبيه بالقلب، لها ثمرة حمراء مدورة لونها كالعقيق، حلوة المذاق مع شىء قليل من الحموضة، فى داخلها نوى صغيرة.

كانت فى الحقيقة لذيذة فى تلك الصحراء القاحلة.

احتفل المسلمون فى ذلك اليوم بعد الفطر.

فى الثامن من تموز مررنا بمياه راكدة فى أكثر من موضع، و عندما توقفنا قرب إحدى البرك تذوقنا الماء فكان طعمه كبريتيا غير مستساغ، و أكثر مياه البادية لها نفس المذاق لكثرة ما فيها من معادن.

لم نرحل فى ذلك اليوم، إذ كان علينا أن ندفع أتاوة للأمير «مدلج أبو ريش» لأننا دخلنا فى الأراضى التى تخضع لسيطرته، أن الأمير «أبو ريشة» هو أعظم أمراء البادية العربية، و اسمه الخاص كما قلت «مدلج»، و قد خلف عمه المتوفى فياض الذى كان على قيد الحياة قبل تسعة أعوام عندما سافرت من حلب إلى بغداد. و لم يخلفه أحد أبنائه رغم وجودهم، بل خلفه ابن أخيه، ذلك لأن الإمارة كانت لأبى مدلج قبل فياض، و عند موته كان مدلج صغير

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۸

السن، فاغتصب فياض الإمارة.

فى تلك الليلة زارنا لصوص، و إذ لاحظوا استعدادنا للقتال تركونا فى الحال و ولوا الأدبار، فتبعناهم قليلا حتى غابوا عن الأنظار.

انقضى صباح اليوم التالى بعملية حساب الضرائب و دفعها. و قد أديت خمسة عشر قرشا عن حمل و نصف الحمل، و قرشين عن الجمال كتلك التى أديتها لأخ الأمير فياض، و بعض الهدايا.

هنا أيضا فتحوا الصناديق فأخذوا قبعتين من المخمل، و كمية من الكاغد الجيد، و بعض الأشياء الأخرى. و أرادوا أن يفتحوا الصندوق الذى كان يضم جثمان الست معانى، فتدخل القبوجى إبراهيم آغا ملتمسا لا آمرا، فاستطاع إبعادهم عنه، و خلصنى من شرهم.

فى العاشر من تموز توقفنا فى سهل فسيح تحيطه التلال و تنتصب فى وسطه صخرة عالية، و على قمتها صخرة أخرى مدورة كأنها حوض نافورة ...

فى الحادية عشر منه قررنا التوقف من أجل إراحة الأباعر التى انهكها التعب، و لكى نستريح نحن أيضا و نتزود بالماء إذ لن نجد ماء فى اليومين التاليين. فى ذلك اليوم تركنا القبوجيان عن طريق «عنة» إذ توجها للقاء الصدر الأعظم فى ماردين أو حيثما يجدانه. أما نحن الذين كانت وجهتنا حلب فلن نمر ب «عنة» بل نختصر الطريق و نتخلص من الضرائب التى تجبى هناك.

و عندما شرعنا بالمسير التحق بنا عدد من الرجال و النساء، كان الرجال يسيرون على الأقدام بينما النساء راكبات الحمير.

تركنا طريق «عنة» و هى على يدنا اليمنى و توغلنا فى البادية، و سرنا دون توقف ذلك النهار و كل الليل، و قسما من اليوم التالى لكى نصل بأسرع وقت إلى أقرب مكان فيه ماء لأننا كنا بأمس الحاجة إليه نظرا للحر الشديد.

فى الثانى عشر منه، لم نعثر على ماء فى الطريق فاستعملنا ما عندنا منه فى القرب ...

فى الثالث عشر من تموز وصلنا عند منتصف النهار إلى نهر الفرات الشهير

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۴۹

فوق «عنة» و توقفنا عند تلال مكسوة بالطلق أو بمعدن آخر ناصع البياض. لم نرحل كعادتنا فى ذلك المساء، فقبل الغروب داهمنا فرسان يحملون البنادق و الأسلحة المختلفة، قدموا من قبل سادة «عنة» الذين اطلعوا من القبوجيين على خبر مرورنا بأراضيهم فلحقوا بنا ليستوفوا الإتاوات بأية طريقة كانت رغم أننا لم ندخل المدينة. لقد حاولنا التهرب من دفعها، وها هم يطالبون بها!.

لم نرحل فى اليوم التالى بل مكثنا هناك لدفع الضرائب، فأديت ستة قروش فرضت علىّ، و قرشين كهدية خاصة بهم. و قد ادعى رئيس الجمالين أنه لا يحمل مالا فأديت عنه عشرين قرشا، و هكذا جازيت شخصا لم أنل منه غير الأذى و الضرر، و بالرغم من ذلك كله فقد فتحوا الصندوقين و قلبوا الأمتعة بفظاظة، و رغم ما فعلوا فأنا ممتنّ لهم جدا، لأنهم عندما تقدموا لفتح صندوق جثمان الست معانى توسلت إليهم ألا يفعلوا ثم اضطررت لإخبارهم بمحتواه و رغبتى بدفن جثمان زوجتى فى أرض آبائى، فتراجعوا ورثوا لحالى، و لم يخلقوا لى مشاكل جديدة مع ان عملى كان مخالفا لشريعتهم و عاداتهم، فشكرت ربى ألف مرة!.

مضى قسم من الجنود الذين أتوا من «عنة»، بينما سار قسم آخر معنا، إذ كانوا يحملون أموالا إلى الشيخ «مدلج». و عند المساء عاد إلىّ رئيس الجند و أمرنى أن أفتح صندوقين صغيرين لم يفتحهما فى النهار، فامتثلت لأمره، و لما استعرض المحتويات أخذ رداء الست معانى و هو زيها العراقى و كان من الحرير، لونه أزرق غامق، كما أخذ كرة من العنبر، و إناء جميل الصنع من الهيصم سلمه إلىّ فى الهند السيد «أنكونيو باراكو» لأقدمه باسمه هدية إلى السيد «ديل دراكو» فى روما، كما أخذوا بعض الأوانى المصنوعة من الخزف

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۰

الرقيق المطعم بالذهب، و كتابا عربيا لم يكن مهمّا، و غطاء واسعا أزرق اللون يستعمل فى فارس لاتقاء المطر، و كمية كبيرة من الورق و ما شاكل ذلك ...

أمضينا الليل هناك، بينما استعد الجنود للرحيل، و استطعت قبل انصرافهم أن أسترجع منهم رداء الست معانى و إناء الهيصم مقابل عباءتين اشتريتهما من أحد المسافرين بسبعة قروش؛ أما الأشياء الأخرى لم أستطع استرجاعها فأخذوها معهم ... و أحمد اللّه لأننى استطعت ان أخلص سيف الست معانى و خنجرها من أياديهم الخاطفة، فقد أخفيتهما فى أسفل أحد الصندوقين مع أساورها و حليها، فلا شك أنهم لو رأوها لاختطفوها فى الحال.

فى الخامس عشر من تموز سرنا مع الفجر و مضينا حتى الظهيرة، و بعد استراحة قصيرة قطعنا مرحلة ثانية حتى المساء، فاسترحنا فى

موقع غير بعيد عن النهر حيث وجدنا أدغالا كثيفۀ من شجيرات العرعر.

فی السادس عشر منه قطعنا مرحلۀ جديدۀ و توقفنا بعد الظهر فی موضع رأينا فيه ماء فتزودنا منه ...

أما فی السابع عشر منه فقد توقفنا بعد مسيرۀ منهكۀ. عند بئر كان ماؤها مرّا كريه الرائحۀ، لأن الأرض هناك مليئۀ بالمعادن و الطلق ...

و هكـذا فی الأيام التاليـۀ انتقلنا من مكان إلى آخر ... ففی اليوم العشـرين من تموز انطلقنا منذ الصـباح الباكر و سـرنا حثيثا حتى الظهر لنتوقف عند بئر عميقۀ جدا تقع بالقرب من كهوف صغيرۀ منقورۀ فی الحجر الأبيض. أما فی مرحلۀ المساء فقد سرنا بين سهول و وهاد ...

فی الحـادی و العشـرين من تموز عبرنـا أخـدودا عريضـا فی الأـرض كان مجری ماء فی وقت مضـی، ثم مررنا بحصن متهـدم يسـمی «الحير» كنت قد مررت به سابقا فی رحلتی من حلب إلى بغداد لكنی لم أره جيدا فی ذلك الحين إذ كان نزولنا بالقرب منه ليلا.

إنه بنـاء عظيم مشـيد بحجر أبيض، أی بقطع كبيرۀ الحجم من الرخـام الأـبيض، و هو مربع الشـكل، تحيطه أسوار تتخللها أبراج مـدورۀ صغيرۀ. فی

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۱

داخله بقايا بناء ضخم مشيد بأجمعه بنفس الرخام الأبيض. و نظرا للخراب الذی أصابه فليس بمقدوری معرفۀ ما كان عليه فی السابق.

بعد أن تركنا هذا الموقع سـرنا ساعات أخرى، و عند المساء وصـلنا إلى «طيبۀ» و هی بلدۀ مأهولۀ بالسـكان، سـبق لی أن زرتها، فنزلت قريبا من باب المدينۀ ... و غادرناها فی الثالث و العشـرين من تموز ... و رافقنا أعرابی ليوصلنا إلى الأمير «مدلج» الذی كان فی «حماه» آنذاك.

شعار الست معانی

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۲

الرسالۀ الثانيۀ عشرۀ من قبرص فی ۶ أيلول ۱۶۲۵

... من الأخبار المعاصـرۀ الجديدۀ بالذكر: ان السـلطان مصـطفى أخ السـلطان أحمد المتوفى الذی كان حيّا فی فترۀ مرورى باسطنبول، أنزل عن العرش بسـبب جنونه ... أما عثمان ذلك الأمير، الغريب الأطوار، فقـد فكر يوما باعداد حملۀ على روما ... و قد قتله وزراؤه ...

أما السلطان الحالی فهو مراد بن أحمد.

إن الصـدر الأعظم حاليّا هو حافظ أحمـد باشا، و قـد كان واليا على ديار بكر عنـدما دعی للصدارۀ و كلف لاعداد حملۀ على الفرس، فشرع يعد العدۀ للحرب، و لا أعتقد انها تبدأ فی هذه السنۀ.

فی الثـانی و العشـرين مـن آب زارنی فی بيت القنصـل المطران ايشوعيـاب السـريانی النسـطوری أسـقف ميافـارقين بعـد أن بلغه خـبر وصولی من الآباء الفرنسيسكان، و كان صديقا حميما للأب تومازو دی نوفارا ، الذی لعب دورا مهما فی تطوير العلاقات بين طائفته و الكنيسۀ الكاثوليكيۀ، و أخبرنی المطران أنه يشـتاق كثيرا لزيارۀ روما، و كاد ان يقدم نفسه لمرافقتی، لكنی كنت قد قررت الرحيل فی اليـوم التـالی، و لـم تكن معه رسائـل من البطريرك رئيس كنيسـته تفـوضه لمهمـۀ مـا، و زعم انه بانتظـار وصولهـا ... لكنی فهمت من الآخرين أن لا أمل له بالحصول على رسائل كهـذه، و أن شوقه لزيارۀ روما لا لشـیء إلا على أمل الحصول على بعض المساعـدات، و لذا قلت له أن يتريث

رحلۀ ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۳

و لا يرحل بدون رسائل فاقتنع بعد لأی بكلامی. ثم طلب منی أن اصـطحب رجلين من طائفته اسمهما عبد يشوع و هندی كانا يتمنيان كثيرا زيارۀ روما فقبلتهما .. و أضـفت: ان بيتی فی روما مفتوح لاسـتقباله، و أنا شخصـيا مسـتعد لتقـديم أيـۀ خدمۀ يحتاجها إذ تربطنی

بطائفته روابط عزيزة جدا من جهة زوجتى المحبوبة الست معانى.

*** أردت قبل الرحيل زيارة كنائس الشرقيين فى محلة «الجديدة» ، فرأيت كنيستين للأرمن، أقيمت الكبيرة منهما على اسم الشهداء الأربعين، و الثانية على اسم العذراء، مريم. و كنيسة الروم، و كنيسة صغيرة للموارنة شيدت على اسم مار ايليا ... و رأيت فى موقع أبعد كنيسة السريان اليعاقبة و هى على اسم السيدة مريم ... وزرت البطريرك «هدى» ... فأطلعنى على نسختين جميلتين للإنجيل الشريف مكتوبين على الرقّ، و كانتا بحجم كبير و بخط سريانى رائع جدا؛ يرجع عهد النسخة الأولى إلى أربعمائة سنة، و كانت الكتابة بماء الذهب و الفضة، و قد عثر على هذه النسخة جنود أتراك فى قبرص عندما احتلوا الجزيرة فحملوها إلى اسطنبول فاشتراها بعضهم. فى الحقيقة لا- يمكن أن تكون هناك كتابة أجمل من هذه، و هى غنية بماء الذهب و المنمنمات و كان غلافها من المخمل المزين بالفضة المذهبة، لكن هذا الغلاف جديد، لأن الغلاف الأصلى سرقه الجنود إذ كان ثمينا.

أما النسخة الثانية فكانت أقدم من الأولى إذ ترجع إلى أربعمائة و خمسين سنة، لكن كتابتها عادية و صورها قليلة، و مصدر هذه النسخة من قبرص أيضا. و قد افتديت بمائتى قرش.

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۴

جناز الست معانى [وصل السائح أخيرا إلى إيطاليا فتوقف بعض الوقت فى نابولى عند صديقه الأديب ماريو سكيبانو الذى وجه إليه الرسائل طيلة الرحلة، ثم رحل إلى روما فدخلها يوم ۲۸ آذار ۱۶۲۶ وصف ذلك فى رسالته السابعة عشرة].

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۵

الرسالة الثامنة عشرة روما فى ۱ آب ۱۶۲۶

... فى الخامس و العشرين من تموز قررت أن أوارى الثرى جثمان زوجتى الست معانى جويريدة الذى رافقنى فى سفراتى العديدة خلال السنوات الماضية، و ذلك فى ضريح أسرة ديللافاليه فى مصلى القديس بولس فى كنيسة «أراجيلى» فى منطقة الكمبيدوليو بروما.

أمرت بإعداد صندوق من الرصاص وضعت داخله صندوق الجثمان ...

ثم سمّرته جيدا ... و وضعت عليه كتابة باللاتينية باسم المتوفاة.

و بعد ان حصلت على موافقات الجهات الرسمية، أخبرت كاهن الكنيسة المسؤول، و سار الموكب الحزين بعد منتصف الليل، بينما ذهبت أنا إلى باب الكنيسة أنتظره، فدخلنا إلى المصلى و نزلت إلى القبر لأقدم آخر خدمة لسيدتى العزيزة و أضع بيدى الصندوق قرب أبى و أمى و أعمامى. ثم أغلق الضريح جيدا و أعيد بناء الغطاء. و هكذا أديت آخر خدمة لزوجتى الحلوة الست معانى و أقمت الصلاة على روحها الطاهرة.

- (انتهى)-

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۷

ملاحق الكتاب

الملحق رقم (۱) للحاشية رقم (۷)

أبو الريش

ذكر السائح أكثر من مرة اسم «فياض» فدعاه ملكا أو أميرا أو أعظم سادة العرب فى البادية العربية، و شبهه بالسيد الإقطاعى فى أوروبا،

و قال إن منطقة نفوذه تمتد في مفاوز البادية بين حلب و بغداد و معظم ما بين النهرين، و قاعدة حكمه في مدينة «عنة»، و طاعته للحكومة العثمانية- حسب تعبير السائح- ظاهرية و اسمية. و لقبه «أبو الريش» و هو لقب أسرته.

قال عنه انه اغتصب الإمارة من أخيه، فلما توفي عادت إلى ابن أخيه مدلج (ذكره لونكريك باسم مطلق: أربعة قرون ص ۷۹ و ۹۱). و قال عنه السائح أنه كان أمل البصرة في شدتها يوم حاصرها الفرس. و قد خلع مدلج هذا من قبل خسرو باشا، و أعطيت الإمارة إلى سعد بن فياض على قول لونكريك (ص ۹۱) أو سعيد (مباحث عراقية ۲: ۳۴۱ في الهامش نقلا عن تاريخ نعيما) و ذكر انه مات بسقوطه عن فرسه عام ۱۰۴۰ ه.

قال الأمير حيدر الشهابي في حوادث ۱۰۲۹ ه/ ۱۶۱۹ م في هذه السنة توفي الأمير فياض، و أخذ منصبه ابنه حسين، و لكن الأمير مدلج ابن أخ فياض نازعه عليه، فأخذه منه. و قال في حوادث ۱۰۳۳ ه/ ۱۶۲۳ م في هذه السنة تقاتل أمراء طيّئ فيما بينهم، و هم الأمير مدلج و ابن عمه الأمير حسين ...

و للسيد فرحان أحمد سعيد مقالة شائقة في مجلة التراث الشعبي (بغداد) ۱۰ (۱۹۷۹) العدد ۹ ص ۷۲- ۱۰۴ بعنوان: مشهد أبي ريشة، قال فيها: «إن

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۸

مقر أبي ريشة/ عنه- فرحان الحديثي: تاريخ الحديثة

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۵۹

آل أبو ريشة هؤلاء هم أحفاد أمراء آل ربيعة الطائيين ...» (ص ۸۱) أما عن كنيتهم فقال: «لأن أمراء ربيعة كانوا يضعون ريشة من الذهب في مقدمة عمائمهم تقليدا لأحد أجدادهم ملك العرب عيسى بن مهنا الذي اشترك مع قبيلته في وقعة الملك المنصور قلاوون ضد التتار بحمص سنة ۶۸۰ ه/ ۱۲۸۱ م. فأهدى له عبيدا و مماليك و ألبسه الريشة رمزا للاعتزاز و الفخار» (ص ۸۱) العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ۴: ۲۴۳- ۲۴۵.

*** الملحق رقم (۲) للحاشية رقم (۳۸)

موالي الحويزة العرب

أظهر السائح اهتماما خاصا بمنطقة الحويزة العربية فكان يتتبع أخبارها.

و قد ذكر أكثر من مرة في القسم الأول من رحلته اسم «مبارك» و قال عنه إنه كان مواليا للفرس اتقاء لشرهم. و مبارك هذا هو بن عبد المطلب بن حيدر بن محسن.

بعد موته تولى شؤون الإمارة ابنه الكبير «ناصر» لمدة سنة تقريبا و مات مسموما بيد راشد، و كان رجلا شجاعا، لكنه أثار الفتن في منطقته، ثم فر إلى الشاه، و عاد لمحاربة البصرة و مات في الحرب. فتولى الإمارة من بعده «سلامة» لمدة قصيرة (و لم يذكر المؤرخون الذين رجعت إليهم اسم سلامة إلا يعقوب سركيس في مباحثه نقلا عن ديللافاليه). ثم تنازل لأخ مبارك الأصغر و اسمه «منصور» و قد رفض منصور الخضوع للشاه الفارسي فأوعز هذا إلى خان شيراز ان يحاربه و يقضي عليه، فاضطر إلى الفرار و التجأ إلى البصرة، فوضع الفرس محمد بن راشد مبارك أميرا على الحويزة (۱۶۲۵).

هذا ما جاء في الرحلة عن أمراء الحويزة .. بينما نقرأ في كتاب السيد جاسم حسن شبر: تاريخ المشعشعين و تراجم أعلامهم، النجف ۱۳۸۵ ه/ ۱۹۶۵ م بعض الاختلافات:

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۰

فبعد موت مبارك (۱۰۲۵ ه) تولى الإمارة ولده ناصر (ص ۱۱۳) لأشهر قليلة و مات مسموما و قيل إن الذى سمه هو ابن عمه السيد راشد (ص ۱۶۶) و أضاف المؤلف: أن السيد ناصر بن مبارك تزوج بعقيلة الملك شاه عباس الصفوى و صار من المقربين عنده، بينما قال السائح: «إنه كان صهر الملك ... إذ تزوج بأخته».

و جاء فى كتاب «تحفة الأزهار» أن مباركا كان أرسل ابنه ناصرا رهينة عند الشاه و عاد فى مرض أبيه «و توفى بعد مدة سبعة أيام فقد مات مسموما سمه راشد بن سالم بن مطلب» (نقلا عن مباحث عراقية ۲: ۳۸۵ فى الهامش).

انظر أيضا:

د. عبد المجيد إسماعيل: عربستان عبر التاريخ. آفاق عربية ۶ (۱۹۸۰) العدد ۳- ۴ ص ۱۸۹.

د. محمد حسين الزبيدى: إمارة المشعشعين أقدم إمارة عربية فى عربستان، آفاق عربية ۷ (۱۹۸۱) العدد ۱ ص ۶۲- ۷۰.

على نعمة الحلو: الأحواز، بغداد ۱۹۶۹ ج- ۲: ص ۱۸۲- ۱۹۷.

*** الملحق رقم (۳) للحاشية رقم (۴۰)

جغالة زادة

إن محمود باشا مؤسس «المحمودية» هو ابن سنان باشا جغالة زادة بانى الخان المعروف باسمه فى بغداد «خان جغان» تحريفا لاسمه جغالة، أو بالأحرى لقب أسرته (جيكالا) الإيطالية الاسم، و يلفظها البعض زيكالا (كما فى معلمة الإسلام ۱: ۸۷ نقلا عن مباحث عراقية ۲: ۱۸۶ فى الهامش) ذكره الرحالة بلفظه الإيطالى و فسر معناه و هو الصرصر (انظر أيضا فون هامر ۸: ۸۸) و سرد الرحالة شيئا عن حياة الأب و نشاطاته منذ أن أسره العثمانيون (انظر أيضا فون هامر ۸: ۴۰۰) إذ أضاف معلومات أخرى عن أسرة جيكالا مكذبا الخبر

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۱

القائل بأنه هرب من الأتراك و عاد إلى أوروبا سنة ۱۶۵۸ ليعيش هناك.

أما محمود باشا فقد ذكره ديللافاليه مرارا، و قال إنه تزوج بأخت السلطان (الرحلة ۱: ۱۱۸ و ۶۱۴) و يؤيده فون هامر (۸: ۱۷۸) و أضاف السائح ان محمودا كان أحد العاملين على إزاحة نصوح باشا من منصبه أى الصدارة العظمى، إذ حمل إلى السلطان رسائل تشير إلى علاقة نصوح بالفرس (الرحلة ۱: ۵۷) و ذكر ذلك فون هامر أيضا (۸: ۲۱۱) نقلا عن كاتب معاصر كان فى اسطنبول فى تلك السنة.

العزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين ۴: ۱۲۶- ۱۲۷.

*** الملحق رقم (۴) للحاشية (رقم ۶۰)

ناصر بن مهنا

ناصر بن مهنا، أو ناصر المهنا رئيس آل قشعم، العشيرة المعروفة.

سماه صاحب الرحلة «أمير البادية» و قال عنه انه: «حاكم مشهد الحسين و المنطقة المنحصرة بين الحلة و البصرة». و قال عن ميوله السياسية فى رسالته الأولى من بغداد ۱۶۱۶ إنه وقف إلى جانب الحكومة و مد لها يد العون فى الحرب. لكنه بعد سنوات أصبح من الموالين للفرس، و قال السائح عنه سنة ۱۶۲۵: «انه كان من العاملين المهمين على سقوط بغداد بيد الفرس».

كان ندّا قويّا لأمراء «أبو الريش» و قاتلهم. ثم تصالح ابن مهنا و عاد إلى طاعة السلطان و أظهر الولاء لوالى بغداد.

ذكر ابن مهنا قبل ديللافاليه السائح تكسيرا سنة ۱۶۰۴ فنعته «بملك العرب»، و قال أنه سيد المشهدين كربلاء و النجف و هو من الموالين للأتراك.

و علق على هذا الكلام الباحث يعقوب سركيس (مباحث ۲: ۳۳۶ فى الهامش) بقوله: «و لا شك فى أن ناصرا لم يكن حاكما لهاتين المدينتين إنما كان شيخا عظيما له سطوة عليهما».

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۲

فى شيخوخته سلم الزعامة إلى ابنه المكنى بأبى طالب.

يفهم من الرحلة انه كان يستوفى الإتاوات من المسافرين و يضيق عليهم الخناق.

*** الملحق رقم (۵) للحاشية (رقم ۸۴)

أسرة جويريدة

نظرا لعلاقة السائح بهذه الأسرة لذا نذكر بعض أخبارها كما وردت فى رسائله و التى لم ندخلها ضمن الترجمة العربية.

كان رب الأسرة حبيب جان من ماردين، ينتمى إلى الطائفة الكلدانية، هاجر إلى بغداد نحو سنة ۱۵۹۸ م، و تزوج من الأرمنية مريم من ديار بكر قبل قدومه إلى بغداد، و رزق بثلاثة بنين و خمس بنات كما يفهم من نص الرحلة.

و بعد أن أعطى ابنته الكبرى معانى للسائح الإيطالى رحل إلى إيران بترغيب من ديللافاليه، لكن الحياة لم ترق له هناك فعاد إلى بغداد (۲: ۲۲۱) و توفى فيها سنة ۱۶۲۲ (۲: ۳۴۹).

لقد أحب السائح الفتاة البغدادية و أطنب فى مدحها، لكنها لم تكن كذلك فى نظر غيره! فبعد أربع و أربعين سنة من وفاتها ألحق ناشر كتاب الأب رفائيل الكبوشى من أهل مانس رسالة كتبها ديلاند من أصفهان بتاريخ ۱۵ شباط ۱۶۶۵ مادحا ديللافاليه، مضيفا: «لكنه لم يصب- ديللافاليه- فى ما رواه بخصوص معانيه، التى لا تزال لها أخت فى شيراز». انظر:

L'Estat de la Perse en ۰۶۶۱ Par Le P. Raphael de Mans ... publ. par Ch. Scheffer, Paris ۰۹۸۱.

كتب ذلك بعد ان نشر ديللافاليه رحلته للمرة الأولى.

يعقوب سركيس: جويريدة أسرة شرقية، مجلة النور البغدادية ۱ (۱۹۵۰) عدد ۹ ص ۹- ۱۰.

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۳

أما أخوات معانى فهن حسب أعمارهن: راحيل و لآلى (أو لعلى و النسبة إلى العلل و هو حجر كريم) كيولاغا، أسميخان. كانت راحيل قد أصيبت بالجدرى فتشوه وجهها (۲: ۴) رحلت إلى إيران ثم عادت إلى بغداد حيث توفيت (۲: ۲۲۰) تزوجت لالى سنة ۱۶۱۹ من خواجا استوازاتور أى عطا للّه (۲: ۸۴۸؛ و سماه سركيس زادور فى المرجع المذكور فى المتن و الهامش).

كيولاغا كان عمرها نحو ۸- ۹ سنوات عام ۱۶۱۹ (۲: ۳) و هى فتاة جميلة توفيت فى خانقين سنة ۱۶۲۲ فى طريق العودة من إيران إلى بغداد (۲: ۳۴۹) و أخيرا أسميخان الوحيدة التى عاشت طويلا فذكرها الرحالة سبستيانى سنة ۱۶۵۶ (الأب د. بطرس حداد: رحلات سبستيانى إلى العراق، و ذكرها المعجم الفارسى الإيطالى اللاتينى الفرنسى للأب انجلو الكرملى إذ قال: «فى سنة ۱۶۶۷ حلت نكبة بدار أسميخان فى شيراز و قد خربت برجمها رجما مستمرا ...».

Gazophylacium linguae Persarsum Tripli linguarum Italicae, Latinae, Gallicae ... authoe P. Angelo A. S. Joseph Carm., Amestelo- dami, ۴۹۶۱.

و قد اتخذت- خاصة مع الأجانب- اسم ماريا روزا، و كانت على قيد الحياة سنة ۱۶۷۵، تزوجت و ترملت و كانت تريد الذهاب إلى

روما، انظر:

A Chronicle of Carmelites, op. cit., P. ۲۴۴.

أما أبناء حبيب جان فهم: عبد اللّه و عبد المسيح و عطائی. تزوج الأول من فريخان جويريدهٔ (۲: ۳) و رزق بأربعهٔ صبيان: بطرس و حنا و جرجيس و يوسف، سافر مع ديللافاليه إلى إيران و شجع أسرته على الهجرهٔ (۲: ۲). أما عبد المسيح فكان جنديا فی خدمهٔ بكر صوباشی (۲: ۱۵۹) رحل إلى إيران لرؤيهٔ أهله (۲: ۱۵۷) ثم عاد (۲: ۲۲) و الصغير عطائی أو عطا للّه سمی باسم جده.

ذكر الرحالهٔ سبستيانی بطرس بن عبد اللّه سنهٔ ۱۶۵۶ و كان ترجمانا للهولنديين فی البصرهٔ.

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۴

ذكر تاريخ الكرمليين (۱: ۶۱۴) وجود نصب لقبر حبيب جويريدهٔ المتوفی فی ۱۲ تموز ۱۹۷۲ فهو حفيد والد معانی (و فی التاريخ المذكور صورهٔ للنصب و الكتابهٔ باللاتينيهٔ) و ذكر الكتاب نفسه (ص ۳۴۴، ۳۵۶، ۳۸۷- ۳۸۸) اسم قسيس من هذه الأسرهٔ اسمه فرديناند جويريدهٔ، درس فی الكليهٔ الأوربانيهٔ فی روما، و عين ترجمانا لمطران بغداد اللاتينی السيد برنارد سنهٔ ۱۶۳۹، ثم أوفده البابا إلى الشاه سنهٔ ۱۶۴۲ و بعد سنوات أوفده لزيارهٔ بطريرك المشارقهٔ و مات غرقا سنهٔ ۱۶۵۳.

و ورد أخيرا ذكر لقسيس باسم «جويريدهٔ الفارسی» مجردا و ذلك سنهٔ ۱۶۵۸، انظر:

A. Lampart" Ein Martyrer der Union mit Rom, Joseph I, p. ۵۲".

و لعل اسم العائلهٔ تصغير لكلمهٔ جرادهٔ التی تعرى الأشجار من أوراقها و الأرض من نباتها، لذا يقال فی بغداد عن المنحوس جويريد الذی لا- يحل فی مكان إلا أصاب نحسه أهل ذلك المكان و العياذ باللّه. انظر: عبود الشالجی: رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب ؛ ص۱۶۴

سوعهٔ الكنايات العاميهٔ البغداديهٔ، بيروت ۱۹۸۲، ۱: ۵۳۳.

*** الملحق رقم (۶) للحاشيهٔ (رقم ۹۰)

الأحجار الكريمهٔ

ذكر السائح أسماء بعض الأحجار الكريمهٔ التی كانت مستعملهٔ فی بغداد، و للدقهٔ نذكرها فی الجدول التالی بالإيطاليهٔ و إلى جانبها ترجمتها العربيهٔ:

العقيق البجادی Granate اللؤلؤ Perle النفش Giacinti الياقوت Rubini العنبر (الشيح) Ambra الفيروز Turchine الزمرد Smeraldi البلخش Balasci البلور النقی. Cristalle

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۵

و قد استفدنا بنوع خاص من كتاب: نخب الذخائر فی أحوال الجواهر تأليف محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاری السنجاری المعروف بابن الأكفانی، تحقيق الأب انستاس مارى الكرملی. القاهرهٔ- ۱۹۳۹.

*** الملحق رقم (۷) للحاشيهٔ رقم (۹۸ و ۱۰۳)

العطاريات و العقاقير

بحث السائح عن بعض العطاريات و العقاقير الموجودهٔ آنذاك فی أسواق بغداد تلبيهٔ لطلب أصدقائه فذكر اسماءها، فضلنا إيرادها بالإيطاليهٔ إلى جانب ترجمتنا لها، لأننا لاحظنا اختلافا فی التسميهٔ و الترجمهٔ من معجم إلى آخر، و هذه هی:

۱- القافلة۲ amomo- الراوند۳ reobarbaro- الرند۴ nafdo- القرفة۵ cinnamomo- الدارصيني۶ cannella- القسط۱ costo- قيل القاقلة أو الهال أى الهيل (الشهابى) و قيل حماما و جهان.

۲- الراوند (الروند و الريوند) قيل إن أصل الشجرة من الصين، و قيل أصل الرمان الهندى فارسية روائد و هو أصل الريباس و هو صينى و خراسانى (ادى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت ۱۹۰۸ ص ۷۵).

۳- الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية؛ و قيل هو الآس، و قيل الغار، و قد قيل هو العود الذى يتبخر به ... و يقرب منه النردين و هو السنبل الرومى (ادى شير: المرجع نفسه ص ۳۷). ترجمة الشهابى ناردين و سنبل

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۶

الطيب، و كذلك بديغيان؛ الرازى، أبو بكر محمد بن زكريا: المنصورى فى الطب، تحقيق د. حازم البكرى الصديقى، الكويت ۱۹۸۷.

۴- القرفة أو الكافور و هو شجر من الفصيلة الغارية (الشهابى).

۵- تتفق المراجع على كلمة دارصينى.

۶- قيل السقط و هى يونانية معربة، من النباتات العطرية المركبة.

ذكر السائح أيضا أسماء عطاريات أخرى بلفظها العربى كما سمعها من الناس فى بغداد، و هى المسك، السنبل الخطوى، السنبل، عين الحمام، الديرم، قصبة الذريرة.

*** الملحق رقم (۸) للحاشية (رقم ۱۰۰)

حجر الفتيلة و غيرها

قال ياقوت الحموى (معجم البلدان ۱: ۵۲۹) فى مادة بذخشان «و حجر الفتيلة شىء يشبه البردى ... لا تحرقه النار، يوضع فى الدهن ثم يشتعل فى النار، فيتقد كما تتقد الفتيلة، فإذا اشتعل الدهن، بقى على ما كان، لم يتغير شىء من صفته».

و قد سماه العراقيون فى العصر العباسى مخاط الشيطان و غزل السعالى.

و هذا تعليق الأب الكرملى فى: نخب الذخائر ص ۱۲۳- ۱۲۵.

ذكر الرحالة أيضا: البورق، النطرون، ملح النطرون، الطلق، الهيصم و قد علقنا عليها فى محلها.

***

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۷

الملحق رقم (۹) للحاشية (رقم ۱۱۰)

التقويم القديم

التقويم القديم و يسمى «اليولى» نسبة إلى يوليوس قيصر الذى أمر بالعمل به سنة ۴۵ ق. م و كان سائدا فى الغرب و الشرق، إلى أن أصلحه البابا غريغوريوس الثالث عشر (۱۵۷۲- ۱۵۸۵) فعرف باسم «الغريغورى»، و عند اعلانه للتقويم الجديد يوم ۵ تشرين الأول ۱۵۸۲ اعتبر ذلك اليوم ۱۵ من الشهر ذاته تلافيا للخطأ فى التقويم، فحصل الفرق بين التقويمين.

و انتشر التقويم الجديد فى العالم بعد ان تبنته الدول و معظم الكنائس فى حساب أعيادها و احتفالاتها، لكن بعض كنائس الشرق لا تزال إلى اليوم تعمل بموجب التقويم القديم.

*** الملحق رقم (۱۰) لحاشيۀ (رقم ۱۸۱)

الأب توماز و أوبيجينى Tomaso da Novara Obicini

إنه من مدينۀ نوفارا بإيطاليا، من رهبنۀ القديس فرنسيس. عاش مدۀ طويلۀ فى الشرق. منطلقا من حلب إلى القدس الشريف. له جهود فى الحقل الدينى بين كنائس الشرق. أرسله البابا بولس الخامس بمهمۀ خاصۀ إلى مار ايليا بطريرك الكنيسۀ الشرقيۀ و حضر مجمعا لهذه الطائفۀ انعقد فى ديار بكر سنۀ ۱۶۱۶.

S. Giamil, Geuinae Relationes ... p. ۲۴۱.

كان ملما بالعربيۀ إضافۀ إلى معرفته بلغات شرقيۀ أخرى كالسريانيۀ، انظر:

G. Graf, Geschiche der christlichem arabischen Literatue, ۴" ۴۷۱.

و كان على علاقۀ بالسيد ديللافاليه، لذلك كتب إليه السائح من بغداد طالبا منه شرح بعض الكلمات العربيۀ، منها: سلطان، ذمى، بين النهرين، معانى جويريدۀ ... إلخ.

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۸

و طلب منه نبذۀ عن النساطرۀ و الكلدان فقد شرع يهتم كثيرا بهذه الأمور بعد ان اقترن بشابۀ من هذه الطائفۀ.

إن رسالۀ ديللافاليه مفقودۀ، لكن رد الأب توماز و محفوظ، و تاريخه ۱۰ كانون الثانى ۱۶۱۸ و وجهه من القدس الشريف، و قد نشر فى مجلۀ الدراسات الشرقيۀ الإيطاليۀ، المجلد ۲۸ (۱۹۵۳) ص ۱۱۸- ۱۲۹.

Arn. van Lantschot" Letter inedite de Thomas Obicini a Pietro della Valle, R. S. O., ۸۲(۳۵۹۱ "
.)pp. ۸۱۱- ۹۲۱

و فى الرسالۀ نبذۀ عن الكنيسۀ الشرقيۀ مع رد على أسئلۀ السائح. و قد أضاف الناشر صورۀ السيدۀ معانى و ختمها.

يتألف الختم من دائرتين، فى الدائرۀ الصغرى فى الوسط، بالحرف الكلدانى: «أمۀ اللّه معانى». و فى الدائرۀ الكبرى بالعربيۀ الكلمات التاليۀ:

«اسم الأشرف الأرفع الأعلى الست معانى بنت السيد حبيب جان الماردينى من بيت جويريدۀ الأصيل فى الجزيرۀ البلد القديم».

(- انتهت الملاحق)-

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۶۹

فهرس المحتويات

اشارۀ

۱- فهرس المراجع ۱۷۱

۲- فهرس الأعلام ۱۷۳

۳- فهرس الأمكنۀ ۱۷۹

۴- فهرس الأمم و الشعوب و القبائل و الجماعات

و الأديان و الملل و المذاهب ۱۸۵

۵- فهرس عام ۱۸۷

۶- فهرس المحتويات ۱۹۱

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۱

فهرس المراجع

اشارة

الأكفانى، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصارى: نخب الذخائر فى أحوال الجواهر. نشره و حققه الأب أنستاس مارى الكرملى، القاهرة، ۱۹۳۹.

بديغيان، أرميناك: المعجم المصور لأسماء النباتات، القاهرة.

الحجية، عزيز جاسم: بغداديات، الجزء الثالث، بغداد- ۱۹۷۳ و الأجزاء الأخرى.

حداد، الأب د. بطرس: كنائس بغداد عبر التاريخ، مجلة بين النهرين، العددان ۳۱- ۳۲، بغداد- ۱۹۸۰.

حداد، الأب د. بطرس: كنائس بغداد و دياراتها، بغداد- ۱۹۹۴.

الحلو، على نعمة: الأحواز ج- ۲، بغداد ۱۹۶۹.

الحموى، ياقوت: معجم البلدان (ط. و يستنفيل).

دوزى، رينهارت: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة د. أكرم فاضل، بغداد- ۱۹۷۱.

سركيس، يعقوب: مباحث عراقية، ج- ۱، بغداد ۱۹۴۸، ج- ۲، بغداد ۱۹۵۵.

سعيد، فرحان أحمد: تاريخ الحديثة، بغداد ۱۹۸۹.

سعيد، فرحان أحمد: مشهد أبى ريشة، مجلة التراث الشعبى، ۱۰ (۱۹۷۹)، ۹ ص ۷۲- ۱۰۴.

شبر، جاسم حسن: تاريخ المشعشعين و تراجم أعلامهم، النجف ۱۹۶۵.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۲

الشهابى: معجم الشهابى فى مصطلحات العلوم الزراعية، بيروت ۱۹۷۸.

عبد المجيد إسماعيل: عربستان عبر التاريخ، مجلة آفاق عربية ۶ (۱۹۸۰) العدد ۳ و ۴.

العزاوى، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، ج- ۴، تاريخ النقود العراقية، بغداد ۱۹۵۸.

العقيقى، نجيب: المستشرقون ۳ أجزاء، القاهرة ۶۴- ۱۹۶۵.

عواد، كوركيس: المعرب من كتب الرحلات الأجنبية إلى العراق، مجلة الأقلام ۱ (۱۹۶۴) العدد ۱، ص ۵۴- ۷۴.

الكرملى، الأب انستاس: النقود العربية و علم النميات، القاهرة ۱۹۳۹.

الكعبى: زاد المسافر و لهنة المقيم و الحاضر، بغداد ۱۹۵۸.

لونكريك، ستيفن همسلى: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط- ۴، بغداد ۱۹۶۸.

نصرى، الأب بطرس: ذخيرة الأذهان فى تاريخ المشارقة و المغاربة السريان، الموصل.

A Chronicle of the Carmelites in Persia, London ۹۳۹۱. Hammer, Histoire de L'Empire ottoman, Paris ۷۳۸۱.

مراجع خاصة عن الرحالة

Bausani, A., Pietro della Valle, Enc. Cattolica, lV(۰۵۹۱)Col. ۳۴۸۱.
Costa, P., Introduzione a Pirtro della valle, Baghdad ۷۶۹۱. Hammer, Histoire de L'Empire Ottoman Paris ۷۳۸۱, vol. Vlll, lx.

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۳

فهرس الأعلام

إبراهيم النبى صلى اللّه عليه و سلم ۵۸
إبراهيم أغا ۱۴۵
إبراهيم الحلبى ۴۸
إبراهيم شاهيتا ۲۲
إبراهيم القبوجى ۱۴۰، ۱۴۵
ابن الأكفانى ۲۹
ابن خالد (شيخ) ۱۳۷
ابن خرداذبه ۶۳
ابن داريوس ۵۴
ابن سينا ۸۶
أبو ريشة (شيخ) ۳۲، ۱۳۲، ۱۵۷
أبو طالب (شيخ) ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۶۲
أبو الفداء ۸۳
أحشويرش ۵۴
أحمد الأسود ۱۳۳، ۱۳۴
أحمد بك (قزلرباط) ۹۳
أحمد الثانى (سلطان) ۹، ۱۵۲
أحمد بن الحسين ۸۵
أحمد سوسة ۴۹
أدى شير ۶۳
أربينو (مستشرق) ۱۰۲
الإسكندر الكبير ۵۴
إسماعيل (عليه السلام) ۶۶
إسماعيل (شاه) ۷۱، ۱۰۷، ۱۴۰
أسميخان ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۶۳
الإصطخرى ۶۳
أغناطيوس بطرس ۱۵۳

أغناطيوس دى لويولا ۵۹
أغوسطوس ۵۵
أفراسياب ۱۲۲، ۱۲۴
أكاثياس (مؤرخ) ۳۶، ۶۳
أكرم فاضل ۲۹
ألبير أبونا ۶۳
إمام قلى خان (حاكم) ۹۸، ۱۲۲، ۱۲۳
أنجلو الكرملى ۱۶۳
أندريا السندرى البندقى ۲۲
رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۴
أنستاس الكرملى ۲۹، ۴۴، ۶۴، ۷۹، ۱۶۵
أنكونيو باراكو ۱۴۹
أوجينيا ۱۳۵
أورسينو الدومينيكى ۱۳۶
أوغسطين (قديس) ۱۱۹
أوفيد (شاعر) ۲۰
إيشوعياب (مطران) ۱۵۲
إيليا (بطريرك) ۱۶۷
بابا روما ۹۰
بابا ملكى ۱۰۸
باسيل (كرملى) ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۹، ۱۳۶
بتراركٔ (شاعر) ۴۲
برصباعى (بطريرك) ۶۳
بطرس (قديس) ۹۰، ۱۰۲
بطرس حداد ۱۶۳
بطرس بن عبد اللّه ۱۶۳
بطرس نصرى ۱۵۳
بكر صوباشى ۱۵، ۱۰۳، ۱۰۵، ۱۰۷، ۱۱۴ ۱۲۷، ۱۶۳
بولس (راهب) ۱۲۰
بولس (قديس) ۹۰، ۱۵۵
بومبيو ديللافاليه ۸
بيبلوس ۵۶
بيللارمينو ۵۶

البيهقى ۸۵

بيولونيو ۸۴

تافرنييه ۳۸

تروكو بومبيو ۵۵

تريبيليو (مؤرخ) ۸۶

تومازو أربينو ۱۰۲، ۱۶۸

تومازو دى نوفارا ۱۵۲، ۱۶۷

الجاحظ ۴۶

جاسم حسن شير ۱۵۹

الجرجانى ۱۰۲

جرجى (الأب عبد الأحد) ۱۵

جرجيس عميرهٔ ۱۰۶، ۱۶۳

جعالهٔ زادهٔ ۴۹

جويريدهٔ ۶۹، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۷، ۱۶۸

جيكال أوغلى ۴۸، ۴۹

جيو ستينو (مؤرخ) ۵۵

جيو فانا (المعتوهة) ۱۲

جيوفانا البيرينى ۸

جيوفانى باتستا كاتى ۲۲

حافظ أحمد (الصدر الأعظم) ۱۳۰، ۱۵۲

حبيب جان ۱۰۲، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۸

حزقيال (نبىّ) ۵۸

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۵

حسن أغا الكردى ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۲، ۱۵۷

حسين أبو ريشهٔ ۱۳۲، ۱۵۷

حنا أبو ريشهٔ ۱۰۲، ۱۶۳

حيدر الشهابى ۱۵۷

خسرو (ملك من ملوك الفرس) ۹۵، ۱۵۷

خواجا استوازاتور ۱۶۳

دانيال (النبى) ۶۴

درويش محمد ۱۲۷

دلال (المطران جرجيس) ۱۵

دوزى ۲۹، ۴۹

ديل دراكو ۱۴۹

ديلاند ۱۶۲

ديودوروس سيكولوس ۲۵

ديودوروس الصقلّى ۵۴

راحيل جويريدهٔ ۱۰۵، ۱۶۳

الرازى ۱۶۶

راشد (شيخ) ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۶۰

راشد بن سالم ۱۶۰

رافائيل ربان ۷۰، ۱۶۲

الرسام ۴۸، ۷۶

رافيلينجو (مستشرق) ۱۰۲

زادور ۱۶۳

زرادشت ۳۵

زنبور (شيخ) ۱۳۵

زيكالا ۴۹، ۱۶۰

زينوفون ۲۱، ۶۹، ۹۳

سارهٔ ۳۱

سبستيانى (رحالهٔ) ۳۸، ۱۲۰، ۱۶۳

سترابون (مؤرخ) ۲۵، ۵۲، ۵۳، ۵۶، ۶۲

ستراكان ۳۳، ۳۴، ۱۰۲

سرفانلى (قبوجى) ۱۳۰، ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۰

سعاد هادى العمرى ۱۵

سعد بن فياض ۱۵۷

سلامهٔ (شيخ) ۱۱۱، ۱۵۹

سلوفس نيقاطور ۶۲

سليمان بن داود (عليه السلام) ۲۷، ۷۴

سميراميس ۵۵، ۶۵

سنان (الصدر الأعظم) ۱۶۰

السندرى البندقى ۷۵

سولاقا (بطريرك) ۷۰

سلامهٔ ۱۱۱

سولينو (مستشرق) ۶۶

سيد ناصر ۱۱۰

شيرين ۹۵

صحة ۲۹

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۶

طه باقر ۵۴

عباس (شاه) ۱۳، ۱۰۱، ۱۰۶، ۱۱۴، ۱۲۲، ۱۶۰

عبد الأحد جرجى ۱۵

عبد الحميد العلوبى ۱۵

عبد السلام ۱۲۸

عبد الغنى جرجس ۹۷، ۱۰۰

عبد اللّه (شيخ) ۱۳۵، ۱۳۶

عبد اللّه جويريدة ۱۰۰، ۱۰۸

عبد المجيد إسماعيل ۱۶۰

عبد المسيح ۱۰۵، ۱۶۳

عبد يشوع ۱۵۳

عبود الشالجى ۱۶۴

عثمان (سلطان) ۱۵۲

العزاوى ۴۹، ۱۰۷، ۱۱۳

عزيز جاسم ۶۶، ۸۵

عطائى جويريدة ۱۰۲، ۱۶۳

عطا اللّه ۱۶۳

على أغا ۱۲۴، ۱۳۳، ۱۳۴

على بن أبى طالب ۳۱، ۵۷، ۱۰۶، ۱۴۳

على بن أفراسياب ۵۲، ۱۰۸، ۱۲۳، ۱۲۶

على نعمة الحلو ۱۶۰

عمرة ۱۰۶

العمرى ۱۲۷

عيسى ابن مريم (عليه السلام) ۵۷

عيسى بن مهنا ۱۵۹

عيسو بن إسحاق ۶۸

غريغوريوس (بابا) ۹۰، ۱۶۷

غوته ۱۲

فؤاد جميل ۴۹

فرديناند جويريدة ۱۵۷، ۱۶۴

فرنسيس الأسيزى ۵۹، ۱۶۷

الأمير فياض أبو ريشهٔ (شيخ) ۲۳، ۲۴، ۲۶، ۳۲، ۱۰۲، ۱۳۳، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۵۸

فيرجيل (شاعر) ۲۰، ۶۶

الفيروز آبادى ۱۰۲

فيليب (الجميل) ۱۲

قاسم سلطان ۹۶

قبوجى ۱۳۰، ۱۳۹، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۱، ۱۴۲

القديس توما ۱۱۴

القديسهٔ كاترينا ۷۷

قلاوون ۱۵۹

قورش ۹۱، ۹۳

قيدار ۶۶

كاظم الدين ۴۴

كالينو (إمبراطور) ۸۶

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۷۷

الكعبى ۱۲۲، ۱۲۳

كوركيس عواد ۱۵

كولاغى جويريدهٔ ۱۰۲

كونسالفو دى سلفيرا ۱۲۶

كونسالفو مارتينيز ۱۲۱، ۱۳۳، ۱۳۶

لآلى ۱۶۳

لاون (بابا) ۱۰۱

لعلى جويريدهٔ ۱۶۳

لقمان ۱۰۲

لكوك ۴۹

لورنسو ۲۲

لونكريك ۳۲، ۴۸، ۱۱۳، ۱۲۰، ۱۲۷، ۱۵۷

مار شمعون ۶۳، ۷۰

ماركو بولو (رحالهٔ) ۴۲

ماروت ۵۴

ماريا روز ۱۶۳

ماريوجا ۱۰۸، ۱۱۵، ۱۵۲

ماريو سكيبانو ۸، ۱۰، ۱۵۴

مانى ۳۶

مبارک (شیخ) ۴۷، ۶۱، ۹۷، ۹۸، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۵، ۱۵۹، ۱۶۰

المحبی ۶۰، ۱۲۷

محمد أغا (قبوجی) ۱۳۰، ۱۳۹

محمد باشا (والی) ۱۲۴

محمد (بن بکر) ۱۲۷

محمد بن راشد ۱۵۹

محمد حسین الزبیدی ۱۶۰

محمد سعید النعیمی ۴۹

محمد بن علی الأکوع ۱۴۹

محمد الحاج قاسم محمد ۸۵

محمود (باشا) ۴۸، ۴۹

مدلج (شیخ) ۱۲۷، ۱۴۷، ۱۴۹، ۱۵۱، ۱۵۷

مراد بن أحمد ۱۵۲

مریم العذراء ۷۵، ۱۰۵، ۱۱۰، ۱۵۳

مصطفی (سلطان) ۱۱۴

مصطفی جواد ۴۸، ۴۹

مصطفی صوباشی ۱۰۵

مطلق (شیخ) انظر مدلج

معانی بنت حبیب جویریدهٔ ۹، ۱۱، ۱۲، ۱۳، ۱۶، ۵۰، ۶۹، ۷۰، ۷۱، ۷۲، ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۷۸، ۹۰، ۹۶، ۹۷، ۹۹، ۱۰۰، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۰، ۱۴۵، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۱، ۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۷، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۸

رحلهٔ دیلاواليهٔ الى العراق/ تعریب، ص: ۱۷۸

منصور (أمیر) ۱۱۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۵

منیر بعلبکی ۷۹

موسی الکاظم ۳۸، ۳۹

میخائیل ۱۳۶

میلا (مؤرخ) ۶۶

ناصر بن مبارک ۱۵۶، ۱۶۰

ناصر بن مهنا ۵۹، ۸۲، ۹۸، ۱۰۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۴۲، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۷، ۱۶۱

نبوخذنصّر ۶۰، ۶۱

نجم (خواجه) ۱۲۱، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۶

نجیب العقیقی ۱۰۲

نرسیس صائغیان ۹۰

نسطور ۷۰

نصار (شیخ) ۱۰۰

نصوح باشا ۹، ۶۰، ۱۰۲، ۱۶۱

نظامی (شاعر) ۹۵

نمرود ۵۳، ۵۵، ۵۶

نوح ۳۳

هاروت ۵۴

هارون الرشید ۷، ۱۲۳

هایتون الأرمنی ۴۲

هرتسفیلد ۳۱

الهروی ۵۷

الهمدانی ۱۴۹

هندی ۱۵۳

هوراس ۵۷

هیرودوتس ۵۳، ۵۶، ۹۲

یاسین خیر اللّه ۷۱

یاقوت الحموی ۵۸، ۶۹، ۱۵۲، ۱۶۶

یحیی بن عبد اللطیف ۱۰۶

یعقوب إفرام ۲۱

یعقوب سرکیس ۵۱، ۵۹، ۱۳۹، ۱۵۹، ۱۶۱، ۱۶۲

یوحنا المعمدان ۱۱۸

یوسف باشا ۴۷، ۱۶۳

یولیوس (بابا) ۷۰

یولیوس (قیصر) ۱۶۷

یونان (النبی) ۱۱۵

رحلۀ دیلاواليۀ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۷۹

فهرس الأمكنۀ و البقاع

آثار بابل ۱۱

الآثار العراقیۀ ۱۱

آسیا ۹۳، ۱۰۱

آشور ۲۵، ۶۹، ۱۰۱

أمد ۷۰، ۱۵۲

أبو القاسم (مسجد) ۵۲

أجاثيرا ۶۶

الأحساء ۱۳۹

الأخيضر ۱۴۳

الأهواز ۱۶۰

أراجيلى (كنيسهٔ) ۱۱۰، ۱۵۵

أرض نمرود ۵۳

أرمينيا ۹۳، ۱۳۶

إسبانيا ۷۳

اسطنبول ۹، ۱۱، ۷۱، ۱۱۳، ۱۱۸، ۱۲۲، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۵، ۱۵۳، ۱۶۱

الإسكندرونهٔ ۸۱، ۸۲، ۸۹، ۹۸، ۱۰۰، ۱۰۲، ۱۴۰، ۱۶۲

أكبيتانيا ۶۲

الأناضول ۲۳

انكاملى ۱۱۴

إها ثوير ۱۴۲

الأهرامات ۹، ۱۱

الأهوار ۹۸

أوربا ۷، ۱۱، ۱۲، ۴۶، ۱۰۶، ۱۱۶، ۱۳۵، ۱۵۷، ۱۶۱

إيران ۸۹، ۱۶۲، ۱۶۳

إيطاليا ۷، ۸، ۱۴، ۱۹، ۳۵، ۳۹، ۵۵، ۷۶، ۷۷، ۷۹، ۸۲، ۸۳، ۸۶، ۸۷، ۸۹، ۹۴، ۹۶، ۱۰۱، ۱۵۴، ۱۶۷

إيوان كسرى ۶۲، ۶۳، ۶۴

بابل ۷، ۱۹، ۲۲، ۲۵، ۴۱، ۴۷، ۵۳، ۵۴، ۵۵، ۵۶، ۵۷، ۵۸، ۵۹، ۶۲، ۹۲

باجرمى ۲۳

بتليس ۹۴

البحر العربى ۱۰

رحلهٔ ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۰

البحرين ۱۱۶

البرتغال ۱۱۶

برج بابل ۴۷، ۵۶

برج نمرود ۴۷

البصرهٔ ۱۰۸، ۱۱۱، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۶، ۱۱۷، ۱۱۸، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۹، ۱۴۲، ۱۴۵، ۱۵۷، ۱۵۹، ۱۶۱، ۱۶۳

بغداد ۷، ۹، ۱۴، ۱۵، ۱۶، ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۲، ۲۹، ۳۴، ۳۶، ۳۷، ۳۸، ۴۱، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۴۶، ۴۷، ۴۸، ۴۹، ۵۷، ۵۹، ۶۰، ۶۳، ۶۵، ۶۶،

۶۷، ۶۸، ۶۹، ۷۱، ۷۲، ۷۳، ۷۴، ۷۵، ۷۶، ۷۷، ۷۸، ۸۱، ۸۲، ۸۳، ۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۹۲، ۹۷، ۹۸، ۱۰۰، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۵، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۱۰، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۹، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۳۰، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۴۰، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۷، ۱۶۰، ۱۶۱، ۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۵، ۱۶۶، ۱۶۷

بلداك ۴۲

البندقية ۹، ۱۳، ۱۴، ۲۴، ۲۹

بهرز ۹۲

بولونيا ۱۴

بيت المقدس ۹

البيرة ۲۰

بيروت ۱۲۰، ۱۶۵

بيعة دار الروم ۴۶

بيعة درتا ۴۶

بيعة السيدة ۴۶

بيعة مار توما ۴۶

تركيا ۱۴، ۱۹، ۸۱

تستر ۱۱۹، ۱۲۵

تكية (قرية) ۹۲

تل عمر ۶۲

التيبر (نهر) ۳۸، ۸۴

جامعة نوبولى ۸

جاى قوناغى ۹۵

جبرين ۲۲

جبل سيناء ۷۷

جبل طوروس ۹۳

الجديدة ۴۹، ۱۵۳

الجزيرة ۹۴، ۱۴۹

جزيرة صقلية ۸

جزيرة قبرص ۸۰

جسر البصرة ۱۱۷

جسر بغداد ۴۴، ۴۵، ۵۷

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۱

جسر الحلة ۵۷

الجمجمة (مسجد) ۵۷

جندا (نهر) ۹۱

الجوازر ۱۴۳

جورجيا ۱۳

حقلاء ۲۳، ۲۴

حلب ۹، ۱۱، ۱۵، ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۷، ۳۳، ۳۴، ۵۹، ۷۵، ۹۷، ۱۱۶، ۱۲۷، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۵۰، ۱۵۳، ۱۵۷، ۱۶۷

الحلهٔ ۵۷، ۵۸، ۱۲۶، ۱۲۷، ۱۶۱

الحمام ۲۶

حمص ۱۵۹

الحويزهٔ ۴۷، ۹۸، ۱۰۰، ۱۰۸، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱۹، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۶، ۱۵۹

الحير ۲۷، ۱۵۰

خان البير ۵۲، ۵۸

خان جفان ۱۶۰

خان شيراز ۱۵۹

خان المسيب ۴۹، ۵۱

خان النص ۵۹

خانات ۳۱

خانقين ۱۶۳

خزانهٔ الفاتيكان ۱۱، ۱۴، ۱۰۲، ۱۰۳

الخضر (جزيرهٔ) ۱۱۶

الخطا ۸۳

دجلهٔ (نهر) ۲۲، ۳۸، ۴۱، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۵، ۴۶، ۶۰، ۶۱، ۷۵، ۸۴، ۹۱، ۹۴، ۱۱۰، ۱۱۳، ۱۱۶

درب دينار ۴۶

دلتا النيل ۱۱۶

دمشق ۳۳، ۵۷

الدورق ۱۱۹

ديار بكر ۶۰، ۷۲، ۱۵۲، ۱۶۲، ۱۶۷

ديالى (نهر) ۶۱، ۶۵، ۹۱، ۹۲، ۹۵

دير عامر ۱۱۹

دير القديسهٔ كاترينا ۷۷

ديو ۸۶

رأس العين ۵۸

الرحبهٔ ۲۸

الرضوانية ۴۸

رودس ۴۴

روما ۸، ۹، ۱۰، ۱۱، ۱۳، ۱۴، ۲۵، ۳۸، ۶۶، ۷۰، ۷۷، ۹۰، ۱۰۱، ۱۱۰، ۱۱۴، ۱۴۹، ۱۵۲،

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۲

۱۵۳، ۱۵۴، ۱۵۵، ۱۶۳، ۱۶۴

زويبة (قرية) ۴۹

سريا ۲۷

السعدية ۹۳

سعرد ۱۵۲

سلمان باك ۶۱، ۶۵

سلوقية ۴۲، ۶۰، ۶۲، ۶۳

سور بغداد ۴۵

سوريا ۱۰، ۷۴

سوسة ۱۱۰

سوق بغداد ۴۳، ۸۴، ۸۵، ۸۶

سوق الثلاثاء ۴۶

سيلان (جزيرة) ۸۰

سيناء ۷۷

شط العرب ۳۸، ۱۱۶، ۱۲۰، ۱۲۵

شهرابان ۹۲

الشورجة (منطقة) ۴۶

شيراز ۹۸، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۱۰، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۶۳

صيدا ۱۳۴

الصين ۴۲، ۸۰

ضريح بيبلوس ۵۳، ۵۶

طاق سلمان باك ۶۴

طاق كسرى ۷۲

طرابلس ۱۳۴، ۱۳۵

طور عابدين ۹۵

طيبة ۲۷، ۱۲۷، ۱۵۱

طيسفون ۴۲، ۶۰، ۶۲، ۶۳، ۶۴، ۶۵

العراق ۱۰، ۱۳، ۱۵، ۲۱، ۲۳، ۲۴، ۳۸، ۴۱، ۴۲، ۴۶، ۵۱، ۵۷، ۸۴، ۸۹، ۹۷، ۱۱۴، ۱۱۹، ۱۶۱

العرجاء ۱۳۹، ۱۴۰

العشار ۱۲۹

عنة ۳۱، ۳۲، ۳۵، ۳۶، ۱۲۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۷، ۱۵۸

الغنيمات ۱۳۷، ۱۳۹

غوا ۱۲۲، ۱۲۵

فارس ۹، ۱۰، ۱۳، ۱۴، ۳۵، ۴۷، ۸۱، ۸۲، ۸۹، ۹۸، ۱۰۵، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۵، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۴۶، ۱۵۰

الفرات ۲۰، ۲۲، ۲۳، ۲۸، ۳۱، ۳۸، ۴۱، ۴۲، ۴۵، ۴۸، ۴۹، ۵۳، ۵۷، ۵۸، ۸۶، ۱۱۳، ۱۱۶، ۱۴۸

فرع القطيف ۱۱۶

فرع هرمز ۱۱۶

فلسطين ۱۱۹

قبان (قلعة) ۱۲۵

قبر أرفكشاد ۵۸

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۳

قبر حزقيل ۵۸

قبر سام ۵۸

قبر المسيح ۷۷

قبرص ۸۰، ۱۵۲، ۱۵۳

القدس ۷، ۷۷، ۱۶۷، ۱۶۸

القرنة ۱۲۴

قزلرباط ۹۳، ۹۴، ۹۵

قزوين ۸۱، ۹۷، ۱۰۰

القسطنطينية ۷۰، ۷۴

قصر الأخيضر ۱۴۳

قصر شيرين ۹۵

قلعة البصرة ۱۱۷

قلعة بغداد ۴۳

قلعة هرمز ۱۱۹

قونية ۲۳

كابور (نهر) ۵۸

كاستيلتا ۱۲

الكاظمية ۳۸

كربلاء ۱۴۴، ۱۶۱

الكرخ ۳۹، ۴۵

كرد حاجى كردى ۶۱، ۶۵

كرد عثمان ۶۸

كردستان ۹۳

كركوك ۲۳، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۳۰، ۱۳۳

كرمانيا ۲۳

الكعر ۲۳

الكفل ۵۸

كمبيدليو ۱۱۰، ۱۵۵

كنائس بغداد ۴۶، ۷۱

كنائس حلب ۱۵۳

كنيسة السريان ۱۵۳

كنيسة الروم ۱۵۳

الكنيسة الكاثوليكية ۱۵۲

كنيسة الكرمليين ۱۱۹

كنيسة مار إيليا ۱۵۳

كنيسة مار بثيون ۱۶

كنيسة مريم العذراء ۱۲۹

كنيسة الكرمليين ۱۱۹، ۱۲۹

الكوفة ۱۴۳ رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب ؛ ص۱۸۳

يبدة ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۵

الكويت ۱۶۶

لبنان ۲۸

اللرّ ۱۱۰

لوجستان ۱۲۶

ما بين النهرين ۱۱، ۲۲، ۳۶، ۳۷، ۴۲، ۵۸، ۶۳، ۶۹، ۷۰، ۷۵، ۹۴، ۱۳۱، ۱۳۴، ۱۵۷، ۱۶۷

مادى ۳۵، ۸۱، ۹۳

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۴

ماردين ۶۹، ۷۲، ۸۴، ۹۵، ۹۷، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۴۸، ۱۶۲

مانس ۱۶۲

مانيلا (إقليم) ۱۳۰

المحمودية ۴۹، ۱۶۰

المدائن ۶۲، ۶۳

مسجد على ۳۱

مسقط ۱۱۶، ۱۱۷

المشراق ۱۳۵

مشهد أبی ریشۀ ۳۱، ۱۵۷

مشهد الحسین ۱۲۷، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۶۱

مشهد علی ۱۴۳

مصر ۹، ۴۵، ۶۶، ۱۰۱، ۱۱۶

مقام علی ۳۱

المقیر ۱۴۱

مکتبۀ الفاتیکان ۱۳

مکۀ ۱۴۴

المنتفق ۱۳۹

مندلی ۸۲، ۸۹، ۹۶

ملوحۀ ۲۲، ۲۳

الموصل ۱۵، ۴۴، ۶۳، ۸۴، ۹۳، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۳۰، ۱۳۳

میافارقین ۱۵۲

مینا ۱۰۸

نابولی ۸، ۱۱، ۲۹، ۱۱۶، ۱۵۴

النجف ۱۵۹، ۱۶۱

نهر عیسی ۴۲

نوفارا ۱۶۷

النیل (نهر) ۱۱۶

نینوی ۷، ۴۴، ۹۳

هارونیۀ ۹۲

هرکانیا ۶۲

هرمز ۹۱، ۱۰۸، ۱۱۶، ۱۲۴، ۱۲۸، ۱۳۲

همذان ۶۲

الهند ۱۰، ۱۱، ۱۴، ۸۵، ۸۶، ۱۱۳، ۱۲۹، ۱۳۱، ۱۳۲

ینکی إمام ۹۶

ینکی توناغی ۹۶

الیمن ۱۴۴

رحلۀ دیلاواليۀ الى العراق/ تعریب، ص: ۱۸۵

فهرس الأمم و الشعوب و القبائل و الجماعات و الأدیان و الملل و المذاهب

الآباء الکرملیون ۱۱۹

الأتراك ۹، ۱۱، ۱۹، ۲۲، ۲۵، ۲۶، ۳۵، ۳۷، ۴۲، ۴۸، ۶۰، ۶۷، ۷۳، ۸۹، ۹۱، ۹۲، ۹۴، ۹۵، ۹۶، ۱۰۸، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۸، ۱۳۳، ۱۴۱، ۱۴۳، ۱۴۹، ۱۶۱

الأرمن ۷۰، ۱۵۳

الأزبكيون ۱۰۰

الإغريق ۶۶

الأغسطينيون (رهبان) ۱۱۴، ۱۱۹، ۱۳۰

الإفرنج ۱۹، ۲۰، ۲۴، ۵۸، ۵۹، ۶۰، ۹۷، ۱۲۰، ۱۳۰

الأكراد ۷۰، ۹۳، ۹۴، ۹۵، ۱۳۰

الإنكليز ۲۱، ۱۱۹

الأوربيون ۷، ۱۱، ۱۱۸

البارونات ۶۱

البدو ۶۵

البرتغاليون ۱۰۸، ۱۱۳، ۱۱۴، ۱۱۷، ۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۶، ۱۲۹، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۶

التتار ۱۵۹

التركمان ۲۳، ۲۸، ۱۴۰

الرومان ۴۴، ۶۲، ۱۱۰

الساسانيون ۶۲

السردار ۱۳۰

السريان ۱۵، ۷۰

الصابئة (دين) ۱۱۸، ۱۲۱، ۱۲۸

العثمانيون ۴۷، ۹۴، ۱۰۶، ۱۱۳، ۱۲۸، ۱۶۰

العراقيون ۱۰، ۱۶۶

العرب ۱۵، ۲۳، ۲۵، ۲۶، ۲۹، ۳۴، ۳۷، ۴۱، ۵۹، ۶۳، ۶۶، ۸۵، ۸۶، ۹۵، ۹۷، ۹۸، ۱۱۸، ۱۲۲، ۱۴۱

الفراعنة ۹

الفرس ۱۵، ۲۵، ۲۶، ۴۷، ۶۰، ۶۱، ۶۲، ۶۳، ۸۲، ۹۲، ۹۴، ۹۵، ۹۶، ۹۸، ۱۱۳، ۱۱۷،

رحلة ديلاواليهٔ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۶

۱۱۹، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۴، ۱۴۰، ۱۴۲، ۱۴۴، ۱۵۲، ۱۵۹، ۱۶۱

الفرنسيسكان ۵۹، ۱۵۲

القزلباش ۱۲۵

القسس فی بغداد ۷۱، ۷۲

الكرمليون (رهبان) ۱۰۰، ۱۱۹

الكلدان ۶۹، ۹۴، ۹۵، ۱۱۴، ۱۶۸

المانويون (أتباع مانی) ۳۶

المجوس ۳۵

المسلمون ۴۱، ۴۶، ۴۹، ۵۲، ۶۲، ۶۳، ۷۹، ۸۵، ۱۱۸، ۱۳۰، ۱۴۳، ۱۴۴، ۱۴۷

المسیحیون ۹۰، ۱۱۴، ۱۱۶، ۱۱۹

المشعشعون ۴۷، ۱۶۰

المغول ۱۲۸

المعیدی ۱۴۰

المقدونیون ۲۵

المنتفق ۱۳۹

المندائیۀ ۱۱۸

النساطرۀ ۷۰، ۹۵، ۱۶۵

النصاری ۴۶، ۵۸، ۶۹، ۷۳، ۷۶، ۹۵، ۱۲۹، ۱۳۰

النصاری فی البصرۀ ۱۱۸

النصاری فی بغداد ۷۱، ۷۲

نصاری القدیس توما ۱۱۴

النصیریۀ ۳۶

الیسوعیون (رهبان) ۵۹، ۶۰

الیعاقبۀ (طائفۀ) ۹۵، ۱۵۳

الیهود ۲۷، ۵۸، ۶۰، ۶۱، ۶۴، ۷۱، ۱۱۴، ۱۱۸

الیونان ۹۳

رحلۀ دیلاواليۀ الی العراق/ تعریب، ص: ۱۸۷

فهرس عام

آغا الینکرجیۀ ۱۰۷

الآس ۱۶۵

أبو طاقۀ (نقد) ۱۲۹

الإثمد (الکحل) ۶۹

الأختام الشرقیۀ ۱۰۳، ۱۴۱

الأراک (شجر) ۸۵

الأسطول البرتغالی ۱۲۰

أزیاء ۲۹، ۶۷، ۷۳، ۷۴

الأسود فی العراق ۳۸

انکشاری ۲۵، ۴۸

الأونس ۷۹

البذخشان ۱۶۶

البجادى (حجر كريم) ۷۴

البردى ۱۶۶

البطم ۸۴

البطيخ ۴۴

البلاط ۸۱

البلاو (الرز) ۵۱، ۵۸

البلخش (حجر كريم) ۷۴، ۱۶۴

البورق (معدن) ۸۶، ۱۶۶

التاج ۱۴۰، ۱۴۲

التبغ فى العراق ۵۱، ۱۴۲

التقويم ۹۰

جهاز العروس ۷۹، ۸۰

حجر الفتيلة ۸۰، ۱۶۶

حرب الفرس ضد البصرة ۱۲۴ و ما بعدها.

حرب الفرس ضد الحويزة ۱۱۰، ۱۲۲

حصار بغداد ۸۹ و ما بعدها

حلى البدويات ۶۶

حمار وحشى فى البصرة ۱۲۸

حمالة العروس ۷۹

الحمام الزاجل ۱۰۱

حماما ياقوتى ۸۵

الخرز ۶۶

الخرص و الخزيمة ۷۴

خيام البدو ۶۵، ۶۶، ۶۷، ۱۴۵

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۸

الدارصينى ۸۰، ۱۶۵، ۱۶۶

الدانك (قارب) ۱۱۷

الدفن عند الشرقيين ۱۰۰

الدوطة ۷۹

الديرم ۸۵، ۱۶۶

الراوند ۸۳، ۱۶۵

الرخام ۲۶، ۱۴۱، ۱۵۰، ۱۵۱

الرند ۳۱، ۱۶۵

الریباس ۱۶۵

الزمرّد ۷۴

السذرا ۱۱۸

سفرجل ۷۶

سکودو (نقد) ۴۴

السمر (شجر) ۸۵

السنبل الخطوی ۸۳، ۱۶۶

سنبل الرند ۸۳

السواک ۸۵

شابندر ۱۲۱

شاهی (نقد) ۱۳۷

الشعر ۸۴

الشموع العسلیهٔ ۹۰

الصوباشی (رتبهٔ) ۱۰۷

صوم البتولات ۱۱۴، ۱۱۵

الطابوق البابلی

الطلق ۲۸، ۱۶۶

طین البصرهٔ ۸۴

طین الشطّ ۸۴

طین کردستان ۸۴

العرعر ۲۷، ۱۴۳، ۱۵۰

العقیق (حجر کریم) ۷۴، ۱۶۴

العنبر ۶۶، ۱۴۹، ۱۶۴

عید المیلاد فی بغداد ۹۰

عین الحمام ۸۶، ۱۶۶

الغار ۱۶۵

غزل السعالی ۱۶۶

الفستق ۸۴

الفیروز ۷۴، ۱۶۴

القافلهٔ ۱۶۵

القاقال ۸۰، ۸۵، ۸۷، ۱۶۵

القبوجی ۱۳۰– ۱۳۴، ۱۴۴

القرب لنقل السوائل ۲۱، ۱۴۸

القرد (هدية لوالى البصرة) ۱۳۴

القرش (نقد) ۱۳۶، ۱۳۷

القرفة (توابل) ۸۰، ۸۶، ۱۶۵، ۱۶۶

القسط (توابل) ۸۰، ۸۷، ۱۶۵

القصبة (للقياس) ۳۶

قصبة الذريرة ۸۶، ۱۶۶

القم ۸۵

القناع (زى نسائى) ۷۳

القوناق ۹۵

رحلة ديلاوالية الى العراق/ تعريب، ص: ۱۸۹

الكاديوم ۸۰

الكاغد ۱۴۸

الكافور ۱۰، ۱۶۶

الكرد (واسطة للسقى) ۴۴، ۸۴، ۹۳

الكفن ۱۰۰

الكلك ۴۴

الكمرك ۱۱۷، ۱۲۱

كيل كردستان ۸۴

لارى (نقد) ۱۳۷

لب التواريخ (كتاب) ۱۰۶

اللؤلؤ ۷۴، ۱۶۴

المجارش ۶۷، ۱۴۶

مخاط الشيطان ۱۶۶

مخطوطات ۱۱، ۱۲، ۱۵۳

مراكب حربية ۱۱۶، ۱۲۶ و ما بعدها

المنينى ۷۹

النواعير ۴۳

النردين ۱۶۵

النطرون ۲۸، ۱۴۷، ۱۶۶

نصارى الكلدانيون ۱۱۸

النفش ۱۶۴

الهيصم ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۶۶

الهيل ۸۷، ۱۶۵

الوشم ۶۶، ۶۷

الياقوت ۷۴، ۸۵، ۱۶۴

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۹۱

فهرس المحتويات

الاهداء ۵

مقدمۀ المعرب ۷

القسم الأول: فى البلاد التركيۀ ۱۹

بغداد سنۀ ۱۶۱۶ ۴۱

رحلۀ إلى بابل ۴۷

الحلۀ ۵۷

القسم الثانى: فى بلاد فارس ۸۹

القسم الثالث: الهند و العودۀ إلى الوطن ۱۱۳

ملاحق الكتاب ۱۵۷

فهرس الكتاب ۱۶۹

فهرس المراجع ۱۷۱

فهرس الأعلام ۱۷۳

فهرس الأمكنۀ و البقاع ۱۷۹

فهرس الأمم و الشعوب و القبائل و الجماعات و الأديان

و الملل و المذاهب ۱۸۵

فهرس عام ۱۸۷

رحلة ديلاواليۀ الى العراق/ تعريب، ص: ۱۹۲

رحلات عنى الأب د. بطرس حداد بنقلها إلى العربيۀ

مقتطفات من رحلة تيفنو إلى العراق، مجلة بين النهرين ۲ (۱۹۷۴) ص ۳۸۷- ۴۰۵.

رحلة الأب فنشنسو إلى العراق (القسم الأول)، مجلة مجمع اللغة السريانيۀ ۱ (۱۹۷۵) ص ۱۷۹- ۲۰۳.

رحلة الأب فنشنسو إلى العراق فى القرن السابع عشر (القسم الثانى)، مجلة المورد ۵ (۱۹۷۶) العدد ۳، ص ۷۱- ۸۹.

رحلات سبستيانى إلى العراق، المورد ۹ (۱۹۸۰) العدد ۳، ص ۱۶۷- ۲۰۲.

رحلة تيلر إلى العراق (۱۷۸۹- ۱۷۹۰) المورد ۱۱ (۱۹۸۲) العدد ۱، ص ۲۵- ۴۱.

رحلة لجان إلى العراق (۱۸۶۶) المورد ۱۲ (۱۹۸۳) العدد ۳، ص ۵۷- ۸۴.

تقرير المطران بايبه عن العراق، مجلة بين النهرين ۱۱ (۱۹۸۳) ص ۲۲۵- ۲۳۸.

الرحلة الشرقيۀ للأب فيليب الكرملى (۱۶۲۹) المورد ۱۸ (۱۹۸۹) العدد ۴، ص ۱۵۵- ۱۶۲.

رحلة فيدريجى إلى العراق، المورد ۱۸ (۱۹۸۹) العدد ۴، ص ۱۶۳- ۱۶۸.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹